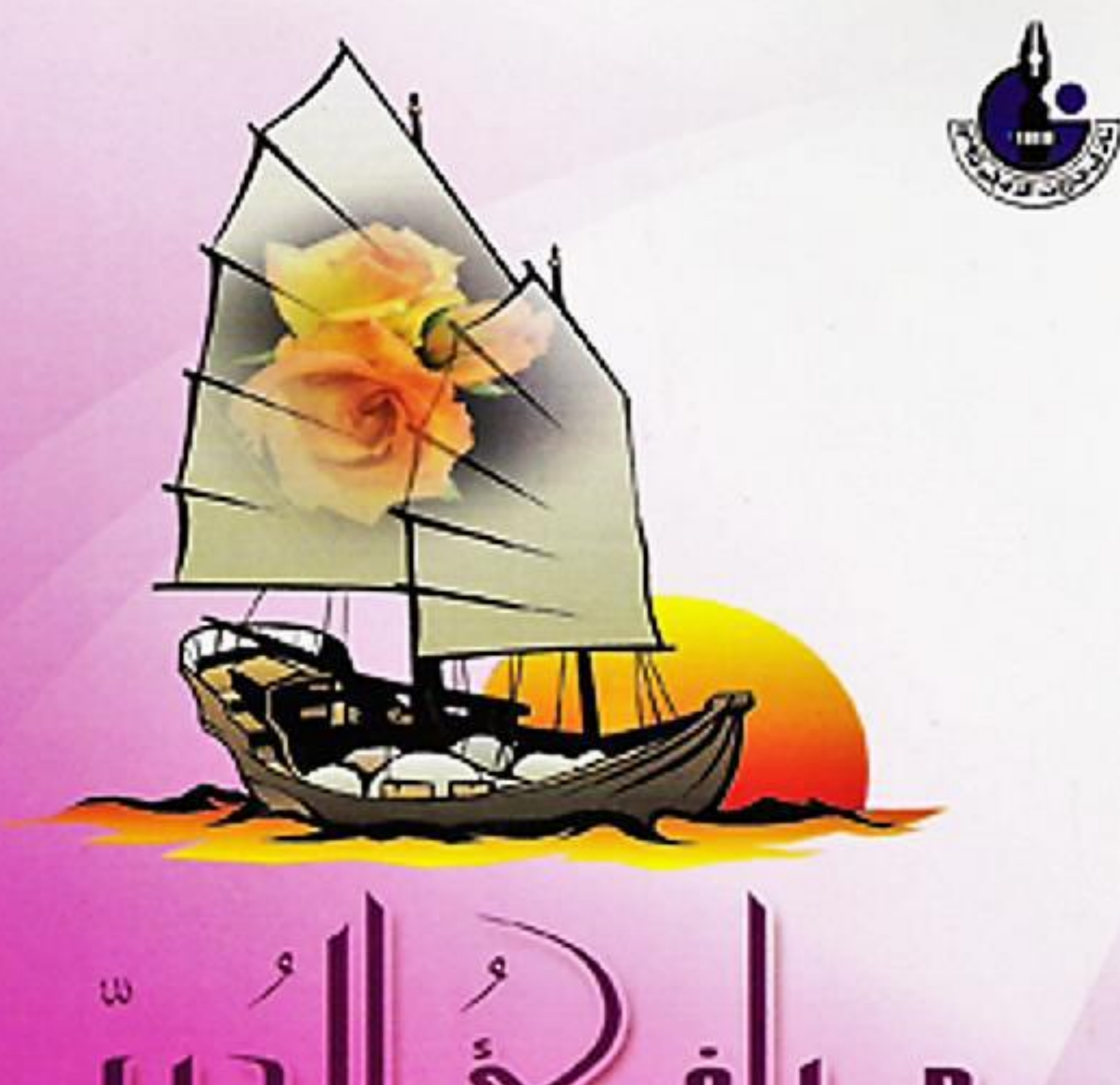


مرافئ الحب

للشاعر

سلمان بن محمد بن قاسم الحَكَمي الفَيفي

١٣٦٣-١٤٢١هـ = ١٩٤٣-٢٠٠٠م

تحقيق وتعليق

الدكتور عبد الله بن أحمد الفَيفي

(عضو مجلس الشورى - أستاذ النقد الحديث بجامعة الملك سعود)

مرافئُ الحُبّ

للشاعر

سلمان بن محمد بن قاسم الحَكَمي الفَـيْفـي

(١٣٦٣ - ١٤٢١هـ= ١٩٤٣ - ٢٠٠٠م)

تحقيق وتعليق

الدكتور عبدالله بن أحمد الفَيْفي

(عضو مجلس الشورى- أستاذ النقد الحديث بجامعة الملك سعود)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفيفي، سلمان بن محمد

مرافئ الحب./ سلمان بن محمد الفيفي؛ عبدالله بن أحمد الفيفي.- جازان، ١٤٢٨هـ

٢٩٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩ - ٨١ - ٦٢٢ - ٩٩٦٠

١- الشعر العربي- السعودية أ. الفيفي، عبدالله بن أحمد (محق)

ب- العنوان

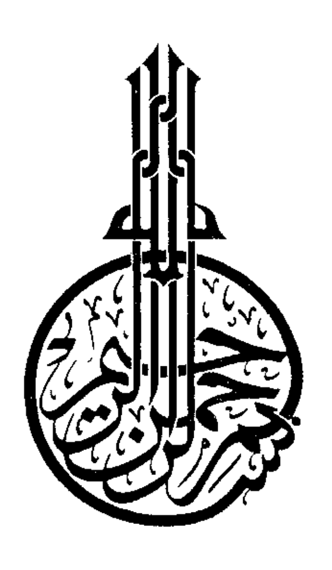
ديوي ٨١١,٩٥٣١ ١٤٢٨/٣٢٥٩

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٣٢٥٩

ردمك: ٩ - ٨١ - ٦٢٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مقدمة

- ١ -

وُلد الشاعر سلمان بن محمّد بن قاسم الحَكَمي الفَيْفي في فَيْفاء، بُقعة الخَشْعَة، جبل آل بِلْحَكَم (أبي الحَكَم): سنة ١٣٦٣هـ= ١٩٤٣م. وتلقّى تعليمه الأوّليّ في مدرسة الخَشْعَة[١]، في فَيْفاء[٢]، إذ التحق بها سنة ١٣٧٣هـ. ثم انتقل للدراسة بمعهد ضَمَد العلمي. ثم عاد إلى فَيْفاء، فعُيّن مدرِّساً في مدرسة الخَشْعَة، وكانت تُسمى (معهد الخَشْعَة)[٣].

---

[١] الخَشْعَة: البقعة المركزية من جبل آل أبي الحكم في فَيْفاء، حيث كان مترل الشاعر والمدرسة التي تلقّى تعليمه الأوليّ فيها.

[٢] فَيْفاء: منطقة جبلية، في جنوب المملكة العربية السعودية، شرقي مدينة جازان. تقطنها قبائل تعود في نَسَبها إلى خَولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

[٣] معهد الخَشْعَة: أسّسه الوالد الشيخ أحمد بن علي بن سالم الفَيْفي، في جبل آل أبي الحَكَم، سنة ١٣٧٣/ ١٣٧٤هـ. وكان مَدْرَسَة للبنين والبنات، استمرّ عمله إلى آخر سنة ١٣٧٧هـ، وخرّج عددًا من المتعلّمين والمتعلّمات في فَيْفاء. وكان من مدارس المنطقة التي حظيت برعاية الشيخ عبد الله القرعاوي.

وبعد إلغاء مدارس القرعاوي[١]، التي كانت تُعدّ مدرسةُ الخَشْعَة إحــداها، انتقــل الشاعر للالتحاق بمعهد سامطة العلمي. فدَرَسَ في معهد سامطة في قــسمه التمهيــدي، فالمتوسط، فالثانوي، وحصل على شهادة المعهد، (القسم العامّ)، سنة ١٣٨٦هـــ.

ثم التحق بكلية اللغة العربية في الرياض، وحصل على شهادة الليسانس ســنة ٨٩/ ١٣٩٠هـــ. ليلتحق بالتدريس في معهد الرياض العلمي سنة ١٣٩١هـــ. وبعد عمله هناك سنة دراسية، انتقل للعمل مدرِّسًا في المعهد العلمي في عَرْعَر[٢]. واستمر في التعليم في معهد عَرْعَر العلمي، ليشغل فيه بعد سنوات وظيفة وكيلٍ للمعهد، ثم مديرٍ للمعهــد، قبــل أن يَطلب التقاعد المبكّر، نظراً لظروفه الصحّيّة.

عانى الشاعرُ الأمراضَ منذ صِباه. وكان آخرها أن اكتشف الأطباء، في بداية سنة ١٤٢١هـــ، إصابته بتورّم خبيث في الكبد، تبيّن أنه حالة متأخّرة لسرطان، أُعلــن عــن استحالة علاجها. فكابد مرضه ومضاعفاته بصبرٍ عجيب، حــتى توفّــاه الله في بــيتي في الرياض، في شهر رمضان من السنة نفسها، ١٤٢١هـــ= ٢٠٠٠م.

عرفتُ الشاعر شغوفاً باللغة العربية وآدابها. فلقد تتلمذتُ على يديه، ثم خَبرْتُهُ عن كثب، في مُقامه وسفره، وذلك بحُكم القرابة؛ فبيني وبينه ما كان بين طَرَفة والمُــتلمِّس، أو بين الأعشى والمسيّب بن علَس.. ثم بحُكم رابطة التخصّص والاهتمام المــشترك. فكـــان

---

[١] الشيخ عبد الله بن محمّد بن حَمَد القرعاوي: مُصْلِح دينيّ، يُنسب إلى قرية القرعا شماليّ بريدة بالقصيم، وُلــد ســنة (١٣١٥هـــ= ١٨٩٨م). قَصَد تهامة ١٣٥٨هـــ، فأنشأ المدارس في سامطة وما جاورها، وأعان علــى إنــشائها، وامتدّت مدارسه إلى عسير. توفي بالرياض سنة ١٣٨٩هـــ= ١٩٦٩م. (يُنظر: الزركلي، خير الــدين، *الأعــلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ٤: ١٣٥).

[٢] عَرْعَر: مدينة على الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية مع العراق.

المثقّف، المطّلع، القارئ من الدرجة الأولى، الحافظ، حاضر الذاكرة، سريع البديهة. حتى إن بعض زملائه كانوا يلقّبونه بـ"الموسوعة"؛ نظراً لتردّدهم عليه- كلما حزبهم سؤال لغوي أو أدبي- أعيتهم إجابته. وكان إلى ذلك شديد التواضع والزهد في الأضواء. ومن آثار ذلك عدم اهتمامه بنشر شعره في حياته، مع كثرة ما كان يلحّ عليه في ذلك أصدقاؤه ومحبوه.

كما كان كريماً، جميل المعشر، خفيف الظلّ، يُشيع الدُّعابة والفرح أينما حلّ أو ارتحل، وإنْ في أحلك الظروف. وفي أجواء مرضه الأخير- الذي يكفي ذكره ليبعث الفزع والأسى والحزن- كان سلمان صورة أخرى من الناس، ونسيجًا فريدًا من النفوس. إذْ أبى إلا أن يكون شجاعاً، صابراً، محتسبًا، كبير النفس إلى آخر لحظة.. يذكّرك بقول أبي الطيب المتنبي:

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبتْ في مُرادها الأجسامُ

وكان حاد الذكاء، لّماحاً، لَبِقًا، محبوباً من كل من عَرَفَه. كما كان ساخراً بالحياة وتقلّباتها.. واستمرّ على ذلك حتى آخر أيامه. ولعل في نصوصه الشعرية ما يدلّ على تلك السجايا فيه.

وكان- رحمه الله!- ذا همة عالية، جعلته ملجأ القاصي والداني، وفي مختلف الظروف، رغم ما كان عليه من حالةٍ ملازمةٍ من الضَّعف والمرض. فكان الجميع يعوّلون عليه- علميًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا- فما عرفتُ أحداً من الأقارب إلا كان يعتمد على

الأستاذ سلمان في شأن من شؤون الحياة، في حين لم أعرف عنه يومًا اعتماده على أحدٍ من الناس:

وإنما رَجُلُ الدُّنيا وواحدُها   مَنْ لا يُعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

حتى لقد عاش- بحكم الظروف- متفرّداً في الحياة، لا صاحبة ولا ولدًا. فصدق فيه- رحمه الله- ما عبّر عنه شقيقه (الأستاذ يحيى بن محمّد الفَيْفي) في وصفه: "كان يحبّ الغربة، عاش مغترباً، ومات مغترباً".

- ٢ -

ولئن لم نكن هاهنا بصدد تقديم دراسة فنّيّة عن شعره، إلا أنه لا مناص من بعض ملحوظات، في ضوء ما ذيّلنا به القصائد من شروح وتعليقات متفرّقة.

فلقد بدا الشاعر من حيث اللغة والأسلوب يراوح بين الجزالة- إلى حدّ الإغراب في بعض الحالات- وميلٍ في بعض نصوصه إلى سهولة الأسلوب، حد الاقتراب من اللهجة الدارجة، كاستعماله صيغة "عيوني"، مثلاً، بدل "عينيّ"، أو "متون"، بدل "متنين".. ونحو هذه من الاستعمالات التي تجاري محكيَّ اللغة. هذا فضلاً عن استعمالاتٍ عاميّة خالصة في بعض النصوص، يحاكي بها لغة الناس اليوميّة، كما في قصيدة "رنين وأنين"، (ص٢٦٩)، مثلاً. وجميع الشروح على هذا- أو التعليقات على غيره- هي من محقّق

الديوان، سوى النـــزر اليسير، الذي نَبَّهْنا فيه إلى أنه من وضع الشاعر نفسه. إلا أننـــا لم نعمد إلى شرح الغريب، إنْ وُجِد، إلاّ حيثما ظهر فيه إشكال دلاليّ، ولاسيما إن ارتـــبط باللهجة المحلّية، أو جاء يحمل إشارة تستدعي الإيضاح. وما عدا ذلك لم نَرَ الـــشَّرْحَ إلاّ قيدًا على النصّ، الأَولى تركُ شأنه لتعدّد القراءات، بمستوياتها المتنوّعة.

وفي مجال الموسيقى الشعريّة، يُلحظ ثراء الإيقاعات لدى الشاعر. فلقد اســـتخدم معظم البحور الشعرية، ونَظَمَ على شتى القوافي، وزاوج بينها ونوّع. وكان بذوقه يُلـــبِس الوزن القديم خفّة تُذهب عنه غُلواء الجَرْس، حتى إنه في استخدامه البحر المديد مثلاً- وهو من بحور استثقلها القدماء وتخفّفوا منها- يستعمل منه محذوف العَروض والضرب مخبونهما، في قصيدة "لوحة من بلدي"، (ص٧٢)، فيأتي وزنه في غاية العذوبة والانسياب.

غير أنها قد لوحظت بعض ظواهر اختلال في الوزن في بعض النصوص، يمكن القول إنه يكمن وراءها أحد السببين الآتيين، أو كلاهما:

١) بعض الزحافات هي أصلاً نتيجة تحوّل المنطوق إلى مكتوب؛ إذ إن الشاعر يتّكئ على طريقة الإلقاء، التي قد تُشبَع فيها حركة، أو يُمَدّ فيها صوت، فينجبر الكسر، أو ينتفي الثِّقَل، وهو ما لا يُتاح تمييزُه لقارئ النصّ، كما يُتاح له لو تلقّاه سماعًا. ولعل هذه الظاهرة تُلحظ شائعةً لدى جيلٍ مضَى، يَغلب عليه إرث الثقافة الشفاهيّة، تلقّى الشعر سماعًا، قبل أن يقرأه، ونَظَمَهُ صوتيًّا، قبل أن ينظمهُ مكتوبًا. وتلك إشكاليّة بين المنطوق والمكتوب قديمة، قِدَم الشعر العربي.

٢) في بعض الحالات تَصْدُقُ على الشاعر المقولة المنسوبة لأبي العتاهية، حينما أخذ عليه العروضيّون خروجه عن قواعد العَروض، فقال: "أنا أكبر من العَروض!". وذلك كاستخدام شاعرنا (الخبن) في البحر السريع، في قصيدة "بيروت"، (ص٢٧٧). إذ إن الخبن– بحسب العَروضيين– يكثُر ويحسُن في تفعيلة "مستفعلن"، في بحر الرَّجَز، في حين أن (الطيّ) يكثر ويحسُن في التفعيلة نفسها من البحر السريع. لكن الشاعر استخدم (الخبن) في السريع كذلك. بل جمع بينه والطيّ في تفعيلة واحدة، وهو ما كان العَروضيون يستثقلونه حتى في الرَّجَز.

على أنه ينبغي عدم إغفال عامل آخر وراء بعض ما قيل حول المستوى اللغوي أو الموسيقيّ لدى الشاعر. وهو أن الرّجل– فيما يبدو– كان يعوّل أحيانًا على السليقة، دون إعادة النظر في القصيدة. بل ربما كانت بعض النصوص بمثابة تجارب أولى لم ينقّحها الشاعر. فنحن هنا– إذْ نتصدّى لنشر ما لم يُبادر الشاعر نفسه إلى نشره– إنما نتعامل مع مخطوطات، لعل بعضها لم يصل إلى درجة الرضى الفنيّ التامّ من قِبَل الشاعر.

أمّا إذا تجاوزنا جانب العَروض من البناء الموسيقي، فسنقف على وعي الشاعر بما للغة الشعريّة من صنعةٍ خاصّة، وذلك من خلال احتفائه، غير المتكلّف، بموسيقى الشعر الداخليّة. وظاهرة الموسيقى الداخلية لديه كانت تُضفي على شعره غنائيّة عذبة، حتى في قصائد المناسبات، كقصيدة "في رحاب الشمال"، (ص٤٢)، على سبيل المثال. كما يمكن الإشارة إلى مثال آخر واضح أيضًا في توظيف صوت (الفاء) في آخر نصّ "مواقف

متوهجة"، (ص١٧٢)، وما أدّاه هناك من وظيفة إيحائية في تصوير التغيّر والتصوّح، الذي جاء النص معبّرًا عنه.

وعلى صعيد الصورة الشعريّة ظلّ الشاعر أقرب إلى المحافظة على التقاليد الفنّيّة، ضمن "كلاسيكيّتها" الحديثة. حتى إنه في غَزَله قد يميل إلى وصف التجربة الواقعيّة بشكلٍ مباشر. بل لقد عَبَّر في بعض نصوصه الشعريّة- كما ورد في مقابلةٍ معه (النموذج المخطوط رقم ٩)- عن موقفه النقديّ والثقافيّ الحادّ من التحديث في الشعر، حسب التيارات المعاصرة. ولذلك لم يكن مُسْتَغْرَبًا أنْ لم يكتب قصيدةً تفعيليَّة قط. فقد بقي أمينًا لبيئته المعرفيّة الأُولَى وانتمائه التراثي الخالص.

- ٣ -

وعلى الرغم من حرصنا على إثبات نصوص الشاعر كاملة، فقد كنّا أمام بعض النصوص التي استدعتْ التوقّف. منها:

أولاً، مخطوطات لمطالع أو لقصائد لم يستكملها الشاعر، وما زالت تحمل تشوّش البدايات. فاستُبعدت؛ إذ ما نظنّ الشاعر كان ليرضى عن نشرها بصورتها تلك. أمّا ما رأيناهُ جديرًا بالإثبات، كقصيدته بعنوان "الشاعر"، (ص٧٩)- ولعلّها آخر ما كتبه- فقد اجتهدنا في صياغته وترتيب أبياته، منوّهين عن تفاصيل ذلك في مواطنه من الديوان.

ثانيًا، مخطوطات أُخرى بدا من الواضح أن الشاعر ما كَتَبَها ليُذيعها في الناس، وإنما كَتَبَها على سبيل التفكّه في لحظات عابرة، أو لمعابثات شخصية، فهي رهينة المواقف الخاصّة جدًّا من حياة الشاعر. فعددناها من جملة أوراقه الخاصّة، التي لم نر من حقّنا إعلانها ونشرها. على أن من نصوص هاتين الفئتين (أوّلاً وثانيًا) ما أُدرج ضمن صور مخطوطاته، اللاحقة نماذجها بعد هذه المقدمة.

ثالثًا، ما يدخل من النصُّوص في باب الإخوانيات، وطابع الارتجال فيه غالب على التجويد الفنّي. فأُخذ منه ما قُدّر أن الشاعر كان سيَقبل نشره.

رابعًا، وجدنا من نَظْمه للمناسبات ما صاغه على ألسنة تلاميذ المدارس، وذلك للإلقاء، أو الإنشاد في أثناء حفل مدرسي، أو استقبال ضيف ما. فأُثبت منه ما بدا صالحًا للنشر، دون غيره.

ما عدا تلك الاستثناءات- وهي لا تعدو بضعة نصوص قليلة العدد والأهمية- جُعل جميعًا بين يدي القارئ، بوصفه مادة توثيقية شاملة لتجربة الشاعر، في تنوّعها، واختلاف درجاتها.

- ٤ -

ولّما وقفتُ على المادّة بعد جمعها، ألفيْتُ بين يديّ من القصائد ما يتطلّب التصحيح والضبط. فأجريتُ عليه ذلك. ومنها كثيرٌ ما زال مخطوطًا بالقلم، أو بالآلة الناسخة،

فقُمتُ على طباعته، باذلاً الجُهد في ضبطهِ، وتخريج ما قد يكون من اختلاف النصوص بين المخطوطات، حسبما هو مثبتٌ في حواشي القصائد. فلقد كُنتُ أتوخّى الدّقّة والأمانة في إثبات ما كتَبَهُ الشاعر، دون التدخّل بتعديل أو تحوير، إلاّ في أضيق الحدود، وحينما تدعو الضرورة الفنّيّة إلى ذلك، مع الإشارة إلى ما في الأصول. ذلك لأنني وجدتُ من القصائد ما مرّ بين يدي الشاعر بأطوار مختلفة، هي في حقيقتها أطوار من حياته نفسها، ولعل أبرز النماذج التي تُمثّل ذلك قصيدة "جدبٌ وسراب"، (ص٢٣٦). فأثبتُّ في المـتن صـيغة الشاعر التي بَدَت لي الأخيرة- إذ لم يكن الشاعر عمومًا يُعنى بإثبات تواريخ النصوص- ثم ذكرتُ الاختلافات، أو الزيادات، في حواشي الصفحات. بل لقد تبدّى خلال هـذا أن الشاعر كان يستلّ بعض النصوص من قصائد قديمة، لتُوافق مناسبات لاحقة؛ فلم يكن من الأمانة الفنّيّة ولا النقديّة إهمال المادّة الشعريّة في صورها الكاملة، ولاسيما حينمـا يبـدو الاختلاف بين النُّسَخ كبيرًا وجديرًا بالتنويه، كما في النصّ المشار إليه.

ولقد كان في سابق علاقتي، شبه الملازمة للشاعر، ما أفادني في عملي على بعـض نصوصه. ففضلاً عن صلة القرابة، وقضائي قِسْطًا من صباي في كنفه، كنتُ قد صـحبته سنوات في الرياض، كما رافقته في حِلّه وسفره داخل المملكة وخارجها. فسمعتُ منـه كثيرًا، وشاركته القراءات كثيرًا، وكانت بيني وبينه من شؤون الثقافة ما يتعدى شـؤون القرابة، حتى لأزعم أنني من أكثر الناس معرفةً به. وهذا ما هيّأ لي إدراكًا للظروف الـتي أحاطت ببعض النصوص، وإلمامًا بالسياقات التي قيلت فيها. كما أتاح لي معرفة الزمـان والمكان اللذين قيلت فيهما بعض القصائد، وما قد يكون لحقها بعدئذٍ من تغييرٍ أو تطوير.

وقد جاءت الأغراض الشعريّة التي نظم الشاعر فيها من التنوع بحيث شملت: السياسيّ، والوطني، والعاطفيّ، والاجتماعي، إلى غيرها من المجالات. ولا غرو، فهذا نتاج قرابة أربعين سنة من الشعر. مع أني لا أشكّ في أن الشاعر قد ضيّع من نتاجه ما يعادل ما أَبْقَى، وربما أكثر؛ إذ لم يكن مهتمًّا بجمع شعره في ديوان. وبالرغم من هذا الحضور الموضوعي وراء نصوص الشاعر، فقد آثرنا في ترتيب القصائد منهاج الترتيب الهجائيّ- بحسب القوافي- على التصنيف بحسب الموضوعات أو الأغراض؛ كي يسهل وصول القارئ إلى النصّ في مكانه من الديوان. أمّا القصائد متنوعة القوافي، فأُدرجتْ في مكانها وفقًا لقافية المقطع الأول منها. واتُّبِع في ترتيب القصائد من قافية واحدة المنهاج المتعارف عليه لدى المحققين، بدءًا بالقوافي المقيدة، فالمنصوبة، فالمضمومة فالمكسورة. ثم تُرتّب القصائد ضمن كل حرف مقيّد أو متحرّك بالنظر إلى ترتيب البحور الشعرية في علم العَروض، بدءًا بالبحر الطويل، فالمديد، فالبسيط.. وهلم جرًّا.

* * *

وقبل أن نُقدّم إلى القارئ مادة هذا الديوان، بدا من المفيد، والدالّ معًا، أن نأخذه في رحلة مع سجلّ الشاعر من المخطوطات الشعريّة. وليس الغرض من ذلك هاهنا إظهار الأصول المخطوطة التي انطلق منها العمل المنشور- كما هو العُرف العلمي- فحسب،

ولكن أيضًا أن تكون تلك الصور بمثابة معرضٍ فنّيّ لقلم الشاعر الأنيق، وهو يعايش آلامه وآماله وكلماته، عبر أطوار مختلفة، وتفاعلات متعدّدة مع المحيط الشخصيّ والعام.

* * *

وبعد، فإن هذا العمل لم يكن له أن يرى النور لولا الاهتمام البالغ من قِبَل شقيق الشاعر، خالي الأستاذ يحيى بن محمّد الفَيْفي، الذي حافظ على تلك النصوص التي تركها الشاعر، حتى دفع بها إليّ، للعمل على تحقيقها وإعدادها للنشر. كما كان في حثّه ومتابعته، وحرصه على خروج العمل بالصورة اللائقة، الدافع الأول للشروع في العمل والاستمرار فيه. وكان بعض أولاده- بنات وبنين- قد بادروا إلى نَسْخ كثير من القصائد، بهدف التداول الشخصي، فكان ذلك الجهدُ لَبِنَةً في إنجاز هذا العمل على صورته الحاليّة. فلأولئك جميعًا جزيل الشكر وخالص الدعاء.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات الشاعر، وأن لا يحرمنا- وكلَّ من أسهم فيه- الأجر، كِفاء ما ابتغيناه وراء إخراجه من خدمة اللغة، وحِفْظِ مأثورات التراث والأدب.

د. عبدالله بن أحمد الفَيْفي
aalfaify@yahoo.com

❑ ❑ ❑

رحلة الحرف

سِجِلٌّ لنماذج من مخطوطات الشاعر

تجربة أوّلية بخط الشاعر

نموذج ١

معمعة التكوين الأوّل

نموذج ٢

نموذج ٣

قال الفتى اليوم هذا المدعيا الفتى حضارة

الأول

(١)

قال هيا يا رفاقي زيدني طبع الإشارة :: كل هذي حرفتي واليوم لي فرع شطارة :: وأنا الحريف هذا موقفي أجري اطاره

(٢) قلت مدالكف ياحريف اعطيك البشارة ::

فقط مدكثرة التفريط خيرٌ يا حسارة :: هذه سيارة السائقا استفتي وجاره :: اشتراها العام بالتقسيط واستقرض جاره

(٣)

عندما لم يجد الأقساط فورًا باع داره :: قلت فوضى صائح لبدوا واشتموا الغباره :: لعبوا واستمتعوا واستعملوا كل المهارة ::

(٤) (٥)

أضربوا اللطمة شقوا حولكم أسير حسارة :: لاتبالوا بالمطبات وقفزٌ مثل فاره :: وأخيرًا عسكري سكوه لي الفاز ... أخذني

حسب

صادني [illegible] لعرفتي ظهرًا عند دكان العطاره :: قادني مثل خروف قاده شيخ الجزاره :: عجبا لي كيف أحسب [illegible]

(٥)

(٦) أيها المرغب لكم داحل لاتدري الإماره :: أنا لا أرتاح إذا لم أكسر عمر النماره :: دائم التكسيب والترقيع مرفوع شعاره ::

لافتات

قال عني زمرة لتفريط ما الغني لبطارة :: أذرع لا سواعد ذرعا [illegible] الإنارة :: رافعًا يسرى فوق المركى فرع سجاره ::

(٦)

سرت [illegible] الفتى الشارع لموقف استقصي مساره :: أكتب الذكرى وخط الفحم قد يعطي حراره :: أخذني الرجيم [illegible] خوف الإدارة

ماهم

(٧) وأنا لا أعرف التنظيم بل دوار طارة :: [illegible] في مهنتي أو محنتي أهوى الدواره :: مرة حطت رقما طرت من فوق العماره ::

وإذا السيارة ليلا قد صارت شرارة :: ولعراوي من هواها صدم جدران الإناره :: وفقدت الوعي فوراً وتثنى ظهري فقاره ::

(٨)

لما دي وعلي وفي زندي وفي فخذي جبارة :: هذه عاقبة المطغوم يجد المراره :: نستريح اليوم [illegible] كل حاره ::

نموذج ٤

ولربما صارت ورقة الفحص الطبي ورقة فحص شعريّ أيضًا !

DALLAH HOSPITAL

URINE ANALYSIS

Ward/Clinic:
Date:
Time:
Physician:
Status: ☐ Emerg ☐ Routine
History & Diagnosis:

Test Required:
☑ L 815 ROUTINE ANALYSIS

PHY 12-373 08-04-99
NEGATIVE
NEGATIVE
NEGATIVE
CHE <=1.005
NEGATIVE
6.5
NEGATIVE
0.2 E.U/dL
NEGATIVE
SMALL

☐ L 820 MICROSCOPIC ANALYSIS
EPITHELIAL CELLS ...... MODERATE
BACTERIA
CRYSTALS
RBC ...... /HPF
WBC ...... /HPF
CASTS
HYALINE
WAXY
GRANULAR
PUS CELLS
RBC

PATHOLOGIST:
DATE 8/4/95
TECHNICIAN:

COMMENTS

DH. ML 120

نموذج ٥

وهذا سلمان المحبوب في الشمال كالجنوب؛ قصيدة للشاعر صغيّر غريب عبدالله، ألقاها في حفل ثقافي أقامه نادي بدنة (عرعر)، لتكريم الشاعر، في رمضان ١٤١٢هـ



" سلمان "

====

شعر / صغير غريب عبدالله

هذه القصيدة ألقيت في الحفل الثقافي الذى اقامه نادى بدنه في رمضان عام ١٤١٢هـ والذى تم خلاله تكريم الأديب والشاعر الاستاذ سلمان محمد الفيفي مدير المعهد العلمي في عرعر

لا تحدث عن ندرة الأوفياء ** في زمان يضج بالأدعياء

عالم مترف وروح غريب ** وقلوب مشحونة البغضاء

كم يعدون كم يقولون زيفا ** كم يحثون خطوهم للسوراء

ايه سلمان أنت فيهم غريب ** فالوفاء بضاعة الشرفاء

ايه سلمان لست من زمرة الغرب ** بوء من عالم الأثرياء

أنت من عالم يؤرقه الجرح ** ويسمو بروحه للنقاء

شاعر المجد لم نكرمك نحن ** أنت كرمتنا بطيب اللقاء

امتطى المجد شاعرا لا يبارى ** وتعلى في صهوة الجوزاء

ألمعي يسابق القول فهما ** وفريد في عالم الأذكياء

وأديب يغض عنه حياءً ** واعترافاً فطاحل الأدباء

ايه ياشاعر الشمال أعرني ** قافك اليوم كى أبوح وفائى

قد تلعثمت قد شعرت وعذرى ** رؤيتى فيك أنبل النبلاء

*****
****
***
**
*

نموذج ٦

وكانت للمربّي الفاضل الشيخ عثمان الصالح مآلِكُهُ الشعريّة ومخاطباته الإخوانيّة مع الشاعر

سيد الشيخ عثمان الصالح

تحيّاتي إلى الفينيقيِّ بنّا
لَهُ قلبي إليهِ اليَوْم حَنّا
ذكرْنا كمْ ولَوْ لَمْ تذكُرونا
وَلَمْ تسأل إذا ما زُرْتَ عنّا
رِيَاضُ المجدِ عاصِمَةٌ تَجَلَّتْ
لَنَا بَدْرًا إذا ما الليلُ جَنّا
فَهَلْ سِرْنا لَكُمْ عَصْرًا فإنّا
صَبَاحًا نَحْوَ قلبِ الجَوْفِ سِرْنا
لكم في عَرْعَرٍ ذِكرٌ طَرِيٌّ
إلى هذا "النَّسِيمِ العَذْبِ" جِئْنا

نموذج ٧

رسالة من الشيخ عثمان الصالح إلى الشاعر

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح

(٢)

إلى – سلمان الفيفي – عمر بن أحمد العلمي

إني [لأطرب] للرسائل حشوها
أدب نفيس في العلوم له شذى
يجلو لنا من فكره مألوفة
نفح الرياض من شيحها أو هكذا

الخميس ٢/٩/١٤١٥هـ

نموذج ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح (١)

إن الرسائل والترسّل. والخطابات التي لها دورها في أمتنا العربية التي لغتها الفصحى مثار الإعجاب فقد نزل القرآن حلاها. وتجليل الحديث دثارها ورداها. فكان القرآن لها حافظاً... وكانت السنة لها ولغيرها مددها حديثاً طريا.. وأدبا نقيا. والرسائل كانت وما زالت من النبي الكريم سليمان الحكيم صلى الله عليه وسلم كرسالته التي أوجز رسالته وأعجز إلى ملكة سبأ. وأعظم كلمة نقلها الكريم المنّان في القرآن - إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم التي أوّلها الرسالة التي سُطّرت في القرآن ومثلها من الرسول العظيم في رسائله إلى قادات وسادات الأمم وروّادها. وإلى أن انتشر الإسلام فكانت الرسائل المعجزة.. والخطابات الموجزة إلى أرباب الصولجان والتاج باهرة بجمالها أولئك بالأسلوب البليغ والمعنى الكريم تلقاها ملك الروم ونجاشي الحبشة والرسائل هي التعبير الحيّ الذي يخلب العقول ويسحر الألباب بالمعنى المتدفّق :-

إن الرسائل سحرها ومكانها :: في القلب ينبض نبض المتدفق
ولها رواء جلالة بفصاحة :: تأثيرها بنفوسنا يتحقّق
يا أيها [الفيفي] عشت معانيا :: وبراعة القلم أنت موفق
ذكّرتنا برسائل الماضين في :: عصر مضى بجلاله لا يلحق

إن رسائل الهمذاني الأديب.. والمأثور من الجاحظ العالم المتبحر أديب العصور مرت الأيام والشهور والدهور وذكرها سمح كانوا المعلمين لنا ولكل من نحا نحوهم ونهل من علمهم

بسم الله الرحمن الرحيم

② أخي العزيز - سليمان العنيفي

عثمان الصالح

إنها لذة هي تلي عليّ رسالة من أخ في الله وصديق عرفناه عندما التقيناه في منطقة حبيبة هي عنيزة .. المدينة الصحراوية ذات الأثر والآثار والجميلة الأخبار لو نطقت لأسمعتنا من رسائل الماضي خصيب المعاني وجيد المباني

فيا أن أولونا أصلحوها :: وقرآنه تبني حصونا سلاما
وسنة أحمد شرحت معانيه :: رسائل جعلناها إماما
وما العنيفي إلا رقوم :: مضمونها [illegible] لنا نورا وماما
بلى تاريخ أمتنا سيحيي :: شعورك صادقا فينا تنامى
ومنكم سينجب في بلادي :: رجالا في دوافعنا عظاما

أخي الكريم - سليمان - إنه كنت عرفتك لماما .. ولم تكن مع الأسف أياما فقد ذكرتني الأدب ومنبعه .. والعذب وأعذبه .. شربت منه في رسالتك كأسا رويا .. وأدبا سنيا - يذكرني بالأدب السليم والفكر القويم الذي أرجو له أن ينتشر مثيله ليكتسح الأدب الحداثي الذي ذر قرنه .. فمتى نكسر قرنه؟ إلا بالتمسك بأدبنا اللباب والذي حفظته لنا السنة والكتاب ...

أخي الأستاذ سليمان. أشم عبير التفيد .. في هذه الرسالة التي ألبستني منها فيها ثوبا قشيبا .. وكسوتني فيها صفا كريما .. وجعلتني في الأدب صميما .. وعالما عليما .. وبذا خلعت عليّ حلة ما ليس لديّ منه لا أصل ولا ذوب .. ولا بين رذاذ وصوب .. :-

خلعت على أوصافا عظاما :: وما أنا منه في شيء أكونه
وما قد صغته فينا فضلكم :: لعمر الله - محمده - سمينه
كسوت أخاك منه صفات علم :: بعيد لكم - لفاضلكم - ثمينة

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤)

عثمان الصالح

لا شك أيها الفتى العظيم .. والأستاذ الفهيم وبالسماحة الحليم .. خلقاً وتربية
أن لقاء الأخيار يرسخ في الفكر من نهار .. ذلك أن تلاقي الأفكار وتجاذبها
وتوادها لا يحتاج إلى وقت طويل بل في لحظات من هذه اللقاءات يثبت
ثبات الجبال .. لا تقصمه تنبذ .. ولا تزيله أي حديث .. وما ذكرته
من هذا اللقاء الحبيب في بلد غريب - هو مرهم - هو نفس الذي ملك
في نفسي. ولما جئت لقائي بك ما زال ماثلاً. وكررته بلقاء في ربوعنا
الأرض الغالي في مدينتنا - درة الصحراء. والواحة الخضراء .. ثم جئتنا محباً
يحب الأخيار والصلحاء ... ويزيد في تقدير المعلم تقديراً .. وإكباراً :-

[يا أيها الرجل المعلم] أنت في :: منهج المعارف ذا المنار الساطع
أو من جبلنا من جبل تخصصك عالماً :: تبطن وتغرس كل نبت نافع

عزيزي - العفيفي - المعلم في ... - في جبانة عزيز ومبدع .. فما أنت إلا
القطرة الأولى من العطية الطيبة .. والصالحة للأنبات والتي ستؤتي أكلها
من قدير ومعلم بارع. وفكر مؤلف .. لا تفوته الحكمة والعمل
ويحضرني قول القائل :-

وتنبذ ما قل أدباً فيجفو :: وتنسبه إلى فلذ الطباع
وتزكي الناشئ من أديب :: كذاك السلاح منه الشجاع

وما أنت في - نظري - إلا شجاع في التعليم وصادق في التربية .. والعلم
والتعليم سلاح وكياسة يذلل بها شأن الأخلاق وحائد الطباع
وأنت ذلك الرجل وأنت لهم - بإذن الله وزيارتكم زيارة
خاصة ولا ألقي كلمة في مدحكم الغالي وتحديد هذا مهد العيد بإذنه

(٤) بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح

في يوم نتفقد عليه [illegible] الأدب والأدباء والعلماء النبلاء أتى [illegible]
والآن نعود إلى مواقفك الندية وكلماتك الشذية .. وتفكيراتك
العبقرية فهذه الصورة الشذى والتفكير والعلم القدير والأديب الكبير
والتي وضعتها في شخصي وألبستني حللها ووصفتني بأزكاها وما أنا
منها في شيء ولا قليلا ولا كثيرا :

ألبستني ما ليس فيّ وإنني :: لأقل مما قد ذكرت وأضأل

وصفت مني في الكتابة أنه ... أضعاف في ما قلته: وسنا له

واستشهد بقول الشاعر وهو كل ما أنا فيه وعليه من قبل ومن بعد :-

أحب الصالحين ولست منهم :: وأرجو أن أنال بهم شفاعة

أيها الأخ النبيل والزميل الكريم - الفيض النفيس .. إنه زرتنا فترى
محبًّا وصديقًا .. يقول عليه فيه :- هذا زمانك إني قد مضى زمني
حتى مع لقاء الأصحاب في دارهم دارك وبلدهم بلدك .. يتقدمهم
فقيدك تتنضد الأخيار وتحمي الديار .. وأنت منهم ومنهم ولهم
لأنه سيف العلم والتربية البنية جندلا الجهل فأصبحتم أسسا في
تربية شبيبة هم اليوم طلبة وغدًا - كثيرة لهم دورهم في
بلاد أصبحت اليوم معلما :: كل نفعة شذى العلم وعبق المعرفة وصدى الوعي

وإنني لك شاكر ذاكرها العارفة السنية والتحية
الأدبية. والنفس الزكية والقدرة الواعية واستشهد في شكري لك وتقديري بقول
القائل : إذا أنا لم أعرف لذي الفضل فضله :: ولم أجز الخير الكبير الذي سما
فقيم عرفت الجد والثريا سمه :: [illegible] السامع والفما
وأضيف إلى ذلك قول القائل :-
فلو كان يستغني عن الشكر ماجد :: لعزة ملك أو علو مكان

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح ⑤

لما ندب الله العباد لشكره :: فقال: اشكروا لي ربي لشكرانه

وأختم كلماتي مع هذا لأبي بقول العتابي :-

فلو كان للشكر شخص يبين :: إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه :: فتعلم أني امرؤ شاكر

وختام الختام أيضا قول البحتري :-

من لا يقول بشكر نعمة غيره :: حتى يقوم بشكر نعمة ربه

العلي وإلى زملائك في التعليم فرداً فرداً السلام ما أزهر البشام مع الدوام مني ومن الأولاد .. لا زلت مسددا .. ومجددا في سبيل تنشئة الشباب

المحب المخلص والمنتظر منك الزيارة

عثمان الصالح

وتلك بطاقته الشخصيّة كما اختار أن يُعبِّر عنها، مع الاعتذار ليوسف الخال وأدونيس!

المشفوعات : ....

ج-١- البطاقة الشخصية:

أنا على هامش الأيام مرتحل ∴ وحدي وزادي وريقاتي وأقلامي

أسير في الدرب فردًا لا إلى هدف ∴ محملًا بالأسى يا بؤس أيامي

إلا إلى الهدف الأبقى ويا فزعي ∴ إن كنت لم أستطع تثبيت أقدامي

فلو حسبت وبالأرقام ما اقترفت ∴ نفسي لزادت على الأعداد أرقامي .

ج-٢- أميل إلى الشعر الموزون المقفى، المعبر عن ما في النفس من خلجات وأفكار وعواطف .

أ- (إذا الشعر لم يهززك عند سماعه ∴ فليس حريًا أن يقال له شعر)

ب- (وإن أجمل بيت أنت قائله ∴ بيت يقال إذا أنشدته صدقا) .

ج-٣- مقياس الشاعر :

الشعراء فاعلمنّ أربعهْ

فشاعر يجري ولا يُجرى معهْ

وشاعر يخوض وسط المعمعهْ

وشاعر لا تشتهي أن تسمعهْ

وشاعر لا تستحي أن تصفعهْ .

ج-٤- أقرأ النثر في جميع العلوم ∴ ولي الشعر كالرياض الشذيّة

ج-٥- بداية الشعر تقليد وترثرة ∴ يشوبه من خيال غير محدود .

ج-٦- رنين وأنين، هاتفي ضج في الدجى بالرنين ∴ وأنا منه في خصام مبين .

ج-٧- ولا أتمنى ما يكون حصوله ∴ بعيدًا ولكني أحب الروائعا .

ج-٨- الشعر وجدٌ وإحساس وموهبة ∴ وبسمة وانطباعات وأهواء

ج-٩- (إذا لم تستطع شيئًا فدعه ∴ وجاوزه إلى ما تستطيع)

ج-١٠- سمال على أفنانها الشعر بازغ ∴ قصائد عشر فتقتها البراعم

التنبؤ لها: (إن الهلال إذا رأيت نموّه ∴ أيقنت أنْ سيصير بدرًا كاملا)

ج-١١- هم الرعيل الأول مثل: محمد حسن فقي/ حسن القرشي/ عبدالله بن خميس/ عبدالله بن إدريس .

ج-١٢- (ذهب الذين يعاش في أكنافهم ∴ وبقيت في خلف كجلد الأجرب) .

ج-١٣- القصة [illegible]

نموذج ٩

كلمة أخيرًا ،

شكرًا على تفضلكم في العبد الضعيف، وأرجو ألا تكونوا قد استسمنتم ذا ورم، أو نفختم في غير ضرم. وعذرًا إن قسوت على طلاب اليوم في الشطر الثاني من بيت الشعر، وعذري ما أشاهده فيهم من حيرة، وتمرد، وقلة حيلة، وضياع هدف، ولازلت متفائلًا «تفاءلوا بالخير تجدوه»،

والعفو إن زللت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شعر الحداثة مأخوذ من الحدث ... يا يوسف الخال منه بالحمد والرفث

ويا أدونيس هاته شعرًا بنفثه ... مدنس في ثياب الرجس والخبث

أخرج لنا عبقريًا نقيًا ... يمتع النفس كالرياحين الشذية

ولعلّ قصيدة "السلام عليكم" هي آخر ما خطّت يمينه

بسم الله الرحمن الرحيم / السلام عليكم / شعر لمياء محمد النفيعي

تأن في الصنعة النجلاء في كبدي فأتقيها بذكر الواحد الصمد
أحس يا بارئي التمزيق في بدني فاجعل لهيب المدى يا رب كالبرد
كأن قلبي على السفود يحرقه في جاحم النار يوماً كف مفتئد
يقول لي حضرة الدكتور لا أمل فقلت: لكنه على ذي العرش معتمدي
ثم السلام عليكم ليس لي قبل مما أتاني من الرحمن يا ولدي
ولا ألومك يا دكتور لا عتب رغم الجلافة والإعراض في الصيد
لا تيئسن أيها الآسي فأنت على ما قدر الله لم تنقص ولم تزد
إن المنايا لكل الناس مرصدة فهل هناك من ينجو من الرصد
والموت حق فلا أخشى بوادره وسوف ألقاه بالتوحيد والجلد
وكيف أخشى سهام الموت تفتك بي ولست أملك لا روحي ولا جسدي
وليس خلفي من أخشى تيتمهم يصيبني ولا لي من الأموال ملء يدي
وقد أخذت من الدنيا بهارجها وغرني مثل غيري كثرة الزبد
في كل جارحة ذنب يؤرقني رباه لم أستقم واهتدي أقددي
يا رب لو عدت ذنبي كالحيط لما رددتني خائباً غرثان في العدد
يا منقذي من لهيب النار يا أملي يا خالقي صب نور العفو في خلدي
والمسرفون على أنفسهم فزعوا فقلت: لا تقنطوا من رحمة الأحد
يا سعد من نعمة الإسلام تغمره ومن خلا قلبه من وصمة الحسد

نموذج ١٠

يا قابل التوب امح الذنب عني فقد — مزجت بين طريق الغيّ والرشد

لكن يقيني بعفو الله يحفزني — ألا أخاف من التعذيب يوم غد

فالله معتصمي بل منتهى أملي — والله ملتجئي والله مستندي

يا رب إن كان خيراً لي البقاء فهب — لي من دوائك ما يشفي من الكمد

فأنت أذهبت عن أيوب محنته — في شدة الكرب منّاً منك بالمدد

يا ذا الطبيب الذي أعلنت فاجعتي — أما ترى أنني كالضيغم الحرد

لم أهتزز عندما قالوا كذا مرضي — بل زادني قوة إذ لم يطل أمدي

وقد يموت الفتى من غير ما مرض — بل كان يختال في النعماء والرغد

لكنّ موت أخي قد شل مقدرتي — وكاد يخنقني حبل من المسد

بكيت سراً وجهراً عندما سمعت — أذني بنعي أخي لله يا عضدي

والحمد لله ملء الكون خالقنا — ثم الصلاة على الهادي مدى الأبد

إلا أن كراسة شعره تحمل قصيدةً أخرى بعد "السلام عليكم"، لم تكتمل، قد تكون هي آخر ما كَتَب



عنوان الدرس .... اليوم .... التاريخ / / ١٤

لم يجد من يبثه الوجد فيها
لا أرى في الورى رفيق المشاعر
أو محب قد ذوب الحب منه
أو يتيم في أسرة اللؤم حائر
ينزعون [illegible] من بواعث الخير
فإذا شب شب [illegible]
صار يقتات من فتات البقايا
هكذا قلبه الرقيق [illegible]
تتسلى من الأمنية يغني
ويذيب الجليد في كل لحد
ينقش الحزن مثل نقش الجبين
يجمع الحب والشعور ويهوى

[illegible] بتطييب خاطر
مثل قلب الحزين أو قلب شاعر
حبة القلب [illegible] الجاحم
فوقه أحزانه النسور الكواسر
ويغذونه المدى والخناجر
يسرق الحلو من محيط المحاجر
أو يبيت على الطوى ليل ساهر
في سويدائه سيغنيه [illegible]
كل حين ملء اللهى والحناجر
بعد أن ذاب [illegible] في أمانيه ساحر
صب في قالب من الحسن باهر
عبقري الجمال لو كان غادر

نموذج ١١

ديوان

مرافئ الحُبّ

ملهماتُ الشّعْر

يا مُلْهِمَ الشِّعْرِ أين البَحْـرُ والمـاءُ؟ أين الرَّواجُ وسُوقُ الشِّعْرِ غَوْغـاءُ؟

أين الأزاهـيرُ ألوانـاً تُفَـتِّـقُها براعمٌ مثلما تَـفْـتَـرُّ غَـيْداءُ؟

أين البلابلُ قـد كانـتْ مُغـرِّدَةً جَذْلَـى تُناغِمُها في الأَيْك وَرْقاءُ؟

هل صَوَّحَ الرَّوْضُ؟ هل نامتْ بلابلُهُ؟ هل طَوَّحَتْهُ من الأرواحِ هَوْجـاءُ؟

ذِكْرَى تُؤَجِّجُ أفكـاريْ فأسـكبُها قصيدةً ملْءَ عينيْ، وهْـيَ جَوفـاءُ!

ماذا أَقولُ، وبحريْ كُلُّـهُ نُطَـفٌ في قَعْرِ كأسٍ، وبحرُ الشِّعرِ دَأْمـاءُ؟

****** ******

الشِّعْرُ وَجْدٌ، وإحساسٌ، ومَوْهِبَةٌ، وبَسْمَةٌ، وانطباعاتٌ، وأَهْواءُ
الشِّعْرُ حَرْفٌ، وأطيافٌ، وأَخْيِلَةٌ، ورَوْضَةٌ من رياضِ الفِكْرِ غَنَّاءُ
الشِّعْرُ بَذْلٌ، وإيثارٌ، وتَضْحِيَةٌ، ونَبْضُ حُبٍّ، وأَنسامٌ، وأفياءُ
الشِّعْرُ جَرْسٌ، وقِيثارٌ، وأغنيةٌ، وحُرْقَةٌ، وانتماءاتٌ، وحَوَّاءُ
الشِّعْرُ خَفْقُ فؤادٍ باتَ مضطرباً يَغُطُّهُ في عميقِ الحُزْنِ إغماءُ
الشِّعْرُ، ما الشِّعْرُ إلا فكرةٌ نَضَجَتْ وكان منها على القِرْطاسِ عَصْماءُ
كم ذا أُعالِجُهُ لأْيًا فيتركني حيرانَ، موهبتي صحراءُ جرداءُ
يَنِدُّ عَنِّيْ إذا ما جئتُ أُمْسِكُهُ كأنَّه- يا عبادَ اللهِ - عَنْقاءُ
ما حيلتيْ، والرُّؤَى تأتي مُلَوَّنَةً كما تَلَوَّنُ في الأغصانِ حِرْباءُ؟
حاولتُ أنْ أَرْكَبَ التَّيَّارَ مُعْتَسِفًا أمواجَه، كيف لِيْ، والكَفُّ شَلاَّءُ؟
سفينتيْ يا عبابَ البحرِ مُنْهَكَةٌ تَرْسُوْ على ساحلٍ ما فيهِ ميناءُ

****** ******

يا مُبْدِعَ الشِّعْرِ إنَّ الشِّعْرَ آيَتُهُ تَوَهُّجٌ واندِفاقاتٌ ولأْلاءُ
رِفقاً بشِعْرِيْ فإنِّيْ لستُ مُحْتَرِفاً شِعْرِيْ مزاجٌ وإلهامٌ وأصداءُ
مِنْ مُهجتيْ أَسْكُبُ الألفاظَ صافيةً شَفَّافةً ليس فيها- الدَّهْرَ- عَوْراءُ
نَزيفُهُ مِنْ خيالاتيْ وأَبْدَعُهُ ما كان تُشْعِلُهُ بالوَهْجِ حَسْناءُ
هذا نشيديْ أنا لا أَدَّعِيْ طَرَباً مِنْهُ، ولكنَّهُ دِفْءٌ وأَنْداءُ

أَبُثُّ فيهِ شــجونيْ كُلَّمــا عَــصَفَتْ بِــيَ الكــوابيسُ والآلامُ والــدَّاءُ
سَمُّوْهُ إنْ شِئْتُمو نَسْجــاً مُهَلْهَلَــةً أهدابُهُ ، غَزْلُــهُ تَلْوِيْهِ خَرْقــاءُ!

✍✍

في رحاب الشَّمال

بمناسبة زيارة معالي مدير جامعة الإمام لمعهد عرعر العلمي

في رحابِ الشَّمالِ طابَ اللقـاءُ   يا شَذا الطِّيْبِ لَوْ يطولُ البقـاءُ

في حَشا عَرْعَـرٍ تحُلُّـونَ أهـلاً   رَحَّبَ السَّهْلُ والرُّبَى والفَـضاءُ

فاحَ منها القَيْصُوْمُ والشِّيْحُ لَمّـا   جاءَها الحَظُّ والمُنَـى والرَّجـاءُ

ردَّدَتْ مِنْ نَدَى التَّـرَنُّمِ لَحْنًـا   حَمْدَلَتْ حِيْنَ رامَهـا العُلَمـاءُ

* * *   * * *

أَيُّها الراسخونَ في العِلْمِ طُـوْبَى   إذْ حَوَيْتُمْ مـا وَرَّثَ الأنبيـاءُ

حَبَّذا الإرْثُ فاضَ مِنْ قَـسَماتٍ   ناضَ منها التَّواضُعُ[1] والـضِّياءُ

إنْ تَجَـشَّمْتُمُ الـصِّعابَ فإنَّـا   أُمَّـةٌ لا تُلِيْنُهـا الـلأْوَاءُ

---

[1] حركة العين مشبعة ليستقيم الوزن.

أُمَّةٌ تَعْسِفُ الرِّمـالَ وتَمْـضِي ... للعُلَـى لا تُـذيبُها الرَّمْـضاءُ
أُمَّةٌ شَـقَّتِ المفـازاتِ غُـزَّى ... كالسَّراحينِ نَدَّ منـها الـشَّاءُ
أُمَّةٌ راضَتِ البِحـارَ وراحَـتْ ... تَـأْطِرُ المَـوْجَ فاسْـتَقَرَّ المـاءُ
بشِعارٍ مِنْ مَوْرِدِ الطُّهْرِ صـافٍ ... سَلْسَبِيْلٍ يَـثِجُّ منـهُ الإخـاءُ
ولِباسٍ مِنْ مُحْكَمِ الدِّيْنِ ضـافٍ ... مُبْرَمِ النَّسْجِ شُدَّ منـهُ الرَّفـاءُ
وإذا أُمَّـةٌ لهـا الـدِّيْنُ هـادٍ ... حَقَّقَتْ بالعقيدةِ[1] مـا تَـشاءُ

* * *

يا شُعاعَ الأمجادِ يا نِسْغَ أجـدا ... دِ شِدادٍ سَمَتْ بِهِـمْ صَـحْراءُ [م]
مِنْ نَقاها ومِنْ شناخِيْبِها السَّمْـ ... ـراءِ جاءَتْ وجُوْهُنا السَّمْراءُ
أَنْجَبَتْ كُلَّ ضَـيْغَمٍ شَـيْظَمِيٍّ ... يَنْزَوِي مِـنْ زَئِيْـرِهِ الأَعْـداءُ
أَقْدَسُ الأرْضِ في الـدِّيارِ بِـلادٌ ... جَلَّلَتْهـا الـشَّرِيعَةُ الغَـرَّاءُ

* * *

يا رِكاباً تَـسيرُ فيـهِ المَعـالي ... والهُـدَى والمَحَجَّـةُ البَيْـضاءُ
إنْ بَـرَرْتُمْ بِوَصْـلِنا فَوَفـاءٌ ... كَرِّرُوا، دَيْدَنُ الكَـريمِ الوَفـاءُ
لا تخافوا بَرْدَ الـشَّمالِ، ففيهـا ... يُوْجَدُ الدِّفْءُ والنَّدَى والصَّفاءُ!

---

[1] حركة التاء مشبعة ليستقيم الوزن.

أو تقولوا: "بَعِيْـــدَةٌ"، لا بَعِيْـــدٌ   عندنا اليومَ والطريقُ الـــسَّماءُ!

* * *   * * *

يا معـــاليْ مديرِنا الحِبّ، أهـــلاً!   رَدَّدَتْها السَّـــاحَاتُ والأرجـــاءُ

📖 📖

الوردة الفوّاحة

جاءتْ كنَفْحِ المِسْكِ ذاتَ مــساءِ ... خَجْلَى تُهامِسُنِيْ على استحياءِ

جاءتْ كزنبقةِ الرَّبيــعِ، كبَـسْمَةٍ ... مزهوَّة، كالدِّفْءِ، كالأَنــداءِ

قالتْ: "مساء الخيرِ"، وانكشفَ الدُّجَى ... عن وَهْجِ وَجْهٍ مُشْرِقٍ وضَّــاءِ

أَلْقَتْ ســلاماً أريحيًّــا وأَرْدَفَــتْ ... حَيَّاكَ، أهلاً بالقريبِ النَّــائي[1]

فاستَعْجَمَتْ عنديْ الحروفُ مهابــةً ... حتى غدوتُ كنــاطقٍ فَأْفــاءِ

في صوتِها المخنوقِ رَجْفَةُ خــائفٍ ... والخوفُ طبعُ الغادةِ الحـسناءِ

مَدَّتْ- مصافحَةً- يَداً منْ عَـسْجَدٍ ... يـزدانُ بـالبَلُّوْرَةِ المَلْـساءِ

دَبَّتْ حــرارةُ كفِّهــا في مُهجــتي ... كالكهرباءِ تَلامَـسَتْ بالمــاءِ

نامتْ أَنامِــلُ راحــتيْ في كَفِّهــا ... يا وَيْلَ كَفِّي مِـنْ دَمِ الحَنَّــاءِ

غاصتْ نوازعُ خاطريْ في حُسْنِها ... كيما تَفُــوْزَ بــدُرَّةٍ عــذراءِ

---

[1] كذا الشطر الأول في المخطوط والمطبوع من القصيدة، واستقامة الوزن: "ألقتْ سلامًا أريحيًّا. أردفتْ"، بحذف الواو.

قُلْتُ، وقد مَلَكَ الجمالُ مشاعريْ،   مَنْ أنتِ؟ أنتِ تُوْءَمُ الجَوْزَاءِ![1]

أُدْنِيْ، اجلسيْ يا شمسُ، يَنْقَلِبُ الدُّجَى   نُوْراً أَقِيْمِيْ بواحتيْ الجَـــرْدَاءِ[2]

أُدْنِيْ لِيَفْـــرَحَ مَـــرَّةً "مـحـــسوبُكُمْ"   أُدْنِيْ لِيَسْعَدَ بالضياءِ شَـــقائي[3]

خَلِّيْ بساطَكِ "أَحْمَـــديًّا"، رَدِّدِيْ   عَذْبَ الكلامِ ولَطِّفِيْ أجوائي

قالَـــتْ: بَعيـــدٌ ذاكَ إنَّ حـــرارتي   تشويكَ ثمَّ تموتُ في أفيـــائي

قلتُ: الشَّذَا الفوَّاحُ ضَـــوَّعَ ريحُـــهُ   عنديْ قُبَيْلَ مجيئِـــكِ الوَضَّـــاءِ

مَنْ أَنْتِ؟، قالَـــتْ: وردةٌ فوَّاحـــةٌ   مِنْ روضة محميَّـــةِ الأرجـــاءِ

الوردُ فيها لا يُـــــــاحُ لعابِـــثٍ   في الشَّـــمِّ أو في اللُّعْبَةِ العَمياءِ

ما مُسَّ زنبقُ روضِهـــا مِنْ طامـــعٍ   إلاّ وعـــادَ براحـــةٍ شَـــــلاَّءِ

---

[1] تجنّبًا للخزل- أي اجتماع الإضمار والطيّ، وهو قبيح في البحر الكامل- لا بُدّ من إشباع حركة التاء مـــن كلمـــة "قلتُ". وكذا إشباع حركة التاء في كلمة "أنتِ"، الثانية، تجنّبًا للوقص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفـــاعلن"، وإن كان الوقص صالحًا هنا حسب العروضيين.

[2] لا يستقيم الوزن إلا بحذف ياء "أقيمي". ويمكن جعله: "نوراً يقيمُ بواحتي الجرداءِ"، أو "نوراً يقيمُ بواحتي الظلماءِ". وكان الشاعر قد كتب في نسخة أخرى: "نوراً وتنبت واحتي الجرداءُ"، ومعناه في هذا أبلغ، غير أنه تجنّبًا للإقواء عَدَل إلى الصيغة الأخيرة.

[3] "محسوبُكُمْ"، كذا! وقد تكون: "محبوبكم".

قلتُ، احتراماً، يا مشابهةَ اســـــمِها … مرحَى وعاشتْ روعةُ الأسمــاءِ!

إني عرفــتُك قبـــلَ أنْ تتكلَّمــــــي … أنتِ الشَّــذا مِنْ روضتيْ الغَنَّــاءِ

أنتِ الزميلـــةُ في ملاهــي طفــولتي … وصبابــتيْ وربابتيْ وغنــائـــيْ[١]

قالتْ- وما صَدقَتْ، ولم تَكُ أَنْصَفَتْ … فيما تُؤَمِّلُ-: أنـــتَ كالحربــاءِ

لا تفهمِ الأشــياءَ عَكْــسَ مُرادِهــا … حاســبْ ومَيِّــزْ دِقَّــةَ الأشــياءِ

مــا جئــتُ إلاّ للــسلامِ ولا تَــرِمْ … شيئاً ســواهُ فلــستُ بالبَلْهــاءِ

لــستُ مراهقـــةً تـــذوبُ فترتمـــي … بينَ الذئابِ ولــستُ بالحمقــاءِ[٢]

بلْ لــستُ ممّــنْ تــستبيها غرائــزٌ … مثل السرابِ، تَلِــيْنُ للإغــراءِ[٣]

الحُبُّ أسمَــى مِــنْ حبائــلِ مــاكرٍ … يرمي الشِّباكَ رخيــصةَ الأهــواءِ

لولا القرابــةُ ما تَرَكْتُ مشــاعري … تَلْهُوْ لديــكَ بِعِــزَّتيْ الشَّــمَّــاءِ

---

[١] لا يستقيم الوزن إلا بحذف ياء "ملاهي".

[٢] تلافيًا للخزل في التفعيلة الأولى من البيت، تراعى ضرورة إشباع حركة التاء في كلمة "لستُ".

[٣] لا يستقيم الوزن إلا بحذف ألف "تستبيها".

قلتُ: السَّماح، يا مــلاكُ، فــإنَّني ... أَسْمُوْ بكِ عنْ مَزْلَــقِ الإغــواءِ[١]

كيفَ الحياةُ؟ وكيفَ مَنْ في دارِكُمْ؟ ... هل ما يزالُ كــصخرةٍ صَــمّاءِ؟!

غُــوْلٌ تَرَبَّــعَ في خيــاليْ دائمــاً ... أنيابُــهُ مِــنْ أعظــمِ الأعــضاءِ

حتى المــشاعرُ غالهــا في مهــدِها ... هل ما يزالُ كســائرِ الأحيــاءِ؟!

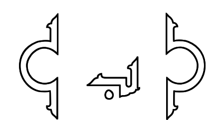
قالتْ: وداعاً سوفَ أَحْبِسُ عَبْــرَةً ... حَرَّى سَتَفْضَحُنيْ لَدَى الأعــداءِ

عادتْ تَعُسُّ الدَّرْبَ تَسْرِقُ خَطْوَها ... وكأنها تَمْــشِيْ علــى أَشــلائي

باتــتْ قريــرةَ عَيْنِهــا في بَيْتِهــا ... مَعَ أَهْلِها جَذْلَــى وبِــتُّ بدائي



[١] حدث في تفعيلة البحر الكامل في الشطر الأول الوَقْص، إلا إنْ أُشبعتْ حركة الحاء في "السماح"، والوقص زحــاف ثقيل، حكمه عند العَروضيين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه. وكان بإمكان الشاعر أن يقول مــثلاً: "قلــتُ: السَّماحةُ يا ملاكُ فإنَّني"، أو " قلتُ: اسمحي لي يا ملاكُ فإنَّني".



حال الشباب

مهداة للشيخ الشاعر/ عيد النعيم

وقد سأل في إحدى قصائده عن حال الشباب وعن مدى تحصيلهم العلمي وزوَّدَهم بنُصح قَيِّم

يا ناظماً مِنْ خِيارِ الـــدُّرِّ أَرْوَعَـــهُ   يَزْهُوْ بهِ الرَّقُّ، في تنظيمه، العَجَبُ[١]

فيه الجزالــةُ يُزجيْهــا مُحَلِّقــــةً   فيه السُّهولــةُ والإيقاعُ والطَّـــرَبُ

فيـــه الصياغـــةُ يُسديْهـــا مُرَنَّمَـــةً   فيه النَّصيحَةُ والإرشادُ والعَتَـــــبُ

فيـــه البلاغـــةُ يُهْديها مُجَنّحَــــــةً   فوَّاحــةً بأريـــجِ المِسْكِ تَنْــسَرِبُ

جاءَ القَريضُ بفَيْضِ النُّصْحِ يدفعُـــهُ   الحُبُّ والصِّدْقُ والإخلاصُ والحَدَبُ

---

[١] العجب: صفة "الرَّقّ".

يحلُو بإنشادهِ في فِيِّ قارئه ... كما حلا رازقيُّ الكَرْمِ والرُّطَبُ[1]

*****

يا سائلاً كيف حالُ النَّشْءِ في وَلَه ... شعارُهُمْ- يا صديقي- النَّوْمُ والهَرَبُ

اسألْ خبيرًا لهُ عِلْمٌ وتجربةٌ ... شبابُنا— إنْ تَمادَى— بيتُهُ خَرِبُ

أبناؤكُمْ- ياعزيزي- هَمُّهُمْ أَبَداً ... النَّصْرُ هل فازَ أم هل فازَ مُنْتَخَبُ؟

أبناؤكَ الغُرُّ إنْ تسألْ فهُمْ نَفَرٌ ... العلْمُ منْ هَجْرِهمْ يبكي ويَنْتَحِبُ

دروسُهُمْ دَرَسَتْ آثارُها وبَدَتْ ... أطلالُها، صاحَ فيها البُوْمُ والخَرَبُ

تمزَّقَتْ صفحاتُ الكُتْبِ منْ عَبَث ... بها وصارتْ عليها النارُ تَلْتَهِبُ

كَمْ مُهْمِلٍ غارقٍ في اللَّهْوِ مُندَفِعٍ ... يغوصُ في غَمراتٍ ما لَها سَبَبُ

وبعضُهُمْ مُفْعَمٌ بالمَكْرِ داهيةٌ ... كحَيَّةٍ ما لها رَأْسٌ ولا ذَنَبُ

في الفصلِ يَعْبَثُ والأستاذُ ينصَحُهُ ... وبالنصيحَةِ زادَ الهَزْلُ والشَّغَبُ

*****

وَيْحَ المُدَرِّسِ، ما هذا الجزاءُ لَهُ؟ ... إنَّ العدالةَ أَنْ يُعطَى كما يَهَبُ

أينَ الوفاءُ؟ وما هذا الجَفاءُ لهُ؟ ... أليس من نَبْعه الرَّقْراقِ قد شَرِبُوا؟

داءٌ عُضالٌ تَفَشَّى في الشَّباب، وقد ... نالَ المعالجَ منْ جَرَّائه العَصَبُ

في أَوَّلِ العامِ إهمالٌ ومَضْيَعَةٌ ... كحاطبِ الليلِ ضاعَ الجُهْدُ والحَطَبُ

---

[1] الرازقي: نوع من الزبيب اليماني الأصفر.

وآخرُ الـــعامِ أفـــواجٌ مُـــنَـــظَّمَةٌ على"الخصوصيْ" وقامَ العَرْضُ والطَّلبُ[١]

*****

يا طالبَ العلْـــمِ خُذْهُ منْ مضامنه بهمَّة وابْتَعدْ عَـــمَّـــنْ بـــه جَـــرَبُ

هل يَستويْ طالبٌ في اللَّهْوِ مُنْغَمسٌ يَقودُهُ للرَّزَايـــا الطَّـــيْشُ والَـــصَّخَـــبُ؟

في رأسه عَشْعَشَتْ أفكارُ مُنْحَرِفٍ يعـــيشُ "كـــالثَّوْرِ" لا عِلْـــمٌ ولا أَدَبُ

وطالبٌ باتَ طُوْلَ الليلِ مُنْهَمِكـــاً يبدو على جِـــسْمه الإرهـــاقُ والوَصَـــبُ

يَغُوْصُ في غَمَرَاتِ العِلْمِ مُلْتَمِســاً أصدافَهُ، يالَهُ! كَـــمْ نالَـــهُ التَّعَـــــبُ؟!

*****

العلْمُ، يا صاحِ، رأسُ المالِ يَكْنِـــزُهُ أهـــلُ المعارفِ لا مـــــالٌ ولا نَـــشَبُ

لكـــنَّ أيـــنَ النحاريرُ الذيـــن لهُمْ منابرٌ يرتقيهـــا الـــشِّعْرُ والخُطَـــــبُ؟

بل أينَ مَنْ تَفْخَرُ الدُّنيا بهمْ وهُـــمُ نُوْرُ الدَّياجيْ بُحُـــوْرٌ ســـادَةٌ نُجُـــبُ؟

في كُلِّ فَـــنٍّ قواميـــسٌ جهابـــذةٌ تَعْلُـــوْ بِهِمْ رُتَـــبٌ مِنْ بَعْـــدِها رُتَـــبُ

---

[١] الخصوصي: يقصد الدرس الخصوصي.

مِنْ عَبَقِ الشَّمال

سما نجمُكُمْ بالسَّعدِ والمَجْدِ والحُبِّ ... يُضِيْءُ دُرُوْبَ الفَخْرِ في البُعْدِ والقُرْبِ
أبا خالد مَنْ رامَ مغنـــاكَ لم يَجدْ ... سِوَى صَفْوَةِ الإبْرِيْزِ والسَّلْسَلِ العَذْبِ
وفينانـــةً فيهـــا السَّنَـــى مُتَـــأَلِّقٌ ... يَمُدُّ شُعاعَ اليُمْنِ في الأُفُـــقِ الرَّحْـــبِ
على جِيْدِها عِقْدُ الوَفـــاءِ مُرَصَّعٌ ... بواسِطَـــةٍ لمـــَّاعةٍ صنعـــةِ الـــــرَّبِّ
نَمَتْ في محيطِ الرَّمْلِ مَدَّتْ شِراعها ... يباري هُبُوْبَ الرِّيْحِ بالخَيْرِ والخِـــصْبِ
يَشُقُّ بهـــا رُبَّانُهـــا المَـــوْجَ رافعاً ... شِعارَ الوَفا والودِّ والـــذَّوْدِ والحَـــدْبِ
ويَحْكُمُها بالعَدْلِ والنُّبْلِ والتُّقَـــى ... ويَحْكُمُها بالعَقْلِ والصَّارِمِ العَضْـــبِ
قَطَعْتَ بها شَوْطاً مِنَ الحُسْنِ فائقاً ... وزِدْها فقد تاقَتْ ولـــمَّا تَقُلْ حَسْبِي
كأنِّي بهـــا تَخْتَالُ جَذْلَـــى قَرِيْرَةً ... لها أَمَلٌ في العِزِّ أَعْلَى مِنَ الـــسُّحْـــبِ
تُموسِـــقُ أزهـــارَ الربيعِ قصائداً ... وتُوْقِدُ جَمْرَ الطِّيْبِ بالمَنْدَل الرَّطْـــبِ
وتَنْسُجُ مِنْ عَـــزْمِ الرِّجالِ سَوابغاً ... وتَغْـــزِلُ أفـــوافـــاً مُذَهَّبَـــةَ الهُـــدْبِ
فَتَنْـــداحُ أصـــداغُ الرِّمالِ حضارةً ... ويَنْثَالُ أَغْلَى التِّبْرِ مِنْ مَنْجَـــمِ التُّـــرْبِ

أيّها العرب...![1]

تَعَادَوا أيُّها العَـــرَبُ تفانَوا، بَيْنَكُمْ نَــسَبُ!

ومَنْ أَوْلَى بِطَحْنِكُمُ إذا لَمْ تَطْحَنِ النُّجُبُ؟!

ترامَوا واهْرَعُوا قُدُمًا حثيثًا وقتُكُمْ ذَهَـــبُ!

وزيدوا في معاطِنكُمْ[2] لعلَّ الأرضَ تلتـــهِبُ!

صِلُوا منها قـــرابَتَكُمْ فأنتمْ وَسْطَها الحَطَبُ!

وأَعطُوا جزْيَةً صُغُرًا فهذي أرضُكمْ تُهَبُ!

رجعتُمْ مثلَ أَوَّلِكُـــمْ يعيشُ الثأرُ والطَّلَـــبُ!

أعيدوها[3] كما بَدَأَتْ حروبًا ما لها سَـــبَبُ!

---

[1] أبياتٌ وجدت على قصاصة بين أوراق الشاعر، كأنها مشروع قصيدة لم تكتمل.

[2] كان الشاعر قد كتب: "وزيدوا من قذائفكم"، ثم كتَب فوقها: "في معاطنكم".

[3] في الأصل: "أعدتمها".

مِنْ عَبَقِ الشَّمال

سما نجمُكُمْ بالسَّعدِ والمَجْدِ والحُبِّ ... يُضِيْءُ دُرُوْبَ الفَخْرِ في البُعْدِ والقُرْبِ

أبا خالد مَنْ رامَ مغنـاكَ لم يَجدْ ... سِوَى صَفْوَةِ الإبْرِيْزِ والسَّلْسَلِ العَذْبِ

وفينانـةً فيهـا السَّنَـى مُتَـأَلِّقٌ ... يَمُدُّ شُعاعَ اليُمْنِ في الأُفُـقِ الرَّحْـبِ

على جِيْدِها عِقْدُ الوَفـاءِ مُرَصَّعٌ ... بواسِطَـةٍ لمـَّاعة صنعـةِ الـرَّبِّ

نَمَتْ في محيط الرَّمْلِ مَدَّتْ شِراعها ... يباري هُبُوْبَ الرِّيْحِ بالخَيْرِ والخِـصْبِ

يَشُقُّ بها رُبَّانُهـا المَـوْجَ رافعاً ... شعارَ الوَفا والودِّ والـذَّوْدِ والحَـدْبِ

ويَحْكُمُها بالعَدْلِ والنُّبْلِ والتُّقَـى ... ويَحْكُمُها بالعَقْلِ والصَّارِمِ العَضْـبِ

قَطَعْتَ بها شَوْطاً مِنَ الحُسْنِ فائقاً ... وزِدْها فقد تاقَتْ ولـمَّا تَقُلْ حَسْبِي

كأنِّي بها تَخْتَالُ جَذْلَـى قَرِيْرَةً ... لها أَمَلٌ في العِزِّ أَعْلَى مِنَ الـسُّحْـبِ

تُموسِـقُ أزهـارَ الربيعِ قصائداً ... وتُوْقِدُ جَمْرَ الطِّيْبِ بالمَنْدَل الرَّطْـبِ

وتَنْسُجُ مِنْ عَـزْمِ الرِّجالِ سَوابغاً ... وتَغْـزِلُ أفـوافـاً مُذَهَّبَـةَ الهُـدْبِ

فَتَنْـداحُ أصـداغ الرِّمالِ حضارةً ... ويَنْثَالُ أَغْلَى التِّبْرِ مِنْ مَنْجَـمِ التُّـرْبِ

تُسَبِّـــحُ مِـــنْ أفـــراحِها اللّهَ رَبَّها ... وقد دَفَنَتْ أتراحَها أَعْصُـــرَ الجـَـدْبِ

حَماها مِنَ التَّعْوِيْقِ في سَيْرِها الذي ... حَمَى يُوْسُفَ الصِّدِّيقَ في وَحْشَةِ الجُبِّ

******

ولِيْ فـــي بِداياتـــيْ وفيها حكايةٌ ... أُمَتِّعُ نفسيْ مِـــنْ تباريحِهـــا دَأْبـــي

فما إنْ بَدَا لِيْ رَسْمُها، قُلْتُ:بُعْدُها ... كبيرٌ، وبيْ منها كثيـــرٌ مِنَ الرُّعْـــبِ

ووجَّهْتُ باسمِ اللهِ رَكْبِيْ تجاهَهـــا ... وأَسْأَلُ نفسيْ: أينَ مُتَّجِـــهُ رَكْبِـــي؟!

ومَنْ كان يَهْدِيْنِيْ لأَكنافِ عَرْعَرٍ؟! ... وكنتُ على بيدائهـــا تائــهَ الـــدَّرْبِ

ولكنْ، وفي وقـــتٍ قصيرٍ، أَلِفْتُها ... وأَصْبَحْتُ أَدْعُوْهَـــا بِمُتَّكَـــإِ الجَنْـــبِ

رَبِيْبٌ لها بِضْعاً وعِشريـــنَ حِجَّةً ... أَهِيْمُ بِها عَصْمَاءَ مَعْشُوْقَـــةَ القَلْـــبِ

ولا عَجَبٌ أَنِّي تَوَطَّنْتُ ظَهْرَها ... تأَلَّفْتُهـــا جِدًّا فـــأَصْفَيْتُها حُبِّـــي

فإنَّ بِها سَمْـــحَ الشَّمائِلِ ماجِداً ... مِنَ آلِ سُعُوْدٍ إخوةِ السِّلْمِ والحَـــرْبِ[1]

مِنَ الدَّوْحَةِ الغَنَّاءِغاصَتْ جُذُوْرُها ... لتَنْـــداحَ مِنْ أَعْرَاقِها ســـادةُ العُرْبِ

---

[1] الهمزة الأولى من "آل" تسقط في مثل هذا الموضع ضرورة، بحيث يصبح هذا المقطع هكذا: "مِنَآلِ سُعُوْدٍ". ونظيره قول أبي الأسود الدؤلي، مثلاً:

لَعَمرُكَ مَرسوعٌ مِن آلِ مُجالِدٍ ... لَخَرشَبتَ لي يَومَ التَقَينا جَوابَكا

دمـــاثـــةُ أخـــلاقٍ ونُبْلٌ وعِفَّةٌ   وقُوَّةُ إيمانٍ ومنهـــمْ أبو الـــشَّعْـــبِ
ومِنْ هذه الصَّحْراءِ أَثْرَى تراثُنـــا   صناديدَ صِيْدٍ في المَسَرَّاتِ والكَرْبِ
وعَرْعَرُ في البيـــداءِ غَرَّاءُ حُـــرَّةٌ   تَشُقُّ المَدَى بالعَزْمِ في المَرْكَبِ الصَّعْبِ
تُشَمِّرُ مـــِنْ مِضْمارِها يَعْرُبِيَّـــةً   مُحَجَّلَةً مَـــوَّارَةً فَـــذَّةَ الـــوَثْـــبِ
بَنَتْ مِنْ حُبَيْباتِ الرِّمالِ مآثِراً   على صَدْرِها تَخْتالُ راسِخَةَ الكَعْبِ
حلتْ مِنْ سُمُوْطِ العاشقينَ قلائداً   على جيدِها تَسْبِيْ اللَّبيبَ وقد تُصْبي[١]
وفي شمسِها ظِلٌّ وفي بَرْدِها دَفًا   وفي روضِها الأنسامُ تُغْني عن الطِّبِّ
ويسألُنِيْ قومـــيْ لمـــاذا عشقتَها   فقلتُ: لها سِرٌّ معَ المُدْنَفِ الصَّـــبِّ
فقالوا: وهل فيها منَ الحُسْنِ مَطْمَعٌ   فقلتُ: أَرَى فيها سَنَى الشَّرْقِ والغَرْبِ
على خَدِّها قُبْلاتُ عِشْقٍ سَكَبْتُها   وكَحَّلْتُ مِنْ ذَرّاتِها طُرَّةَ الهُـــدْبِ
وإنْ غِبْتُ عنها ضَجَّ بِيْ الشَّوْقُ والهَوَى   إذا كُنْتُ مدفوعاً إليها فما ذَنْبي؟!
ورَبِّكَ إنْ جادَ الرَّبيعُ تَـــزَيَّنَـــتْ   بأزهارِها العـــذراءِ فَتَّانَـــةً تَسْبِـــي
وليس بعيداً أنْ تَكُوْنَ رِحَابُهـــا   ظلالاً ونَلْهُـــوْ في حدائقِها الغُلْـــبِ
ونَدْعُوْ لِمَنْ كانتْ تَدِيْنُ لِجَهْـــدِهِ   نَقُوْلُ: اجْزِهِ بالخَيْرِ والبِرِّ يا رَبِّـــي!

***

---

[١] في نسختين من القصيدة بالآلة الكاتبة: "حلتْ"، (بالحاء)، وقد تكون الكلمة "جَلَتْ"، (بالجيم).

ما هكذا كنتِ يا بغداد !

بغدادُ، يا منْبَرَ الأَشْــعَارِ والخُطَــبِ   كانتْ لنا نَجْمَةً تَسْمُوْ على السُّحُبِ

بغدادُ، أين الرشــيدُ اليــومَ يُنقــذها   من عُصْبَةِ الزَّمْرِ والتطبيلِ والطَّــرَبِ

ماذا دَهاها؟ لُعَابُ الفُحْشِ مُنْــسَدلٌ   على شــفاه ســفيْه ســيِّءِ الأَدَبِ

يَــصُبُّ مــذْياعُها المَوْبُــوْءُ نقْمَتَــهُ   بالسَّبِّ والبُهْتِ والتَّجريحِ والصَّخَبِ

ما هكذا كنتِ يا بغــدادُ فــادَّكري   دارَ الخلافــةِ والآثــارِ والكُتُــبِ

يا أَيُّهــا النَّــاعقُ المِهْــذَارُ مَعْــذرةً   لا نُتْقنُ الشَّتْمَ والإقْــذَاعَ بالكَــذبِ

نُسْديْ الحَقَــائقَ أَسْــطَارًا مُــصَوَّرَةً   كُنْهَ الحوادثِ بالبُرهَــانِ والــسَّبَبِ

* * *

يا أرضَ دجْلَةَ- رحماك- كفَى دَجَلاً   تمسَّكيْ بعُرَى الإســلامِ واحتــسبي

ما حزبُ تكريتَ إلا شَوكةٌ زُرعــتْ   في تُرْبك الطاهرِ المــزروعِ بالعنَــبِ

ثُوري على البَغْيِ والإجرامِ وارتقــبي   نصراً منَ الله ذيْ الإجلالِ والغَلَــبِ

ثُوري على المارقِ الأفّاكِ وانتظــري   يوماً عَدُوَّ المَلا يجثوْ علــى ا لرُّكَــبِ

* * *

يا نخلةَ المَجْــد في بغــدادَ ليْ أَمَــلٌ ... أنْ تَنْفَحيْ الجَوَّ بالكافورِ والرُّطَــبِ
عَيْنٌ على سيرةَ المنصور مــا رَقَــأَتْ ... وفي الرُّصافة أعيــانٌ بــلا هَــدَبِ
عودي إلى مَجْدك المَهْدُوْرِ في عَجَــلٍ ... يا أُمَّةَ المَجْدَ والإســلام والحَــسَبِ
ذُرِّيْ غُبارَ الإِباَ فِي عَــيْنِ مُــضطَّهدٍ ... ولَقِّنِيْــه دُرُوْسَ الــذُّلِّ والحَــرَبِ

* * *

غَدَرْتَ بالجارِ يــا صَــدَّامُ في غُــدُرٍ ... منَ الليالي "أهذي شيمةُ العــربي"؟!
وأنتَ تزعمُ– مَزْهُــوًّا ومنتفخــاً– ... بأَنَّ أجدادكَ الأشــرافُ، يا عَجَــبي!
إنْ أنتَ– زَعْماً– تكونُ منْ قريشَ فقد ... تَمُتُّ– حَتْماً – بعرْق منْ أبي لَهَب!
أَوْبَاشُكَ العُمْيُ يا مغرورُ قد وَقَعُــوا ... في وَصْمَة العارِ إذْ لَبَّــوكَ للطَّلَــبِ
أَوْلَغْتَهُمْ منْ كُؤوسِ الإِثْمِ مِنْ عَفَــنٍ ... تَبًّا لكُمْ يا بَنِــيْ حَمَّالــةِ الحَطَــبِ

* * *

يا سادراً في طريــق الغَــيِّ مُرْتَفقــاً ... وَطَاوطَ البَعْث لا تَغْتَــرَّ بالنَّــسَبِ
يا صِنْوَ شَمْشُوْنَ إنْ تَعْمَى فلا عَجَبٌ ... أَنْ يُفْرِزَ البَعْثُ تمثالاً مــنَ النُّــصُبِ
لم يقترفْ عــربيٌّ مثلمــا اقترفــتْ ... يداكَ مِنْ سُوْءِ تَدْبِيْرٍ مَــدَى الحقَــبِ
أشقيتَ نَفْسَكَ يا مصدورُ رُمْــتَ إلى ... بحرٍ محــيط عميــق هــادرٍ لَجِــبِ
سيُصْبِحُ سيفُكَ المَسْلُوْلُ عَنْ كَثَــبٍ ... بإذنِ رَبِّ الوَرَى عُوْدًا منَ الخَــشَبِ[1]

* * *

---

[1] لاستقامة الوزن لا بُدَّ من إشباع حركة الحاء في "سيُصْبِحُ".

يا شعبَنا في الكُوَيْــت الحُــرِّ أُغْنــيَتي ... اللهُ أكــــبرُ في الــــسَّرّاءِ والكُـــرَبِ
لا يُرْجــــعُ الحَــــقَّ إلا صـــارمٌ ذَربٌ ... في كَفِّ أَرْوَعَ مَرْقيٍّ مـــنَ العَطَـــبِ
لَعَلَّكُمْ أَنْ تُحِلُّوا – عنْدَ عَــوْدَتكُمْ– ... أَرْضَ الكُوَيْت منَ الأَدْرَان والجَـــرَبِ
رُدُّوا إليها سَـــنَى الإسْــلامِ مُؤْتَلقــا ... بالحُبِّ مُنْبَثِقاً مِنْ صَـــدْرِها الرَّحِـــبِ

* * *

يا جَذْوَةً في شَباب الـــدِّيْنِ أجَّجَهـــا ... غَزْوُ الكُوَيْت فَثَارَ النَّقْـــعُ باللَّهَـــبِ
منْ هذه الأرضِ شَعَّ النُّوْرُ وانطَلَقَـــتْ ... جحافلُ الفَتْحِ في الآفاق عَنْ رَغَـــبِ
إلى التَّطَوُّعِ يُـــرْوُوْنَ الثَّـــرَى بِـــدَمٍ ... منَ الفُؤادِ على الأَقْـــدامِ مُنْـــسَكبِ
جُذُوْرُكُمْ في تُخُوْمِ الأرضِ راســـخةٌ ... منْ نُسْغها أَوْرَقَ التـــاريخُ بالــــذَّهَبِ
تَحَفَّزُوا بـــــاركَ اللهُ مـــآرِبَكُـــمْ ... نَيْلُ الشَّـــهادةِ فينا غايـــــةُ الأَرَبِ

* * * * *

ت

طالَ سُهدي[١]

طالَ سُهدي وهَمْهَمَتْ كلمـــاتي   في فؤاديْ بـــالآهِ والحَـــسَراتِ

صارَ لَيْلِــيْ كأنَّـــهُ أَلْـــفُ شَـــهْرٍ   في بحارِ الأفكارِ والـــذِّكْرَياتِ

تُجْهِشُ النَّفْسُ في سُكونٍ رَهيْـــبٍ   وأرَى العَيْنَ تُـــسْبِلُ العَبَـــراتِ

لِمَ يا نَفْـــسُ ما أصابَـــكِ هـــلاَّ   تَرْعَوِيْ[٢] عن مسالكِ التُّرَّهاتِ؟

---

[١] عُثر على هذا النصّ في أوراق الشاعر، وليس منه نسخة أخرى. ومن الواضح أنه تجربة أوّلية غير منقّحـــة، (راجـــع صورة المخطوط: نموذج رقم ١). ولذا كانت فيه بعض هنات سيشار إليها.

[٢] ترعوي: على سبيل الالتفات من المخاطب "النفس" إلى الغائب. أما لو كانت العبارة للمخاطب، فالصواب نحـــوًا: "ترعوين".

ثُمَّ يا عَيْنُ هـــل رُزِئْـــتِ بخَطْـــبٍ يَجْعَلُ الدَّمْعَ كالمَسِيْلِ الفُراتِ؟[١]

أَفِـــــرَاقٌ أَمْ غُرْبَـــــةٌ أَمْ بُعَـــــادٌ عَنْ رُبُوْعِ الخِلاَّنِ؟ قُوْلِيْ وهاتي

أَمْ هَوًى في الفُؤَادِ أَجَّجَـــهُ الـــشَّوْ قُ حَنِيْنًا إلى البُنـــاة العُـــلاة؟[٢]

أَمْ هُوَ الطَّيْشُ في نُفُوْسٍ ضِـــعَافٍ غَيْـــرِ أَهْـــلٍ لِقُـــوَّةٍ وثَبَـــاتِ؟

أَمْ لَعِـــيْنٌ مِـــنَ الـــشياطينِ غِـــرٌّ قادكِ عاجلاً إلى الـــشَّهَواتِ؟[٣]

خبّرينيْ بربِّـــكِ واصـــدُقينيْ الـــــقَوْلَ مِنْ قَبْلِ أنْ تَشيْبَ شَواتي

أَ وَلَسْتِ يَوْمًـــا تَقُـــوْلِيْنَ فَخْـــرًا ليسَ في الكَوْنِ مَنْ يَفُلُّ قناتي؟!

أَ وَلَسْتِ يَوْمًـــا تَقُـــوْلِيْنَ فَخْـــرًا أنا أَقْوَى مِنْ شامِخِ الرَّاسِيَاتِ؟!

قالت النَّفْسُ: ما دهـــانِيْ عَظِـــيْمٌ مُؤْلِمٌ فـــادِحٌ جَليـــلٌ وعَـــاتِ

ذاك أَنَّ الإسلامَ أَضْـــحَى غَرِيبًـــا بَعْـــدَ عِـــزٍّ ومَنْعَـــةٍ وحُمـــاةِ

لَهَبُ الحُزْنِ في ضَمِيْرِيْ شُـــواظٌ مَنْ يُعِيْـــدُ إليَّ مَجْدَ الأُبـــاةِ[٤]

---

[١] في الأصل ما قراءته: "يجعل الدمع كمسيل الفراتِ"، وهو مكسور الوزن.

[٢] في الأصل ما قراءته: "إلى بني العلاتِ"، فعُدّل.

[٣] لا بُدّ من إشباع كسرة الكاف في كلمة " قادكِ".

[٤] لا بُدّ من إشباع ضمة الدال في كلمة " يُعيدُ ".

أَيْنَ عَمْرٌو وخـــالدٌ وصلاحُ الــــ ـــدِّينِ؟! آهًا يا هاذمَ اللَّذاتِ!
كيـــفَ ترضَـــى لأُمَّـــتي بهيـــامٍ في متاهات فُرْقَـــةٍ وشَـــتاتِ؟!
فرّقَـــتْ جَمْعَنـــا مـــذاهبُ شَـــتَّى وانْطَلَقْنا نَكْبُوا مِـــنَ العَثَـــراتِ
ذاكَ حُـــرٌّ، وذاكَ يَلْهُـــوْ، وهـــذا سابحٌ في غَيَاهِـــبِ الظُّلُمـــاتِ
والأَطَـــمُّ الأَطَـــمُّ مـــن ذا وهـــذا انحطاطُ الأَخلاقِ والمَكْرُمـــاتِ
والتَّفانيْ في كُـــلِّ عَيْـــبٍ مـــشينٍ والتَّماديْ في الكِبْرِ والنَّعَـــراتِ
ظَهَرَتْ دولـــةُ الخنـــافسِ، قـــالوا: هِيَ فَنٌّ مِنْ أَحْدَثِ الموظـــاتِ
ثم قـــــالوا تَقَـــــدُّمٌ وارتقـــــاءٌ لم يَكُنْ في عُصُوْرِنا الماضـــياتِ
كـــلاّ واللهِ لم تَكُـــنْ لرِجَـــالٍ وَضَعُوا السَّيْفَ في نُحُوْرِ العُداةِ[١]
لا ورَبِّـــي لَيْـــسَتْ بِفَـــنٍّ ولكـــنْ هِـــيَ داءٌ للـــشَّرِّ والنَّكَبـــاتِ
هِيَ عارٌ ومَنْظَـــرٌ تَـــشْمَئِزُّ النَّــــ ـــفْسُ منْهُ ووَصْمَةٌ في الحيـــاةِ
لَيْتَ شِعْرِيْ الجُعْلانُ في أَيِّ وَقْـــتٍ تَنْبَـــرِيْ في ثِيَابِهـــا المُـــسْبَلاتِ
تَتَهَـــادَى مِثْلَ الخنافـــسِ تِيْـــهًا تَتَبَـــاهَـــى بالعِـــزِّ والأُبَّهـــاتِ

---

[١] لاستقامة الوزن لا تُنطق ألف "كلاّ"، في: "كلاّ والله...".

تَتَعَــالَى آنافُهــا الـــشُّمُّ زَهْـــوًا   وتُناديْ هَيَّا اقْبِلُوا[١] يـــا لِـــداتي!
أُمَّـــةَ المَجْــدِ مـــا دهـــاكُمْ أَلَمّـــا   تَسْتَفِيْقُوا مِنْ غَفْلَـــةٍ وسُـــباتِ
صَرْخَتِيْ في الشَّبابِ هَلْ مِنْ مُجِيْبٍ؟   ها أنـــا ذا أَهُـــمُّ بـــالزَّفَراتِ!
عَوْدَةً يا شَـــبابَ أَرْضِـــيْ لِـــدِيْنٍ   وَحَّدَ الكَوْنَ مِنْ جميعِ الجِهـــاتِ
لم يُفَـــرِّقْ و لم يُباعِـــدْ ولكِـــنْ   جاءَ نُوْرًا ورَحْمَـــةً وعِظـــاتِ
هـــذه دَعْـــوَةٌ لَمجْـــدٍ أَثِيْـــلٍ   دَعْوَةٌ لا كَـــسائرِ الـــدَّعَوَاتِ
حارَ فِكْرِيْ ولَيْسَ في القَلْبِ يَـــأْسٌ   مِنْ بُناةِ الهُدَى وعَصْرِ مَـــواتِ
وصُقُوْرٍ تَنْقَضُّ مِنْ كُـــلِّ صَـــوْبٍ   ولُيُوْثٍ عِنْدَ اللِّقَـــا ضـــارياتِ
سَنَراكُمْ، يا نَـــشْءُ، أَضْـــوَاءَ نُـــوْرٍ   فاسْـــتَعِدُّوا وكُـــلٌّ آتٍ آتِ
وغَـــدًا والغَـــدُ القريـــبُ كَفِيْـــلٌ   بـــسُرَاةٍ وقُـــدْوَةٍ وهُـــداةِ
فطُموحُ الشَّبَابِ أَسْـــمَى وأعْلَـــى   مِنْ جِبالٍ شُمِّ الذُّرَى شـــامخاتِ
وســـلاحُ الإيمـــانِ أَقْوَى ســـلاحًا   مِنْ هَزِيْمِ الصَّارُوْخِ والطَّائِرَاتِ

---

[١] تُنطق همزة القطع في "أقبلوا" هنا كهمزة وصل.

للمُقاعَدين فقط!!

قالوا: تَقَاعَدَ، قُلْتُ: لا، بل أُقْعِدا ... ما ضَرَّ لو قالوا: عجوزًا أُبْعِـــدا

ما انفكَّ يَعْصِرُ فِكْرَهُ حتى غَــدا ... متبخِّرًا كدُخانِ جَمْــرٍ أُخْمِــدا

يبدو كمَمْسُوسٍ يَهِيْمُ بلا هُدًى ... أنسامُهُ الحَرَّى تُــذيبُ الجَلْمَــدا

يا ذا المُقاعَدَ، والتَمسْ عُكَّــازةً ... آنَ الأوانُ لــسَيْفِكمْ أنْ يُغْمَــدا

حانَ الوداعُ، ويا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ ... تلكَ الدُّمُوْعُ تساقطتْ مِثْلَ النَّدا

دَقَّتْ على الوَتَرِ الحزينِ كآبــةً ... تَرثي الضَّميرَ أذابهُ صوتُ النِّــدا[1]

*** ... ***

---

[1] في الأصل: "ترثي ضميرًا أذابهُ صوتُ النِّدا". ولا يستقيم الوزن إلا بضرورة تسهيل همزة "أذابه". ولعل تعديله على النحو الذي عُدِّلَ عليه أوفق.

يا مَن تَوَهَّمْتَ البقـاءَ مُوَظَّفًـا طُوْلَ الحَياة، وَصَلْتَ بابًا مُوْصَدا

هذا وُرُوْدُكَ لا تَقُلْ تَعْـسًا لَـهُ ماذا يُفيْدُ إنِ اجْتَوَيْتَ المَـوْردا؟!

قد جاءَ بالخَبَرِ المُفيْدِ ولم يَكُـنْ طُوبَى، ولكنْ جاءَ يَنْعَى المُبْتَـدا

أيامَ رَيْعانِ الشَّبَاب، وكُنْتَ أُمْـ ـلُوْدًا يَميْدُ، وكُنْتَ أنتَ الأَسْعَدا

إذْ كان نسجُكَ مُبْرَمًا مُسْتَحْكمًا القلبُ لُحْمَتُهُ وعَينـاكَ الـسَّدا

ستُّونَ عامًا مثْلُ طَيْـفٍ عـابرٍ نلْتَ الزَّعامةَ عَبْرَهـا والـسُّؤْدَدا

واليومَ يَقْلِيْكَ الهُجُوْعُ وعنـدَما يأتِيْ الدَّوامُ كأنَّهُ وَقْـتُ الـرَّدَى

* * *

ياويحَ ذا الرُّبَّانِ أَمْـسَى غارقًـا في لُجَّةِ الأَحـزانِ يَبْدُوْ أَنْكَـدا

أرثي لَهُ حَيْرانَ يَرْمـي طَرْفَـهُ في الخافقَينِ ولا يَرَى غَيْرَ المَـدَى

يَرْنُو إلى الأُفُقِ البَعيْدِ وقـد دَرَى أنَّ المُقاعَـدَ لا يَنـالُ الفَرْقَـدا

مَنْ ذا يُحاربُ جَحْفَلاً منْ هَمِّه؟! كيفَ السُّلُوُّ ووَقْتُهُ يمضي سُدَى؟!

تَغْزُو كـوابيسُ المَنـامِ وِسـادَهُ وتَـأُزُّهُ حـتى يُجـافِيْ المَرْقَـدا

كان الأميرَ، فما لَهُ أَضْحَى بـلا أمرٍ ولا نَهْيٍ؟ وكـان المُرْشِـدا

كانتْ أريكتُهُ حريـرًا ناصـعًا والآنَ يَفْتَرِشُ الحَصِيْرَ الأسْـوَدا

عندَ التحامِ المعضلاتِ وحبْكِهـا كانتْ أناملُهُ تصوغُ العَـسْجَدا

تلكَ الأناملُ قد عَلَتْهـــا رِعْــشَةٌ
نوْرُ الشَّبِيْبَةِ قد تَــوارَى بعــدَما
كالنَّجْمِ مِنْ خَلْفِ السَّدِيْمِ تَضاءَلتْ
أَخْفَتْ تَلأْلُؤَهَ السنينُ وأَخْمَدَتْ

أمّا اليراعُ فقدْ أبَــى أَنْ يَجْمُــدا
كانتْ نضَارتُهُ غُــصَيْنًا أَغْيَــدا
أنوارُهُ يَبْغِي الظُّهُوْرَ ومــا بَــدا
مِنْهُ الشُّعاعَ وكانَ جَمْرًا مُوْقَــدا

* * *

يا مَنْ تُريدُ الاحتجــاجَ تَظَلُّمًــا
والرَّدُّ يَهْتِفُ ما الــذي خَلَّفْتَــهُ
هل كُنْتَ تَرْأَفُ بالذينَ رَأَسْتَهُمْ؟
أَرْضَى غُرُوْرَكَ مَنْــصِبٌ قُلِّدْتَــهُ

اصرخْ! فمالكَ غَيْرَ ترجيعِ الصَّدَى
مِنْ قُدْوَةٍ؟ هل كُنْتَ رَمْزًا للهُدَى؟
أو كُنْتَ فَوْقَ رقابهمْ مِثْلَ المُدَى؟
فَظَنَنْتَ كُرْسِيَّ الإدارةِ سَــرْمَدا

* * *

افْتَحْ مغاليقَ الشُّعُوْرِ فقد تَــرَى
واقْنَعْ بما قَسَمَ الإلهُ وما قَــضَى
يا ربّ عَوْنَكَ، قَوِّ عَزْمي عندَما
يا ربّ عَفْوَكَ، ليس لِيْ مِنْ مُنْقذٍ

طَيْرَ السَّوانحِ عَبْرَ هذا المُنْتَــدَى
واصْبِرْ وقُلْ: يا رَبّ كُنْ لِيْ مُنْجِدا
أَلْقَاكَ مُنْكَسِرًا وحيــدًا مُفْــرَدا
إلاكَ مِمَّا قَدَّمَــتْ نفســيْ غَــدا

أَلْقِ السَّكِيْنَةَ في فُؤاديْ واكْفِنِـــي　　　يا ربّ أَهْوالاً تُـــشَيِّبُ الأَمْـــرَدا
لُذْتُ ببابِكَ مُسْتَجِيْرًا مُخْـــبِتًـــا　　　إذْ إنَّ بابَكَ لا يكونُ مُوْصَدا![1]

⌚ ⌚ ⌚

[1] تلافيًا للخزل، وهو قبيح في البحر الكامل، لا بُدّ من إشباع ضمة التاء في "لُذْتُ". و تلافيًا للوقص، رغم أنه صـــالح في البحر الكامل، لا بُدّ من إشباع ضمة النون في "يكونُ".

تعويذة

نَلُوْذُ بِـــكَ اللـــهُمَّ مِـــنْ كُـــلِّ حاقِـــدِ ... ونحتاطُ بالتَّعْوِيْذِ عَنْ كُلِّ حاسِـــدِ
فأنتَ الذي تَمْحُوْ الـــسَّخِيْمَةَ والعَـــدَا ... وأنتَ الذي تَقْتَصُّ مِنْ كُلِّ جاحدِ
وأنتَ الذي يَهْفُـــو لَـــهُ كُـــلُّ راكِـــعٍ ... وأنتَ الذي يَعْنُو لهُ كُـــلُّ ســـاجدِ
ومَنْ ذا الذي يُعْطِـــيْ الجَزِيْـــلَ تَفَـــضُّلاً ... سِواكَ على رُغْمِ الجَحُوْدِ الُمعانِـــدِ

* * *

أَقُوْلُ وقَدْ ثَرَّ الثَّـــرَاءُ وأَغْـــدَقَ الـــسَّـــ ... ـــحابُ بِوَبْلٍ دَائِمِ الوَدْقِ جَائِـــدِ
لكِ اللّهُ يـــا أرْضًـــا تَفِـــيْضُ جَـــداوِلاً ... مِنَ الخَيْرِ تُزْجِيْهِ جميـــعُ الرَّوافِـــدِ
بِـــلادٌ حَباهـــا اللّهُ بِـــالوَفْرِ والغِنَـــى ... يَعُمُّ الفَيافِيْ مِـــنْ طَرِيْـــفٍ وتالِـــدِ
حَباها بِـــهِ ذو المَـــنِّ والجُـــوْدِ والثَّنـــا ... فجادتْ بمَوْفُوْرٍ مِنَ العَيْشِ راغِـــدِ
وكانـــتْ يَبَابًـــا قَفْـــرَةً مُكْفَهِـــرَّةً ... تُذيْبُ البَوَادِيْ فِي جَحِيْمِ الفَدافِـــدِ
مَوَامٍ مـــعَ الإهْـــلاكِ تُـــدْعَى مَفـــاوِزًا ... وفيْها الرَّدَى في سَهْلِها والقَـــرادِدِ
تَجُوبُ السَّوافِي السَّهْلَ والحَزْنَ والرُّبَـــى ... بأرضٍ فَـــلاةٍ حَرُّهـــا كالمَواقِـــدِ

فتاها على الأحــداث جَلْــدٌ مُــدَرَّبٌ   سقاهُ إباءَ الضَّيْمِ صُــمُّ الجلامِــدِ
فَتًــى أرضــعتْهُ البِيْــدُ نُــبْلاً وعِــزَّةً   فشَبَّ أَبِيًّــا مِــنْ أُبــاةٍ أماجِــدِ

* * *

بلاديْ جُــذُوْرُ المَجْــدِ فيهــا عَرِيْقَــةٌ   مَنارٌ مِنَ التَّــاريخِ لــيسَ ببائِــدِ
فإنْ أَخْصَبَتْ كانتْ مَراحًــا ومَــسْرَحًا   وإنْ أجدبَتْ كانتْ مثارَ التَّباعُــدِ
ويستبشرُ البــاديْ بهــا عنــدَما يَــرَى   سحابًا ويسترعيْ أَزِيْــزَ الرَّواعِــدِ
لعــلَّ كــبيرَ الــسِّنِّ قــدْ ذاقَ مُرَّهــا   وليس بعَيْبٍ ذِكْرُ تلــكَ المَــشاهِدِ

* * *

جفاها بَنُوْهــا يــومَ كانــتْ بَئِيْــسَةً   أشاحُوا بوَجْهٍ فاترِ الطَّرْفِ زاهِــدِ
ونالــتْ عُقُوْقًــا وازْوِرارًا وهجْــرَةً   كَفِعْلِ وَلِيْدٍ تاهَ عَنْ حَــقِّ والِــدِ
وما كان إلاّ أنْ رَبَــتْ ثُــمَّ أَخْفَلَــتْ   بمِدْرارِ خَيْــرٍ مِــنْ وَلِيِّ المَحامِــدِ

* * *

حَلَى أرضَها صَــقْرُ الجَزِيْــرَةِ عَــسْجَدا   وقَلَّدَها بــالأَمْنِ أَزْهَــى القَلائِــدِ
وطَهَّرَها مِــنْ كُــلِّ شِــرْكٍ وبدْعَــةٍ   وزَكَّى ثَراها مِنْ خَؤُوْنٍ وحاسِــدِ
فقامتْ علــى أُسٍّ مَتِــيْنٍ مِــنَ التُّقَــى   مَدَى الدَّهْرِ محبوكٍ قَوِيِّ القَواعِــدِ
وأصْـــبَحَتِ البيـــداءُ دارَ إقامـــةٍ   خَلَتْ مِنْ هواديْ وَحْشِها والأوابِدِ
تَوَشَّحَتِ الــصَّحْراءُ واخْــضَرَّ رَمْلُهــا   وأَخْصَبَتِ الجَدْباءُ بَعْــدَ الــشَّدائِدِ

وحَلَّـــقَ في أرجائهـــا الطَّيْـــرُ مُـــشْبَعًا ... وقد كان خمصانًا عَدِيْمَ الطَّرائِـــدِ

* * * ... * * *

وسارَ سُعُوْدُ السَّعْدِ بالرَّكْـــبِ ســـالِكًا ... طريقًا على مِنْهاجِهِ غَيْـــرَ حائِـــدِ

وكَمَّلَها الصَّمْـــصامُ بـــاليُمْنِ والهُـــدَى ... فراقَـــتْ لِمُرتـــادٍ وراقَـــتْ لرائِـــدِ

وأَخْلَـــدَ للـــرحمنِ في عِـــزٍّ أَوْجِهـــا ... شُمُوْخًا وفيها مِنْ لذيـــذِ الموائِـــدِ

وقـــد صـــانَ أبعـــادَ الأمانـــةِ بالوَفـــا ... وأَوْدَعَها في كَفِّ أبـــيضَ ماجِـــدِ

فآتتْ أَلَذَّ الأُكْـــلِ مِـــنْ يـــانِعِ الجَنَـــى ... وأَثْمَرَتِ الضِّعْفَيْنِ في عَهْدِ خالِـــدِ

* * * ... * * *

ويا فَهْدُ، يا أنـــشودةً في فَـــمِ الـــدُّنَى ... تُحِيْطُ بكَ الأَحْداقُ، يا خَيْرَ قائِـــدِ

أَحَبَّـــكَ شُـــبَّانٌ وشِـــيْبٌ ونِـــسْوَةٌ ... لأَنَّكَ نَبْضُ الحُبِّ مِنْ قَلْبِ والِـــدِ

سيُنْصِفُكَ التـــاريخُ إنْ عَـــزَّ مُنْـــصِفٌ ... لأَنَّـــكَ للتعلـــيمِ أوّلُ رائِـــدِ

وتَذْكُرُ دُوْرُ العِلْمِ مَنْ شـــادَ صَـــرْحَها ... مُمَثَّلَـــةً بالجامعـــاتِ الـــشَّواهِدِ

بـــرَزْتَ بهـــذيْ الأرضِ أُمًّـــا كريمـــةً ... حَصَانًا رَزانًا مِنْ كِـــرامِ الخَرائِـــدِ

* * * ... * * *

ومِـــنْ نِعْمَـــةِ اللهِ الجليلـــةِ أَنْ نَـــرَى ... حمَى الدِّيْنِ يُحْمَى بانتشارِ المساجِدِ

وتَنْفِيْذَ حُكْمِ الـــشَّرْعِ في كُـــلِّ مُجْـــرِمٍ ... وتقْوِيْمَ مُعْـــوَجٍّ وتَعْـــدِيْلَ حائِـــدِ

وما كُنْتُ مَدَّاحًا، ولَنْ تَجْتَـــدِيْ يَـــدِيْ ... نَوالاً على ما قُلْتُهُ مِـــنْ قَـــصائِدِيْ

ولكنَّــــهُ الإخـــــلاصُ أَنَّـــــى رأيْتُــــهُ يَهُزُّ شُعُوْرِيْ حينَ تَنَأَى شـــوارِدي

* * * * * *

فيا مَوْطِنَ الأمجــادِ يــا خَيْــرَ مَــوْطِنٍ ويا أُمَّةً تَسْمُو بــسُمْرِ الــسَّواعدِ

حَذارِ! فما عَيْنُ القَــذَا تُــضْمِرُ الرِّضــا فَكَمْ منْ عَدُوٍّ أَسْوَدِ القَلْبِ حاقدِ!

وكم مُظْهِرٍ- زَعْمًا- سُــرُورًا وغِبْطَــةً ومنْ قَلْبِه يَنْسابُ سُــمُّ الأسـاوِدِ!

يَغــصُّ بأحقــادٍ ويُبْــدِيْ بَــشَاشَةً نفاقًــا لمَــسْؤُوْلٍ وتُقْيَــةَ حــارِدِ

وإنْ تَسْبُرِ الغَــوْرَ العَميــقَ تَجــدْ بِــه أحابِيْلَ مَصْدُوْرٍ خَبِيْــثِ المَقاصِــدِ

يُعَرْبِدُ في التَّشْكِيْك، يا بَحْرُ قــلْ لَــهُ: أَرِحْ واسْتَرِحْ، فالفُلْكُ ليسَ بمائِــدِ

نَعيْ مَنْ يَدُسُّ السُّمَّ في الشَّهْدِ يَبْتَغِيْ الشَّــ ــتَاتَ ونَنْأَى عَنْ طَرِيْقِ المَكَائِــدِ

ونُرْدِيْ- بِفَــضْلِ اللهِ- كُــلَّ مُخَــرِّبٍ فيُمْسي ذَلِيْلاً في شِــباكِ المَــصائِدِ

فما عُهِــدَتْ أرضُ البُطُولاتِ والإبــَا تَلِيْــنُ لِغَــدَّارٍ لَدُوْدٍ مُزايِـــدِ



لوحةٌ من بلدي [١]

وَشْوَشَاتُ الزَّرْعِ في بَلَدِيْ	وصَدَى الأَمْطَارِ والبَرَدِ
واخْضِرَارُ الأَرْضِ مُزْهِرَةً	في رَبِيْعِ الخِصْبِ والرَّغَدِ
ورذاذُ الطَّلِّ مُنْعَقِدًا	في صباحٍ مُفْعَمٍ بِدَدِ [٢]
وحَفِيْفُ الرَّوْضِ أُغْنِيَةٌ	فَذَّةٌ مِنْ عَزْفِ مُنْفَرِدِ
وشُرُوْقُ الشَّمْسِ حالمةً	في صَباحٍ نامَ في الصَّرَدِ
وأَزِيْزُ الرَّعْدِ يُطْرِبُني	كهَدِيْلِ الصَّادِحِ الغَرِدِ

---

[١] للقصيدة نسخة أخرى، أجرى عليها الشاعر تعديلات، ثم أعاد خطّها بيده، فاعتمدتُ هنا تلك النسخة المعدّلة.

[٢] الدَّد: اللهو، قال صلى الله عليه وسلّم: "لستُ من دَدٍ، ولا دَدُ منّي". (شرح الشاعر). وجاء في (الجوهري، صحاح اللغة، (دد)): "الدَّدُ: اللَّهْوُ واللَّعِب، وفي الحديث: "ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ منّي". وفيه ثلاث لُغات، تقول: هـذا دَدٌ، ودَدًا، مثل قَفًا، ودَدَنٌ."

أو عــــــصافيرٍ مُزَغْــــــرِدَةٍ أو حمــــامٍ هــــاجَ للثَّمَــــدِ
ولَمْيــــعُ البَــــرْقِ مُؤْتَلقًــــا وانْــــدفَاقُ المــــاءِ والزَّبَــــدِ
وضَــــجيْجُ الــــسَّيْلِ أُمْــــسِيَةً راحَ مِنْ عَيْبَانَ أو ضَمَــــدِ
ونــــسيمٌ غــــبَّ غاديــــةٍ طابَ مِنْــهُ مُــزْمِنُ الكَبَــدِ
واحتــــدامُ الأُفْــــقِ بالــــشَّفَقِ وامتزاجُ الليــلِ بالــسُّهُــدِ
ونــــداءُ الــــصَّوْمِ في الــــسَّحَرِ صَوْتُهُ مــازالَ في خَلَــــدي
وأذانُ الفَجْــــرِ مُرتفعــــاً بنــداءِ الواحــدِ الــصَّمَــدِ
وليــــاليْ العِيْــــدِ في مَــــرَحِ مِنْ شبابِ الزَّهْــوِ والجَلَــدِ
وغَــضِيْضُ الطَّــرْفِ فاتنــةٌ مِنْ بَنَــاتِ الــدَّلِّ والغَيَــدِ
هــــذه الأَنْغَــــامُ ســــاكنةٌ في عميقِ الرُّوْحِ والجَــسَــدِ
لَوْحَةٌ عَصْمَــاءُ مُحْكَمَــــةٌ مِنْ حَكَيْمٍ ليس رَسْمَ يَــــدِ

****** ******

يا بلاديْ مُهْجَتِــيْ سَــكَبَتْ دَفْقَ حُبٍّ غَيْــرِ ذيْ أَمَــــدِ
ما نَسيْــــتُ الأَرْضَ يا وَطَني في دَمِــــيْ بالــوُدِّ والكَمَدِ
ما كَرِهْتُ العَيْشَ فــي دَعَــةٍ رُغْمَ ما فِيْــــهِ مِنَ الكَبَدِ
لكنِ الأقــدارُ تَعْــصِــفُ بِيْ كُلَّما قَرَّبْــتُ مِــنْ بَلَــدِي

****** ******

ما أُحَيْلَى الجَوَّ في جَبَـــــــلِ   شـــامخٍ طَوْد مَـــدَى الأَبَـــدِ
يَوْمَ كان الـــشَّمْلُ مُجْتَمعـــاً   تَحْتَ ظِلِّ اللَّيْثِ ذيْ اللُّبَـــدِ
لَيْثِ غـــابٍ صـــانَ غَيْـــضَتَهُ   بذكـــــاءٍ جـــــدِّ مُتَّقـــدِ
ما نَما فـــــي قَلْبِهِ وَجَـــــلٌ   ضَيْغَمٌ مِنْ أَشْـــجَعِ الأُسُـــدِ
******   ******

شيخَنا، يا خـــالُ، مَعْـــذرَةً   تاهَـــتِ الأقـــزامُ بالـــصَّـــيَدِ
كُنْتَ سَـــيْفاً صـــارمًا ذَرِبًـــا   حاسِـــمًا في ســـاعةِ الحَـــرَدِ
نافِـــذًا مِـــنْ كُـــلِّ مُعْـــضِلَةٍ   بعميْـــقِ الفكْرِ والرَّشَـــــــدِ
ومُذيْقـــاً كُلَّ مُنْحَـــــــرِفٍ   ذُلَّ عَـــيْرِ الحَـــيِّ والوَتَـــــدِ
******   ******

يا نُفُوْســـاً كُنْـــتَ تُكْرِمُهـــا   جاهرتْ بالحِقْـــدِ والحَـــسَدِ
زُمْـــرَةٌ فاحَـــتْ روائحُهُـــمْ   بزَفِيْـــرِ النَّفْـــثِ في العُقَـــدِ
جَوْقَـــةٌ والزَّمْـــرُ دَيْـــدَنُهُمْ   راقَبُـــوا مَثْـــواكَ كالرَّصَـــدِ
سَخِـــــرَتْ منكُـــــمْ مآثِرُهُ   يا دُعـــاةَ الزَّيْـــفِ والفَنَـــدِ
******   ******

يا عُيُوْنًـــا كُنْـــتَ تَكْحَلُهـــا   بالوَفَـــا والحُـــبِّ والمَـــدَدِ
أينَ ذاكَ الكُحْلُ؟ يا عَجَبِـــيْ!   صـــارَ في العَيْنَـــيْنِ كالرَّمَـــدِ

لو تَرَى مَنْ كُنْـــتَ تُـــؤْثِرُهُمْ　　بـــل تَـــراهُمْ عُـــدَّةَ العُـــدَدِ
رَكِبُوا مِنْ دَرْبِهِـــمْ شَـــطَطًا　　ومَـــشَوا في المَهْيَـــعِ القِـــدَدِ
بَيَّتُـــوا- خُبْـــثاً- مُؤامَـــرةً　　وانْبَـــرَوا للكَيْـــدِ والنَّكَـــدِ

****** ******

يا ابنَ مَنْ كانَـــتْ مواقِفُـــهُ [م] الغُرُّ لا تَخْـــفَى على أَحَـــدِ
رُغْمَ ما في الجَوِّ مِـــنْ عَـــتَمٍ　　لا تَهُنْ بالفَـــتِّ في العَـــضُدِ
سِرْ- بِحَبْـــلِ اللهِ مُعْتَـــصِماً-　　في طريـــقٍ غـــيرِ ذي أَوَدِ
كُلُّ نَفْسٍ رَهْنُ ما كَسَبَـــتْ　　حَسْبُهـــا ما قَدَّمَـــتْ لِغَـــدِ

السَّلامُ عليكم..![1]

تأُزُّنِيْ الطَّعْنَةُ النَّجْلاءُ فِي كَبِدِيْ   فأتَّقيها بِذِكْرِ الواحِدِ الصَّمَدِ

أُحسُّ يا بارئيْ التَّمْزِيْقَ فِي بَدَنِي   فاجْعَلْ لَهِيْبَ الْمُدَى يارِبِّ كالبَرَدِ

كَأَنَّ قَلْبِيْ على السَّفُّوْدِ يُحْرِقُهُ   في جاحِمِ النَّارِ يَوْماً كَفُّ مُفْتَئِدِ

يَقُوْلُ لِيْ حَضْرَةُ الدُّكْتُوْرِ: "لا أَمَلٌ"   فقلتُ:"لكنْ على ذيْ العَرْشِ مُعْتَمَدي

ثُمَّ السَّلامُ عليكمْ، ليس بِيْ وَجَلٌ   مِمَّا أتانيْ مِنَ الرَّحمنِ يا وَلَدي

ولا ألومُكَ يا دُكْتُوْرُ ، لا عَتَبٌ،   رُغْمَ الجَلافةِ، والإِعْرَاضِ، والصَّيَدِ

---

[1] لعلّ هذه هي القصيدة ما قبل الأخيرة من أعمال الشاعر. أما القصيدة الأخيرة– حسب دفتر شعريّ خَطَّهُ بيده– فقصيدته بعنوان: "الشاعر". وكُنْتُ حاضرًا إذ راجع الشاعرُ الطبيبَ قبل خمسة أشهر تقريبًا من وفاته، فأعلمه الطبيب– في جلافة– أن لا أمل في علاج حالة السرطان التي فتكت بكبده، قائلاً بالحرف: "الأعمار بيد الله!". وهكذا نعاه لنفسه (ذلك النموذج من الأطباء) قبل وفاته! والقصيدة تذكرنا برثاء مالك بن الريب لنفسه.

لا تُيْئِسَنْ أيُّها الآسي، فأنتَ علـــى … ما قَدَّر اللهُ لم تَـــنْقُصْ ولم تَــــزِدِ"

إنَّ المنايا لكُـــلِّ النـــاسِ مُرْصَـــدَةٌ … فهل هنالكَ مَنْ يَنْجُوْ مِنَ الرَّصَـــدِ؟!

والموتُ حَقٌّ فلا أَخْـــشَى بــــوادِرَهُ … وسَوْفَ أَلْقَـــاهُ بالتَّوحيـــدِ والجَلَـــدِ

وكيفَ أَخْشَى سِهامَ المَوْتِ تَفْتِكُ بيْ … ولستُ أَمْلِكُ لا رُوْحِيْ ولا جَسَدِي

وليس خَلْفِيَ مَنْ أَخْـــشَى تَيَـــتُّمَهُمْ … بَعْدِيْ ولا لِيْ مِنَ الأموالِ مِلْءُ يَـــدِي

وقَـــدْ أَخَذْتُ مِنَ الدُّنْيا بهارِجَهـــا … وغَرَّنِيْ مِثْلَ غَيْـــرِيْ كَثْـــرَةُ الزَّبَـــدِ

في كُلِّ جارِحَـــةٍ ذَنْـــبٌ يُـــؤَرِّقُني … رَبَّاهُ، لَـــمْ أَسْتَقِمْ، وامْتَـــدَّ بِيْ أَوَدِي

يا رَبِّ لَوْ عُدَّ ذَنْبِيْ كـــالمُحِيْطِ لَمَـــا … رَدَدْتَنِيْ خائبًـــا غَرْقَـــانَ في العَـــدَدِ[1]

يا مُنْقذيْ مِنْ لَهَيْبِ النَّارِ يا أَمَلـــي … يا خالقِيْ صُبَّ نُوْرَ العَفْوِ في خَلَـــدِي

والمُسْرِفُونَ على أَنْفُسِهِمْ فَـــزِعُـــوا … فقُلْتَ: "لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الأَحَدِ"

يا سَعْدَ مَنْ نِعْمَةُ الإِسْـــلامِ تَغْمُـــرُهُ … ومَنْ خَلا قَلْبُهُ مِنْ وَصْـــمَةِ الحَـــسَدِ

ياقابِلَ التَّوْبِ امْحِ الذَّنْبَ عَنِّي فَقَدْ … مَزَجْتُ بَينَ طريقِ الغَـــيِّ والرَّشَـــدِ[2]

لكِنْ يَقِـــيْنِي بِعَفْـــوِ اللهِ يَحْفِـــزُني … أنْ لا أَخافَ مِنَ التَّعْذيْبِ يَوْمَ غَـــدِ

فاللهُ مُعْتَصَمِي، بَلْ مُنْتَهَـــى أَمَلِـــيْ، … واللهُ مُلْتَجَئِـــــيْ، واللهُ مُـــــسْتَنَدي

---

[1] في نسخة أخرى، جاء هذا الشطر: " ضاقت ميادينك الجُلّى عن العددِ"، والصياغة المعتمدة هنا هي المعدّلة من قِبَل الشاعر.

[2] لضرورة الوزن تُنطق همزة "امْحِ" كهمزة قطع. كما ينبغي في كلمة "عَنِّي" عدم نُطق الياء، وإلاّ كانت العَروض تامّة، غير مخبونة، خلاف المعهود في البحر البسيط.

يا رَبّ، إنْ كانَ خَيْرًا لِيْ البَقاءُ، فَهَبْ   لِيْ مِنْ دَوائكَ ما يَشْفِيْ مِنَ الكَمَــدِ

فــأَنْتَ أَذْهَبْتَ عَنْ أَيُّوْبَ مِحْنَتَــهُ   فِي شِدَّةِ الكَرْبِ مَنًّــا مِنْــكَ بالمَــدَدِ

يا ذا الطَّبِيْبُ الذي أَعْلَنْتَ فاجِعَتِيْ   أما تَرَى أَنَّــنِيْ كالــضَّيْغَمِ الحَــرِدِ؟!

لَمْ أَهْتَزِزْ عندما قَــالُوا كذا مَرَضِي   بَلْ زادَنِيْ قُــوَّةً إذْ لم يَطُــلْ أَمَــدِي

وقد يَمُوْتُ الفَتَى مِنْ غَيْرِ ما مَرَضٍ   بل كان يَخْتَالُ فِي النَّعْماءِ والرَّغَــــدِ

لكِنَّ مَوْتَ أَخِيْ قَدْ شَلَّ مَقْــدِرَتِي   وكادَ يَخْنُقُنِيْ حَبْلٌ مِنَ الــمَــسَدِ[1]

بَكيتُ سِرًّا وجَهْرًا عِنْدَما سَمِعَــتْ   أُذْنِيْ بِنَعْيِ أَخِيْ.. لله يــا عَــضُدِي!

والحَمْدُ لله مِلْءَ الكَــوْنِ خالِقِــنا   ثُمَّ الصَّلاةُ على الهاديْ مَدَى الأَبَــدِ

---

[1] وكان– بعد نبأ مرضه الميئوس من شفائه– تلقّى نبأ وفاة شقيقه الأكبر: قاسم بن محمّد، رحمهما الله!

ل

الشاعر

(قصيدة لم تكتمل، لعلها من آخر ما كتب الشاعر، إن لم تكن آخر ما كتب)[١]

لا أَرَى فِي الوَرَى رَقِيْقَ المَــشاعِرْ ... مثلَ قَلْبِ الحزينِ أو قَلْبِ شاعِرْ

أو مُحِبٍّ قَدْ صَيَّرَ الحُـــبُّ مِنْــهُ ... حَبَّةَ القَلْبِ مِثْلَ جَمْرِ المَجــامِرْ

لَمْ يَجِدْ مَنْ يَبُثُّــهُ الــشَّوْقَ إلاّ ... شامتًا، لَمْ يَقُمْ بتَطْيِيْبِ خَــاطِرْ

أو يَتِيْمٍ فِي أُسْرَةِ اللُّــؤْمِ حامَــتْ ... فَوْقَ أَحْزانِه النُّسُوْرُ الكَواسِــرْ

يَنْزِعُوْنَ كَــوامِنَ الخَيْــرِ عَنْــهُ ... ويُغَذُّوْنَــهُ المُــدَى والخَنَــاجِرْ[٢]

صارَ يَقْتاتُ مِنْ فُتــاتِ البَقايــا ... أو يَبِيْتُ على الطَّوَى لَيْلَ ساهِرْ[٣]

فإذا شَبَّ شَــبَّ لِــصًّا خَبِيْثًــا ... يَسْرِقُ الكُحْلَ مِنْ مُحِيْطِ المَحَاجِرْ

---

[١] وَجدتُ النصَّ مخطوطًا، وغير مكتمل الصياغة والتنقيح، (راجع: النموذج ١١ مـــن صـــور المخطوطـــات: "رحلـــة الحرف")، فاجتهدتُ في بنائه، كما هو هاهنا. فما كان فيه من ضعف فمن عندي، وما كان من قوة فمن الشاعر.

[٢] لا بُدَّ من إشباع فتحة النون في "يَنْــزِعُوْنَ".

[٣] لا بُدَّ من إشباع ضمة التاء في "يبيتُ".

هكـــذا قَلْبُـــهُ الرَّقِيْـــقُ تَرَبَّـــى في سُـــوَيْدائه سَـــفِيْهٌ ومَـــاكِرْ
لكنِ الـــشَّاعرُ الحَـــزِيْنُ يُغَنِّـــي كُلَّ حِيْنٍ مِلْءَ اللُّهَى والحَنَـــاجِرْ
ويُذِيْبُ الجَمَادَ في كُـــلِّ لَحْـــنٍ بَعْدَ أنْ ذابَ في أَفَانِيْنِ سَـــاحِرْ
يَنْقُشُ الحَرْفَ مِثْلَ نَقْشٍ لُجَـــيْنٍ صُبَّ في قالبٍ مِنَ الحِسِّ بَـــاهِرْ
يَجْمَعُ الحُبَّ والشُّعُـــورَ ويَهْوَى عَبْقَرِيَّ الجَمَـــالِ لَوْ كانَ غادِرْ

معالم النهضة المباركة

يقولونَ أَيْنَ الشِّعْرُ؟ ماذا دَهَى الشِّعْرَا … ومَوْجٌ حَضارِيٌّ هُنا يَقْذِفُ الـــدُّرَّا؟!

يَرُوْحُ ويَغْـــدُو هائِجًـــا مُتلاطِمًـــا … تَعَوَّدَ دَفْقَ المَـــدِّ لا يَعْـــرِفُ الجَـــزْرا

ألا يَبْعَثُ الإحْسَاسَ في قَلْبِ شَاعِرٍ … فيَنْثُرَ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ شِعْرِهِ عِطْرا؟!

أَصَوْمٌ وقَدْ فَاضَتْ يَنَـــابِيْعُ نَهْـــضَةٍ … ومَدَّتْ يَدَيْها تَحْضُنُ البَدْرَ والنَّسْرا؟!

وعانَقَتِ الأَرْضُ السُّهَى في عُلُـــوِّهِ … وشَعَّتْ نُجُوْمُ العَصْرِ ما أَجْمَلَ العَصْرا!

فقُلْتُ لَهُمْ: مَهْلاً فما الشِّعْرُ كاسِدٌ … وما تُؤْخَذُ الأَغْرَاضُ عَسْفًا ولا قَسْرا

ولا أَقْفَرَتْ مِنْهُ العواطِفُ والـــرُّؤَى … ولا ماتَ وِجْدانٌ ولا خانَتِ الذِّكْرَى

ولا خَلَجَاتُ النَّفْسِ مِنِّـــي تَبَلَّـــدَتْ … ولا نامَ إِحْسَاسِيْ ولا الجَهْلُ بِيْ أَزْرَى

ولكنَّنـــا في قِمَّـــةٍ مِـــنْ حَـــضَارةٍ … مُحَصَّنَةٍ قَدْ فاقَتِ الـــشِّعْرَ والنَّثْـــرا

وفاقَتْ ترانِيْمَ القَـــوافِيْ وأَجْهَـــدَتْ … بتَحْلِيْقِها الأَقْلامَ والـــرَّقَّ والحِبْـــرا

سِبَاقٌ مَعَ الأَيَّـــامِ في كُـــلِّ بَلْـــدَةٍ … بحَشْدٍ مِنَ العُمْرانِ أَفْواجُـــهُ تَتْـــرَى

* * *

خِراشٌ حَوالَيْهِ الظِّبــاءُ تَكــاثَرَتْ عليه فقَدْ أَعْيَــا وأَنْــتُم بِــهِ أَدْرَى[١]
ففي كُلِّ مَيْدانٍ صُــرُوحٌ مَــشيْدَةٌ مُمَرَّدَةٌ تَختالُ مِــنْ عُجْبِهــا كِبْــرا
جُسُوْرٌ وأَنْفَــاقٌ، دُرُوبٌ سَــرِيْعَةٌ ومُسْتَشْفَيَاتٌ تَبْعَثُ النُّوْرَ والبُــشْرَى
ودُكَّتْ عِقابٌ شامِخَاتٌ شَــواهِقٌ فسِرْنا بها شَفْعًا وسِرْنا بهــا وِتْــرا[٢]
وأُحْيِيَتِ الأَرْضُ المَواتُ فأَخْــصَبَتْ وأَنْبَتَتِ الرُّمَّــانَ والكَــرْمَ والبُــرّا
ومَاءٌ أُجَاجٌ قَــدْ تَرَكْنَــاهُ مَــوْرِدًا نَمِيْرًا زُلالاً سَلْسَلاً سَــائِغًا طُهْــرا
على عُنْفُوانِ البَحْرِ والهَوْلِ والــرَّدَى أَتَيْنَا به يَنْقَــادُ مِــنْ عَزْمِنَــا قَهْــرا
وصُيِّرَ مِنْهُ المــاءُ عَــذْبًا وذُلِّلَــتْ مَصَاعِبُهُ مِنْ بَعْدِ ما كَــانَ مُــزْوَرّا
وفيهِ جَــوارٍ مُنْــشَآتٌ شَــوامِخٌ على رُغْمِ غَدْرِ البَحْرِ تَــأْطِرُهُ أَطْــرا
تَشُقُّ عُبَابَ الماءِ شَــقًّا وتَمْتَطِــيْ مِنَ السَّيْفِ بَرًّا لاحِبًا تَنْهَــبُ البَــرّا

* * * * * *

على صَفْحَةِ الصَّحْرَاءِ تَجْرِيْ جَدَاوِلٌ تُحَوِّلُ رَمْلَ البِيْدِ مِنْ خَيْرِهــا نَهْــرا

---

[١] مأخوذٌ من قول الشاعر:

تكاثرتِ الظِّباءُ على خِراشٍ فما يَدْرِي خِراشٌ ما يَصِيْدُ

(خراش: اسم رجل). وقد تكاثرت معالم النَّهْضَة حتى إن الإنسان لا يدري أيّ معلم يتحَــدّث عنــه. (تعليــق الشاعر).

[٢] إشارة إلى خطوط الطُّرق المزدوجة والمفردة. (تعليق الشاعر).

فتُضْحِيْ به الصَّحْراءُ حَقًّــا مَفــازَةً ... ويُصْبِحُ ذاكَ العُسْرُ في عَيْشِها يُــسْرا

غَذَتْها يَدُ الإخْلاصِ بالحُبِّ والوَفَــا ... بوَقْت قياسيٍّ غَدَتْ رَوْضَــةً زَهْــرا

عَرُوْسٌ، عَفَافَ الطُّهْرِ قَدْ ضَمَّ بُرْدُها، ... حَصَانٌ- حماها اللهُ- طاهِرَةٌ عَــذْرا

تُفَضُّ على اسمِ اللهِ والحَقِّ والتُّقَــى ... وتَحْمِلُ آمالاً ولَمَّــا تَــزَلْ بِكْــرا

وفَوْرَ تَمامِ الأَرْضِ بالحَمْلِ أنْجَبَــتْ ... منَ الخَيْرِ أنْهارًا ومِــنْ تُرْبِها تِبْــرا

وكانَتْ لقُطَّــاعِ الطَّرائــقِ مَلْجَــأً ... مَقيْلاً لَهُمْ حِيْنًا وحِيْنًا لهُمْ مَــسْرَى

يُجَلِّلُها الإرْهابُ والخَوْفُ والــرَّدَى ... تَجُــرُّ مآسِــيْها لِــسَالِكِها جَــرّا

* * *

يَقُوْلُ لنا الآباءُ عِشْنا علــى الــشَّقَا ... فكُنَّا مَعَ الإمْــلاقِ نَفْتَــرِشُ الغَبْــرا

وكُنَّا نَعيْشُ النَّهْبَ والسَّلْبَ والأَذَى ... وكَفُّ الأَذَى قَدْ كانَ في عُرْفنا نُكْرا

نُغيْرُ على ابْنِ العَمِّ والجَــارِ لا نَرَى ... سوَى الغَزْوِ في الصَّحْراءِ نَرْضَعُهُ دَرّا

فأَمَّنَها مَــنْ كــانَ مِــلْءَ إهابِــه ... وَفَاءً وإخلاصًا رَحِيْمًــا بهــا بَــرّا

وأَعْلَنَهـــا أرْضِـــيَّةً وَحْدَوِيَّـــةً ... عَرِيْنَ لُيُوْثٍ لا تُبَــاعُ ولا تُــشْرَى

بلادٌ بِفَــضْلِ اللهِ قُدْسِــيَّةُ الثَّــرَى ... على مَوْكِبِ التاريخِ لا تَحْمِلُ الوِزْرا

يَدٌ مِنْ بَنِيْ الصَّحْراءِ عِملاقةُ الهَوَى ... مَحَتْ مَرَضَ الإنْسَانِ والجَهْلَ والفَقْرا

تَحَدَّتْ سَوَافِيْ الرَّمْلِ والبُؤْسَ والأسَى ... تَبَــوَّأَتِ المَوْمَــاةَ والقُــرَّ والحَــرّا

ولَمَّتْ شَتاتَ القَوْمِ بالأَمْنِ والرَّخَا   ووَحَّدَتِ الأَهْدافَ بالوِحْدَةِ الكُبْرَى

* * *   * * *

تعالَوا تَرَوْها اليومَ في عِزٍّ أَوْجِها   ولا زالَ نَهْرُ الحُبِّ يَغْمُرُهَا غَمْرا

ومَنْ نالَ منها بالأَذَى سُدَّ نَحْرُهُ   وجُرْثُومَةُ الإفسادِ نَبْتُرُها بَتْرا

ففي الأرضِ آسادٌ تَشُلُّ يَدَ العِدا   إذا جُوْبِهَتْ بالُمرِّ تَستَعْذِبُ الُمرّا

وفي الجَوِّ تَبْدُو الطائِراتُ عصائبًا   يُزَيِّنُها التَّوْحيْدُ والرَّايَةُ الخَضْرا

عليها مِنَ ابْناءِ البِلادِ ضَراغِمٌ   ضَواريْ فَلاةٍ تُتْقِنُ الكَرَّ والفَرّا[١]

* * *   * * *

وجيشٌ مِنَ التَّعليمِ يُزْجِيْ رِكابَهُ   لنَنْهَلَ عَذْبًا صافيًا يُنْعِشُ الفكْرا

رَسَمْنا طَرِيْقًا واضِحًا غَيْرَ مُلْتَوٍ   رَصَفْناهُ تَوْحيْدًا فنلْنَا به الفَخْرا

وما الجامعاتُ السَّبْعُ إلاّ شَواهِدٌ   ومَنْ غاصَ بَحْرَ العِلْمِ أَلْفَى بِهِ الدُّرّا

نَغُوْصُ ولا نَخْشَى الهَلاكَ وإنَّما   بأَقْوَى مِنَ الفُولاذِ نَسْتَأْسِرُ البَحْرا

* * *   * * *

---

[١] همزة "أبناء" سُهِّلتْ للضرورة.

غَزَوْنا الفَضاءَ، عَزْمُنا، وذَكاؤنـــا، ‏ نُسَطِّرُ في طِرْسِ الفَضاءِ لنـــا ذِكْــرا

بشِبْلٍ جَرِيْءٍ مِنْ عَمـــاليقِ أَشْـــبُلٍ ‏ غَزَا يَنْشُدُ الإنصافَ والعَدْلَ والنَّصْرا[1]

إذا جالَ مِنْكَ الفِكْرُ في أَيِّ بُقْعَـــةٍ ‏ رَأَيْتَ مِنَ الإِنْجَازِ ما يُشْبِهُ الـــسِّحْرا

وفي زَمَنٍ قَدْ يُشْبِهُ الحُلْمَ مـــا يُـــرَى ‏ بِبِضْعَةِ أعوامٍ خَلَتْ تُعْجِـــزُ الـــدَّهْرا

مشاهِدُ نَحْياها ونُعْمَـــى نَعِيْـــشُها ‏ ومهما عَدَدْناها فَلَنْ نَبْلُـــغَ الحَـــصْرا

أَرُوْنِيْ مِنَ الدُّنيا بِـــلادًا تَـــسَنَّمَتْ ‏ ذُرَى قِمَّةِ التـــاريخِ ناصِـــعَةً غَـــرّا

أَقُوْلُ لكُمْ هذيْ بِـــلادي تَغَلَّبَـــتْ ‏ على عَقَباتِ العَصْرِ تَسْتَسْهِلُ العُسْرا

فيا رَبِّ صُنْها واحْفَظِ القائِـــدَ الذي ‏ على الحُبِّ يَرْعاها ويَبْقَى لنا ذُخْـــرا

✠✠✠

[1] إشارة إلى رائد الفضاء العربي الأول: الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز.

رسالة إلى أطفال الحجارة

أَمْطِرُوْهُمْ مِنْ راجمَات الحِجارَةْ ... وَابِــلاً مُلْهِباً يَذُوْقُــوْنَ نــَارَهْ

حاصِرُوْهُمْ في كُلِّ صِقْعٍ وصَوْبٍ ... طَارِدُوْهُمْ في كُلِّ حَيٍّ وحَارَةْ

أُبْصُقُوا في وُجُوْهِهِمْ واصْفَعُوْهُمْ ... ثُمَّ خُطُّوا في كُــلِّ وَغْــدٍ أَمَارَةْ

أُجْلُدُوْهُمْ بِأَلْفِ سَوْطٍ وسَــوْطٍ ... واصْلُبُوْهُمْ على جدارِ المَرَارَةْ

أَفْهِمُوْهُــمْ أَنَّ الحِجَارَةَ أَنْكَــى ... مِنْ صَوَارِيْخِهِمْ وأَقْوَى إِثــَارَةْ

عَلِّمُوْهُمْ أنَّ الحِسَابَ المُصَفَّــى ... حَانَ، والبَغْيُ لا تُقِرُّوا قَــرَارَهْ

رَدِّدُوا بالتَّكْبِيْرِ في عُــنْــفُوان ... أَعْذَبَ اللَّحْنِ، ما أَلَذَّ شعَارَهْ!

أَزَلِيّ يَبُثُّ في الكَوْنِ طُــهْــراً ... فَاضَ مِنْ كُلِّ مَسْجِدٍ أو مَنَارَةْ

***

يا فِلَسْطِيْنُ يا غِنَــاءَ الــدَّوَالِيْ ... يا تُرَاباً يَفُــوْقُ دُرَّ المَحَــارَةْ

الجِهَــادَ الجِــهَــادَ، واللهِ إِنَّــا ... قَدْ حَلَفْنا ما تُسْدِلِيْنَ السِّتَارَةْ

ما شَكَكْنَا يا أَرْضُ، واللهِ نَدْرِيْ　　أَنَّكِ سَوْفَ تَقْدَحِيْنَ الـــشَّرَارَةْ[١]

***　　***

يا حُثَالاتِ أَحْقَـــرِ النَّاسِ جِئْتُمْ　　مِنْ أُتُوْنِ السَّفَالَةِ والـــقَـــذَارَةْ[٢]

هَلْ لَهُ الحَـــقُّ فِي البِـــلادِ لَقِيْطٌ　　مُجْرِمٌ جاءَ مِنْ بُيُوْتِ الدَّعَارَةْ؟!

اسْتَعِدُّوا فَقَدْ أَتَاكُمْ شَـــبَـــابٌ　　مِنْ بُطُوْنٍ تَنُثُّ مِنْهَا الطَّهـــارَةْ

يَحْمِلُوْنَ شُـــوَاظَ نارٍ تَلَـــظَّـــى　　مِنْ شَظايا التَّارِيْخِ مِنْ كُلِّ دارَةْ[٣]

فَاجَؤُوْكُمْ مِنَ المَدَارِسِ إِعْصَاراً　　مُخِيْفـــاً لا مِنْ سِلاحِ الإِشَارَةْ

سَجَّلُوا فِي الدَّفَـــاتِرِ واجِبَـــاتٍ　　حَلُّهَا لَيْسَ مِنْ قَـــرَارِ الإِدارَةْ[٤]

قَـــرَّرُوا أَنْ يُعَـــبِّرُوا فِي حَمَاسٍ　　وانْتِظَامٍ بِـــغَارَةٍ إِثْـــرَ غـــارَةْ

ذلكَ الشَّعْبُ- يا أَذَلَّ البَرَايَـــا-　　كُلَّمَا هَـــبَّ تَجْمَعُوْنَ الـــوِزَارَةْ

[١] كسرة الكاف مشبعة في كلمة "أنّكِ".

[٢] كسرة التاء مشبعة في كلمة "السَّفالةِ".

[٣] فتحة النون مشبعة في كلمة "يحملونَ".

[٤] كسرة الراء مشبعة في كلمة "الدفاترِ".

تَخْرُجُوْنَ مِنْ الكَنِيْسَةِ أَقْزَامًــا   صِغَاراً وتُنْكِرُوْنَ الخَسَـــارَةْ[1]

***   ***

يا لَهُ مَنْــظَراً يَهُــزُّ الحَنَــايَــا   بل يُثِيْرُ فِي النَّفْسِ أَحْلَى عِبَارَةْ[2]

عَسْكَرِيٌّ مُدَجَّجٌ مُسْــتَــبِــدٌّ   مِنْ جُنُوْدِ النَّذالَةِ والحَــقَــارَةْ[3]

يَتَمَطَّى بَيْنَ الجُنُوْدِ افْتِخَــاراً   رُبَّما كان مِنْ كِبَارِ "النَّظَارَةْ"

يَنْزَوِيْ إِنْ رَأَى تَنَمُّــرَ طِفْــلٍ   مِثْلَما تَنْزَوِيْ إلى الجُحْرِ فَــارَةْ

انْتَظِرْ- يا أَذَلُّ- كَأْسَ المَنَايَــا   جَاءَكَ الطِّفْلُ والحَصَى والجَسَارَةْ

أَيْنَ تَغْدُوْ ؟ وراحَ مِنْكَ التَّعَــالِي   يا ذَلِيْلاً كَثَعْلَبٍ فــيْ مَغـَـارَةْ!

---

[1] فتحة النون مشبعة في كلمة "تخرجونَ".

[2] ضمّة الراء مشبعة في كلمة "يثيرُ".

[3] كسرة التاء مشبعة في كلمة "النذالةِ".

أبا فيصل .. !

مُهداة لفضيلةِ الشيخ اللَّبيب، الشاعر الأديب، علي بن قاسم الفَيْفي

سَماحُكَ يا شَيْخيْ فَمثْلُـــكَ يَعْـــذُرُ
لَكَ الحَقُّ إنْ تَعْتَـــبْ فـــإنِّي مُقَـــصِّرُ

أنا ثَمَرٌ منْ غَرْسكَ الجَـــمِّ ناضِـــجٌ
سَأَذْكُرُ هذا الفَضْلَ دَوْمًـــا وأَشْـــكُرُ

فتَوْجيْهُكَ المَحْفُوْرُ في القَلْبِ ثابِـــتٌ
مَدَى العُمْـــرِ لا أَنْـــسَى ولا أَتَنَكَّـــرُ

وتَشْجيْعُكَ المَسْطُوْرُ في الذِّهْنِ راسِخٌ
علـــى مَوْكِـــبِ الأَيَّـــامِ لا يَتَغَيَّـــرُ

* * *

أبا فَيْـــصَلٍ، واللهُ أَعْطَـــاكَ رِفْعَـــةً
فبُورِكْتَ بـــالتَّرْفِيْعِ تَـــسْمُوْ وتُحْبَـــرُ

وبُورِكْتَ بالتَّقْديْرِ والمَنْصِبِ الـــذي
حُبِيْتَ به إذْ أَنْـــتَ أَهْـــلٌ وأَجْـــدَرُ

وقَدْ كُنْتُ تَوّاقًـــا لتَوْديْـــعِ ماجِـــدٍ
وشَتّانَ فَيْفَا- يا عَزِيْـــزِيْ- وعَرْعَـــرُ

فإنْ تَبْتَعِدْ عَنْ ديْرَةٍ أَنْـــتَ نُوْرُهـــا
فإنَّـــكَ ذِكْـــرٌ في الحَنَايَـــا مُعَطَّـــرُ

وإِنْ بِنْتَ عَنْ أَرْضٍ عَشِقْتَ تُرابَهـــا
فمَكَّةُ خَيْـــرٌ مِـــنْ ثَرَاهَـــا وأَطْهَـــرُ

* * *

سَمعْتُكَ إذْ تَتْلُو وَدَاعًا مُؤَثِّرًا ... يَفِيْضُ وَفَاءً وانْتِمَاءً ويَعْمُرُ

يَفُوْحُ أَرِيْجُ الودِّ والصِّدْقِ والصَّفَا ... كما فَاحَ رَيْحَانٌ ورَنْدٌ وعَنْبَرُ

عَزَفْتَ على قِيْثَارةِ النُّبْلِ مَقْطَعًا ... بَديْعًا عَنِ الذَّوْقِ الرَّفِيْعِ يُعَبِّرُ

وإنِّيْ- رَعَاكَ اللهُ يا شَيْخُ- مُعْجَبٌ ... بنَهْجكَ في اللأْوَاءِ بالحَقِّ تَجْهَرُ

حَلِيْمٌ، ولكنْ لا تُدَاسُ كَرَامَةٌ، ... حَكِيْمٌ، عَفِيْفُ النَّفْسِ، شَهْمٌ، مُظَفَّرُ

إخَالُكَ ملْءَ السَّمْعِ مُذْ كُنْتَ يَافِعًا ... قَرِيْنُكَ طُوْلَ الوَقْتِ طِرْسٌ مُحَبَّرُ

نَشَأْتَ عِصَامِيًّا طَمُوْحًا مُكافِحًا ... شَقَقْتَ الطَّرِيْقَ الصَّعْبَ، تَصْبُوْ وتَصْبِرُ

وحَقَّقْتَ ما تَصْبُوْ إليه، وقَدْ غَدَتْ ... بكَ الدِّيْرَةُ الجَدْباءُ تَزْهُوْ وتُزْهِرُ

ظَهَرْتَ منَ الظَّلْماءِ كالبَدْرِ سَاطِعًا ... إلى الجَبَلِ العِمْلاقِ يَرْنُوْ ويُنْوِرُ

صَفَعْتَ جَبِيْنَ الجَوْرِ والبَغْيِ والخَنَا ... وقُلْتَ لأَهْلِ الكِبْرِ: اللهُ أكْبَرُ!

هَزَزْتَ قَنَاةَ العَدْلِ في كَفٍّ واثِقٍ ... وأَلْهَبْتَ ظَهْرَ الظُّلْمِ، والحَقُّ يُنْصَرُ

أَتَيْتَ مُحِيْطًا مُكْفَهِرًّا فَشَمَّرَتْ ... سَفِيْنُكَ ضِدَّ الرِّيْحِ بالعَزْمِ تَمْخَرُ

فيا رُبَّ صَعْبٍ رُضْتَهُ فتَرَكْتَهُ ... ذَلُوْلاً وقَبْلاً كَانَ يَرْغُوْ ويَهْدِرُ

ورُبَّ حَرُوْنٍ قَدْ كَبَحْتَ جِمَاحَهُ ... على لاحِبٍ تَهْدِيْ خُطَاهُ وتَأْطِرُ

فأَضْحَى وَدِيْعًا هادِئَ الطَّبْعِ طَائِعًا ... وكانَ لَجُوْجًا في المَحَافِلِ يَزْأَرُ

ورُبَّ لَدُوْدٍ شَامِخِ الأَنْفِ سَادِرٍ ... كَثِيْرِ الأَذَى يَهْوَى العِنادَ ويَفْخَرُ

وضَعْتَ لهُ حَدًّا، وقُلْتَ لَهُ: اتَّئِدْ ... فإِنِّيْ الشَّجَا في حَلْقِ مَنْ يَتَعَنْتَرُ

وكَمْ ظَالمٍ أَوْدَعْتَهُ السِّجْنَ بُرْهَةً ... لِيَشْعُرَ بالتَّثْرِيْبِ إنْ كانَ يَشْعُرُ

وقَلَّمْتَ أَظْفَارَ الجَبَابِرَةِ الأُلَى ... على ضُعَفَاءِ النَّاسِ دَهْرًا تَجَبَّرُوا

وذِيْ لَسَنٍ أَلْقَمْتَهُ حَجَرًا، وَقَدْ ... تَعَوَّدَ أَنْ يَأْتِيْ كَرَعْدٍ يُزَمْجِرُ

وثَكْلَى جَرِيْحٍ كُنْتَ- حَقًّا- طَبِيْبَها ... تُعِيْدُ لها حَقًّا وتَأْسُوْ وتَجْبُرُ

وحَرَّرْتَها مِنْ عُصْبَةِ النَّهْبِ والأَذَى ... فَفَاءَتْ إلى الرَّحمنِ تَدْعُوْ وتَجْأَرُ

* * *

تَنَاذَرَكَ الأَقْزَامُ يَوْمًا وما دَرَوا ... بأَنَّكَ فِيْهِمْ كالقَوارِعِ مُنْذِرُ

وحاكُوا نَسِيْجًا مِنْ خَيَالاتِ مَاكِرٍ ... وباءَ بِذُلِّ النَّفْسِ مَنْ بَاتَ يَمْكُرُ

تَحَمَّلْتَ بَغْيَ الأَقْرَبِيْنَ وظُلْمَهُمْ ... ووَجْهُكَ في كُلِّ الغَيَاهِبِ مُقْمِرُ

"وظُلْمُ ذَوِيْ القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً" ... وأَنْكَى جِراحًا مِنْ شَبَا السَّيْفِ يَجْزُرُ

وأَزْعُمُ أَنَّ الرَّهْطَ عَادُوا أَحِبَّةً ... بُعَيْدَ العَدَاءِ المُرِّ ثَابُوا وأَعْذَرُوا

وكُنْتَ كَرِيْمَ النَّفْسِ شَهْمًا مُسامِحًا ... وهُمْ- رُغْمَ ما في الأَمْرِ- أَهْلٌ ومَعْشَرُ

* * *

سيُنْصِفُكَ التَّارِيْخُ إنْ عَزَّ مُنْصِفٌ ... ويَذْكُرُكَ الخصْمَان إنْ ضَجَّ مَحْضَرُ

تُزِيْلُ العَشَى عَنْهُمْ بِعَدْلٍ وحِكْمَةٍ ... وحُكْمُكَ- كالقِسْطَاسِ- سَهْلٌ مُيَسَّرُ

ويُنْصِفُكَ الأَيْتَامُ تَحْمِيْ حُقُوْقَهُمْ ... إذا قَامَ بَاغِيْ الزُّوْرِ يَلْغُوْ ويَفْجُرُ

كَأَنِّيْ أَرَاهُمْ سَاعَةَ البَيْنِ خُشَّعًا ... وأَعْيُنُهُمْ بالدَّمْعِ تَهْمِيْ وتُمْطِرُ

وَيَدْعُوْنَ بالتَّوْفِيْقِ والـــيُمْنِ والرِّضَـــا وحُبُّكَ في الأَحْشَاءِ يَنْمُـــوْ ويَكْبُـــرُ
هَنِيْئًا لَكَ الحُــــبُّ الكَبِيْرُ الذي بـــَدَا جَلِيًّا ، مِنَ الأَلْمَـــاسِ أَغْـــلَى وأَنْـــدَرُ



صرح على صدر السماء ..!

سَلامٌ عَلَيْكُمْ مِثْلَمــا فَــاحَ عَنْبَــرُ ... وكالدِّيْمَةِ الوَطْفَاءِ تَــدْنُوْ فتُمْطِــرُ

وكالحُرَّةِ الحَسْنَاءِ تَقْنِــيْ حَيَاءَهَــا ... وكالرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ تَــصْفُوْ وتُعْطِــرُ

وكالبَسْمَةِ البَيْضَاءِ مِنْ ثَغْرِ عَاشِــقٍ ... وكالوَرْدَةِ العَذْرَاءِ بالطِّيْبِ تَقْطُــرُ

وكالعَسْجَدِ المَسْبُوْكِ في كَفِّ مُنْفِقٍ ... وكالحُبِّ في الإِسْلامِ يَنْمُوْ ويَكْبُــرُ

* * *

حَلَلْنَا ضُيُوْفًا بَــيْنَ أَهْــلٍ أَعِــزَّةٍ ... قَرَوْنَا سُلافَ الشَّهْدِ .. للهِ ما قَرَوْا

عَلَيْهِمْ مِنَ الإِسْلامِ والنُّبْلِ والتُّقَــى ... دُرُوْعٌ لها وَشْــيٌ وسَــرْدٌ مُقَــدَّرُ

إذا أُوْرِدَ الذِّكْرُ الجَمِيْلُ تَــوَارَدَتْ ... شَمَائِلُهُمْ ، والشَّيْءُ بالشَّيْءِ يُذكَرُ

* * *

بِلاديْ على أَكْتَافِها اليُمْنُ راسِــخٌ ... لها الحَقُّ أَنْ أضْحَتْ عَرُوْسًا تَبَخْتَرُ

على سَطْحِها أَرْتَاحُ للنَّجْمِ والدُّجَى ... وتَنْــزَاحُ أَشْبَاحُ الهُمُوْمِ وأَسْــمُرُ

وتَغْمُرُنِيْ مِنْ لُطْفِهَــا واحْتِفَائِهــا ... بِفَيْضٍ مِنَ التَّحْنَانِ يَزْكُــوْ فيَعْمُــرُ

وَيُطْرِبُنِيْ مِنْ رَوْضِهَا صَوْتُ سَاجِعٍ ... يُلِيْنُ الفُؤَادَ الصَّلْدَ إِنْ كانَ يَـشْعُرُ

بِتَرْنِيْمَةٍ لَيْـسَتْ بِأَوْتَـارِ مُنْكَـرٍ ... ولا مِنْ مَزَامِيْـرٍ ولا ثَـمَّ مِزْهَـرُ

* * *

وفي نَدْوَةٍ صُغْرَى سَـعِدْنا بفِتْيَـةٍ ... لَهُمْ بَيْنَ أَضْـلاعِ المُحِبِّـيْنَ مِنْبَـرُ

وفَاضَتْ يَنَابِيْعُ البَيَـانِ وضَـوَّعَتْ ... نُسَيْمَاتُ وُدٍّ مِنْ شَذا المِسْكِ أَذْفَـرُ

يُعِيْدُوْنَ مَجْدًا ناصِعًا مِـنْ مَـآثِرٍ ... تُذَكِّرُنا التَّـارِيْخَ غَـضًّا فَنَفْخَـرُ

وما ذاكَ تَـارِيْخٌ ولكـنْ لآلِـئٌ ... على البِيْدِ تَطْوِيْ الأَرْضَ واللَّيْلُ مُغْدِرُ

أُسُوْدٌ لهُمْ في كُـلِّ أَرْضٍ رِوَايَـةٌ ... تُحَـذِّرُ مَبْنَاهَـا مَعَـدٌّ وحِمْيَـرُ

مَـصَابِيْحُ إِيْمَـانٍ مَتِـيْنٍ مُـؤَطَّرٍ ... تَسَامَتْ بِهِ الأَهْدَافُ وانْدَاسَ عُنْصُرُ

وقَدْ هِمْتُ بالأَفْذَاذِ مِنْ أُمَّتِيْ الـتِي ... أَصَاخَتْ لها الآفَاقُ تَدْعُوْ وتَجْـأَرُ

أَبِيْتُ على سَفْحِ القَرَاطِيْسِ نَـاهِلاً ... مِنَ المَنْبَعِ الرَّقْرَاقِ أَرْوَى وأَصْـدُرُ

يُسَامِرُنِيْ بَرْدُ التَّبَـارِيْحِ والنَّـدَى ... وسُهْدِيْ وحُلْمِيْ والكِتَابُ المُطَهَّرُ

وتَنْقُلُنِيْ صَوْبَ الـصَّفَايَا مَـآذِنٌ ... يُفَتِّقُ آذانَ الـوَرَى : اللهُ أَكْبَـرُ!

ويُرْوِيْ عِطَاشِيْ يَوْمَ حَشْرِيْ وغُلَّتِيْ ... مَعَ المُصْطَفَى..يارَبِّ..يارَبِّ.. كَوْثَرُ

* * *

يُحَرِّكُ فِيَّ الشِّعْرَ، يا مَجْمَعَ التُّقَى، ... شُمُوْخُ الأَمَانِيْ والـسُّمُوُّ المُـوَقَّرُ

وصَرْحٌ على صَدْرِ السَّمَاءِ انْبِسَاطُهُ ... يُعَانِقُهُ فيهـا الـسَّحَابُ المُـسَخَّرُ

عَلَيْهِ مَدَى الأَيَّـــامِ تَـــاجٌ مُرَصَّـــعٌ   وأَنْمَاطُهُ مِنْ نَسْجٍ ما حَاكَ عَبْقَـــرُ
مَصَابِيْحُهُ تَحْكِيْ الدَّرَارِيَّ فِي الدُّجَى   وأَنْوَارُهُ فَـــوْقَ المَـــسَافَات تَبْهَـــرُ
سَلامٌ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا حَـــجَّ مُـــسْلِمٌ   وصَلَّى، وما صَامَ العِبَادُ وأَفْطَـــرُوا

✐ ✐ ✐

معهد الخشعة

فِي مَعْهَدِ الخَشْعَةِ المَرْحُـومِ أَسْـرَارُ ... لِيْ فِي زَوَاياهُ أَصْـدَاءٌ وتِـذْكَارُ
كَتَبْتُ أَوَّلَ حَـرْفٍ فَـوْقَ تُرْبَتِـهِ ... والكَفُّ غَضٌّ ولا فِي الذِّهْنِ أَفْكَارُ
وكانَ يَمْشِيْ حَثِيْثاً لِلعُلَـى عَجِـلاً ... فاغْتَالَهُ الدَّهْرُ إنَّ الـدَّهْرَ غَـدَّارُ
لو كانَ بُنْيَانُـهُ لِلحَـقِّ ما هُدِمَـتْ ... أَرْكَانُهُ كَيْفَ أَنَّ الحَـقَّ يَنْهَـارُ

* * * ... * * *

هناكَ فِي مَوْكِبِ الأَطْفَالِ ما بَرِحَـتْ ... فِي القَلْبِ مِنْ سِرِّهِ نَـارٌ وأَنْـوَارُ
فالنُّوْرُ كانَ بما حَصَّلْتُ فِي صِـغَرِي ... مِنَ التَّعَلُّمِ مَـا لِلفَـضْلِ إِنْكَـارُ
والنَّارُ كانتْ بما قاسَيْتُ مِـنْ عُقَـدٍ ... فِي مَعْهَدٍ فيهِ أَشْـرَارٌ و أَخْيَـارُ
كُنْـتُ المُقَـدَّمَ تَمْوِيْهـاً وتَغْطِيَـةً ... وكانَ لِيْ مِنْ سِمَاتِ القَوْمِ أَنْصَارُ
قالُوا تَصَـدَّرْ مِنَ التَّدْرِيْـسِ مَرْتَبَـةً ... وكـانَ ظَـنِّي بِأَنَّ القَـوْمَ أَبْرَارُ

وكُنْتُ أَعْمَلُ مثْلَ الآخــرينَ ومــا ... قَصَّرْتُ يَوْماً وللأَتْعَــابِ صَــبَّارُ

وقد جَنَى كُلُّ فَرْدٍ غَرْسَــهُ جَــذلاً ... أمَّا أنا فجَنَــائي حَــازَهُ الفَــارُ

كُلُّ المُحيْطِ حَوَى قَوْمــاً صَــيَارِفَةً ... آمالُهُمْ في الدُّنَى قِرْشٌ و دِيْنَــارُ

فالأَغنياءُ لَــدَيْهِمْ مــا لَهُــمْ مَثَــلٌ ... في الحِفْظِ والفَهْمِ فابْنُ البَطِّ بَحَّارُ

أمَّــا المَــشَائخُ فالــدُّنيا مُكَلِّلَــةٌ ... تِيْجَانَهُمْ "هيْه"[١] فابْنُ الشَّيْخِ أَمَّارُ

أمَّــا الفَقيْــرُ فَدَعْــهُ لا تُوَظِّفُــهُ ... إلاّ خدَاعاً لَهُ إنْ أَنْــتَ مَكَّــارُ

وفي التَّفاصِــيْلِ لَــوْ فَــصَّلْتُها أَلَــمٌ ... وسامَحَ اللهُ مَنْ بَارُوا ومَنْ خَارُوا

لا أُنْكرُ فَضْلَ مَنْ رَدَّدْتُ مِــنْ فَمِــهِ ... آياً منَ الذِّكْرِ فالغَمْطُ هُوَ العَــارُ[٢]

فلَسْتُ أَحْملُ إلا الحُــبَّ مُبْتَهجــاً ... به فما لِيْ سِوَى الأَحْبَابِ سُــمَّارُ

هذيْ خَواطِرُ ذِكْرَى في الحَشَا عَبَرَتْ ... وليسَ لِيْ منْ وَرَاءِ النَّظْمِ أَوْطَــارُ

في لَيْلَةٍ غــَادَرَ النــَّوْمُ العُــيُونَ وقدْ ... طافــَتْ بفِكْــرِيَ أَخْــبَارٌ وآثَارُ

---

[١] "هيه" هكذا في أصل المخطوط الوحيد الذي عثرتُ عليه لهذه القصيدة. ولعل الكلمة هنا حكاية صوت يستعمل في اللهجة تمجيدًا لأبناء الشيوخ، المتفوّقين بالضرورة! بينما "هيه" في الفصحى كلمة تقال للاستزادة. وهــذا المعــنى الأخير وارد هاهنا أيضًا.

[٢] لا بُدَّ في البيت لكي يستقيم وزنه من إشباع ضَمّة الراء في "أنكرُ"، وضَمّة الطاء في "الغمطُ"، وكان يمكن أن يكون:

لا أُنْكِرَنْ فَضْلَ مَنْ رَدَّدْتُ مِنْ فَمِهِ ... آياً مِنَ الذِّكْرِ فالنُّكْرَانُ بِيْ عَارُ

اللهُ أكْبَر !

(في رثاء الشيخ محمّد بن أحمد الحَكَمِيّ، شيخ قبيلة آل بالحَكَم، رحمه الله)

اللهُ أَكْبَرُ! إنَّ المَوْتَ جَبَّارُ ... إنْ صَالَ صَوْلَتَهُ لم يَبْقَ دَيَّارُ

يَهْوَى هُواةَ العُلا مِنْ كُلِّ ذيْ شَرَفٍ ... يَأْتِيْ لأَكْرَمِ بَيْتٍ ثُمَّ يَخْتَارُ

آمَنْتُ بِاللهِ، كَمْ للهِ مِنْ حِكَمٍ ... في خَلْقه! كُلُّ هذا الكَوْنِ أَسْرَارُ

ولا اعتراضَ على ما شَاءَ بارؤُنا ... فما قَضَى عِنْدَهُ وَزْنٌ ومقْدَارُ

يا مَوْتُ أَزْهَقْتَ نَفْسًا طالما سَهِرَتْ ... دُعاؤُها في الدُّجَى شَفْعٌ وأَوْتَارُ

أَيُّ الشَّمَائِلِ نَبْكِيْها وقدْ طُوِيَتْ ... صَحِيْفَةٌ زانَها مَجْدٌ وأَنْوَارُ

بَدْرٌ هَوَى مِنْ عُلُوٍّ شَاهِقٍ فَثَوَى ... في حُفْرَةٍ كُلُّها تُرْبٌ وأَحْجَارُ

تَصَارَعَتْ لَهْجَةُ النَّاعِيْ يُؤَبِّنُهُ ... وهاتِفٌ قاصِمٌ للظَّهْرِ جَوَّارُ

وَقَفْتُ أَسْتَذْكِرُ الماضِيْ ورَوْعَتَهُ ... والشَّيْخُ يَكْسُوْهُ إِجْلالٌ وإِكْبَارُ

غَضَنْفَرٌ باسِلٌ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... على الأَعَادِيْ غَداةَ الرَّوْعِ كَرَّارُ

حياتُهُ جُلُّها حَرْبٌ وتَضْحِيَةٌ ... حَمَى حِمَاهُ وفُلْكُ الحَرْبِ دَوَّارُ

في عُمْرِه المَوْجُ والإعصارُ مُحْتَدِمٌ ... قادَ السَّفِيْنَةَ صَوْبَ البَرِّ بَحَّارُ

رُبَّانُها مَاهِرٌ في الغَوْصِ، يَحْفِزُهُ ... رَأْيٌ سَدِيْدٌ إذا ما هَبَّ إعْصَارُ

يَجْلُوْ مَوازِينَهُ في كُلِّ مُعْضِلَة ... ما غَضَّ مِنْ نَهْجِهِ عُسْرٌ وإيْسَارُ

يَرَى الأُمُوْرَ بِعَيْنِ الفِكْرِ بارِزَةً ... نُوْرُ البَصِيْرةِ في عَيْنَيْهِ مِنْظَارُ

عَقْلٌ وفِكْرٌ وتَدْبِيْرٌ ومَقْدِرَةٌ ... عَزْمٌ وحَزْمٌ وتَصْمِيْمٌ وإصْرَارُ

إنْ جَاءَهُ ماكِرٌ أَخْزَاهُ في عَجَلٍ ... في كُلِّ حَادِثَةٍ ما فَازَ مَكَّارُ

وإنْ تَجَاوَزَ مَغْرُوْرٌ حَوَاجِزَهُ ... أَبَى وأعلَنَ لا يَسْتَأْسِد الفَارُ

وإنْ رَأَى فارِسًا في القَوْمِ أَعْظَمَهُ ... أو مُخْلِصًا نالَهُ بَذْلٌ وإيْثَارُ

كانَ الرُّجُوْلَةَ في أَسْمَى مراتِبِها ... دَمُ الشُّجاعَةِ في الشِّريانِ فَوَّارُ

ما كانَ مُنْهَزِمًا يَوْمًا ولا وَقَرَتْ ... في قَلْبِهِ رِعْدَةٌ إنْ هَاجَ هَدَّارُ

كَلاَّ ولا عَثَرَتْ في الدَّرْبِ خُطْوَتُهُ ... ولا وَهَى عَزْمُهُ إنْ خَانَ غَدَّارُ

هذِيْ سَجَايَاهُ جَلَّ اللهُ آخِذُهُ ... مَضَى ويَبْقَى لَهُ ذِكْرٌ وآثَارُ

فاسْأَلْ بِهِ (الرَّيْثَ) هَلْ خَارَتْ عَزَائِمُهُ ... إذا تَأَخَّرَ عَنْ مَرْمَاهُ خَوَّارُ

أَيَّامَ كانَ المقَامُ الْمُرُّ مُعْجِزَةً ... والجُوْعُ والبَرْدُ والبَارُوْدُ والنَّارُ

لَيْثٌ لَدَى الحَرْبِ قَدْ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ ... واللَّيْثُ (للقَهَرِ)[1] المَوْعُوْدِ قَهَّارُ

واسْأَلْ حُدُوْدَ بِلادِيْ عَنْ مَواقِفِهِ ... هَلْ ضَاعَ في عَهْدِهِ عَنْ رَبْعِهِ ثَارُ

---

[1] القَهَر: المكان المعروف في بلاد (الرَّيْث). والإشارات إلى أيام مشكلة الرَّيْث، المعروفة في التاريخ السعودي.

يُقضُّ مضْجَعَ مَنْ داسُــوا لَــهُ شَــرَكًا كأنَّــهُ في ظُهُــوْرِ القَــوْمِ منْــشَارُ

واسْأَلْ مَشَايِخَ ذاكَ القُطْــرِ أَجْمَعَهُــمْ إنْ زَمْجَرَتْ صَيْحَةٌ هَلْ كَانْ يَحْتَارُ

وهَلْ يَضُمُّ جَنَاحَ الــذُّلِّ مِــنْ فَــرَقٍ أَمْ هَــلْ يُثَبِّطُــهُ عَــذْلٌ وإنْــذَارُ

قَضَى وقدْ خَلَّــفَ الأَشْــبَالَ ســاهِمَةً عِنْدَ الــوَدَاعِ وتَــصْدِيْقٌ وإنْكَــارُ

قَدْ كُمَّ صَوْتٌ رَهِيْــبٌ عِنْــدَ غَــضْبَتِه كَأَنَّ أَصْــدَاءَهُ في الأَرْضِ إعْــصَارُ

وضُمَّ في اللَّحْدِ سَــيْفٌ صَــارِمٌ ذَرِبٌ وخَنْجَرٌ في شِغَافِ الخَــصْمِ بَتَّــارُ

يا قَبْرُ، أَبْكَيْــتَ عَيْنًــا عَــزَّ مَــدْمَعُهَا سَقَى ثَرَاكَ مِنَ الــشُّؤْبُوْبِ مِــدْرَارُ

القَلْبُ يَرْجُــفُ والأَبْــصَارُ شَاخِــصَةٌ جَلَّ الْمُصَابُ، خَلَتْ مِنْ شَيْخِهَا الدَّارُ

فالصَّبْرُ يا مَنْ كَوَتْكُمْ نَــارُ فُرْقَتِــهِ وادْعُوا لَهُ بالرِّضَــى فَــاللهُ غَفَّــارُ!

❖ ❖ ❖

كابوس

حُلُمٌ ولَيْلٌ مُغْدِرُ   مافيهِ نَجْمٌ مُزْهِرُ
رَأَيْتُ أَنِّيْ جالِسٌ   مُنْفَرِداً أُفَكِّرُ
مُكْتَئِباً مِنْ مَنْظَرٍ   لا عادَ ذاكَ المَنْظَرُ
رأيتُ أَرْضِيْ تَشْتَكِيْ   إِلَيَّ حُزْناً يَقْهَرُ
رأيتُها شاحِبَةً   "صاحِيَةً"[1] تكَدّرُ
مُجْدِبَةً هامِدَةً   يَعْلُوْ رُباها الغَبَرُ
عابِسَةً حَزِيْنَةً   خاطِرُها مُنْكَسِرُ
عَلِيْلَةً حَسِيْرَةً   وصَدْرُها مُنْفَطِرُ
جِبَالُها مُعْتِمَةٌ   وسَهْلُهَا مُنْدَثِرُ
أَشْجَارُها ذابِلَةٌ   ضَامِرةٌ لا تُثْمِرُ

---

[1] صاحية: جوّها صَحْوٌ.

أَعْـــشَابُها مَحْرُوْقَـــةٌ جَفَّ البِسَاطُ الأَخْضَرُ
شَابَتْ نواصِيْها وغَـــا بَتْ عَنْ ثَراها المَطَرُ[١]
فقُلْتُ يا أَرْضَ الغَـــوا دِيْ والنَّدَى ما الخَبَرُ؟
يا حَسْرَتِيْ ماذا أَرَى؟ اللهُ رَبِّـــيْ أَكْبَـــرُ!
ماذا دَهَى الوِدْيَـــانَ لا تَنْسابُ فيها الأَنْهُرُ؟
أَيْنَ الـــسَّماءُ في زَمـــا نٍ خَيْرُهـــا يَنْهَمِـــرُ؟
أَيْنَ الرُّعُـــوْدُ والبُـــرُوْ قُ والسَّحابُ المُمْطِرُ؟
أَيْنَ اللَّيالِيْ السَّارِيَـــا تُ والسُّيُوْلُ الحُشَّرُ؟
أَيْنَ صَبَيْبُ الماءِ والـــ ـــبَيْتُ سَرَى يُقَطِّرُ؟
وغَـــــرَقٌ وصَـــــرَدٌ ورَجْفَـــةٌ وسَـــهَرُ
نَصْحُوا على عَمَايَـــةٍ يَضِيْعُ فيها النَّظَرُ[٢]
وتَنْجَلِي عَنْ "رَهْـــوَةٍ" قَدْ عَنْقَدَتْها الشَّجَرُ[٣]

---

[١] أنّث الشاعر الفعل "غابت" هاهنا لأن كلمة "المطر" تستعمل مؤنثة في اللهجة. على حين أن الكلمة في الفصحى مذكّرة، وتؤنث على "مَطَرَة".

[٢] عَماية: ضَباب.

[٣] الرَّهْوَة: الطَلّ والنَّدَى. وفي إحدى النسخ المطبوعة: "قد عانقتها".

والأَرْضُ رَوْضٌ ناضِـــرٌ   تَفُـــوحُ منْهُ الأَزْهُـــرُ
والطَّيْرُ يَشْدُوْ صَـــادِحاً   غَنَّى بصَوْتٍ يَـــسْحَرُ[1]
والعَــــيْشُ في هَنَـــاءَةٍ   ورَاحَـــةٍ لا تُحْـــصَرُ
الكُلُّ رُغْمَ الفَقْـــرِ مُـــرْ   تَاحٌ دَوَامـــاً يَـــشْكُرُ
كَـــمْ أُسْـــرةٍ مُحْتَاجَـــةٍ   لكنَّهـــا لا تُخْبِـــــرُ
الأُمُّ في سَــــــــعَادةٍ   على الرَّزَايَـــا تَـــصْبِرُ
فَلاّحَةٌ تَحْـــرُثُ أحْـــــ   ـــيانًا وحِيْناً "تُسْبِرُ"[2]
الفَقْـــــرُ لا يَهُمُّهـــــا   قُوْتٌ وثَـــوْبٌ يَـــسْتُرُ
لم تَكْتَـــرِثْ ممّـــا بِـــه   يأتِيْ الزَّمَـــانُ الأَغْبَـــرُ
فعَطْفُهـــا وصَـــبْرُها   وحُبُّهـــا يَنْتَـــــصِرُ
أولادُها مِـــنْ حَوْلِهـــا   كالعَيْنِ فيهـــا البَـــصَرُ
تَقْسِـــمُ مِنْ لُقْمَتِـــهـــا   ليَأْكُـــلُوا ويَكْـــبُـــرُوا

---

[1] في إحدى النسخ المطبوعة: "والطير يشدو كالمزامير بصوتٍ يسحرُ".

[2] تُسْبِر: تقوم بأعباء البيت.

تَجُــوْعُ حتى يَشْــبَعُوا   وهُمْ صِغَــارٌ ما دَرَوْا[١]
تَحُظُّهُم مَهْمَــا تَــــوا   لَى البُؤْسُ أَلاّ يَــصْغُروا[٢]
يَفيْــضُ عَذْبــاً صــافياً   منْها الحَنــَانُ المُثْمِــرُ
تَــــدُبُّ فيهـــا نَــشْوَةٌ   جَذْلَى وحُــبٌّ يَغْمُــرُ
تُرِيْـــدُ مِـــنْ أولادهـــا   أَنْ يَدْرُسُوا ويَظْفَــرُوا
وأَصْــغرُ الأَبْنَــاءِ يَبْـــــ   ــكِيْ، أَتْعَبَتْهُ "الكَوْثَرُ"!
يَكْتُبُ طُوْلَ اللَّيْــلِ مِــنْ   تِلْقائـــــه لا يُـــــؤْمَرُ
وكُلَّما يَكْتُــبُ في الـــــ   ــلَّوْحِ تَميْلُ الأَسْــطُرُ
سِـــــراجُهُ مُـــــسْرَجَةٌ   ذَابلَـــــةٌ والقَمَــــــرُ
دَوَاتُـــهُ مِـــنْ "نُـــوْرَةٍ"   واللَّوْحُ فيهِ "مَعْشَـــرُ"[٣]

---

[١] في حركة الرويّ في قافية البيت ما يسميه دارسو القوافي: عيب (الإصراف)، وهو الانتقال في حركة الرويّ (الــراء، هنا) من الضمّ إلى الفتح، في "دَرَوا". إلاّ أنه لا يُعدُّ عيبًا لديهم كالإقواء، وهو الانتقال بين الضم والكسر.

[٢] يصغروا: هنا من الصَّغار، أي الذُّلّ.

[٣] "المَعْشَر": في لهجة فَيْفاء، الدرس الواجب حفظه على التلميذ. وأصله: أن التلميذ يكلَّف بحفظ القرآن الكريم مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشْرَ آياتٍ عَشْرَ آيات، أو عَشْرَةَ أسطرٍ عَشْرَةَ أسطر؛ كلّما حَفظ ذلك، كان "مَعْشَرُهُ" حفْظَ مثله ممّــا يليه. وقد جاء في (ابن منظور، لسان العرب، (عشر)): "جاء القومُ عُشَارَ عُشَارَ، ومَعْشَرَ مَعْشَرَ. و عُشار، ومَعْشَر، أي: عشَرَةً عشَرَةً، كما تقولُ: أُحادَ أُحادَ، وثُناءَ ثُناءَ، ومَثْنَى مَثْنَى."

وكــانَ مِــنْ أَوْلادِهــا | مُــــدَرَّبٌ مُـــشَمِّرُ
كُــلَّ صَــبَاحٍ جــاهِزٌ | "يَمْخَنُ" أو "يُحَفِّــرُ"[١]
وواحِــــدٌ مُنْهَمِـــكٌ | "يَفْــرُسُ" أو "يُزَبِّــرُ"[٢]
ومَــرَّةً يَحْــرُثُ لــــ | ـــكِنْ ثَوْرُهُ ما "يُيْسِرُ"[٣]
حتى غَــدَا مُعَــقَّــداً | خاطِــرُهُ مكَــــدَّرُ
عُيُونُــــهُ مُحْمَــــرَّةٌ | يَقْدَحُ مِنْهــا الــشَّرَرُ[٤]
يُعَــزِّرُ الثَّــوْرَ كمــا | يُحَدُّ شَــخْصٌ يَسْكَرُ

---

١ يَمْخَن: ينتزع الزرع الصغير الزائد والعشب المحيط بالزَّرْع؛ لتهيئة التُّربة والحيلولة دون تأثير النباتات علــى الــزَّرْع، وذلك في فصل الصَّيْف. وللكلمة أصلها في الفصحى؛ فالَمخْنُ: النَّزْعُ من البئر، ومَخَنَ الأَديمَ والسَّوْطَ: قَشَره ودَلَكه ومَرَنَه، وطريق مُمَخَّنٌ: وُطِّئَ حتى سَهُلَ. (انظر: ابن منظور، (مخن)). ويُحَفِّر: بلهجة الجبل الأسفل من فَيْفاء، بمعنى يَفْرُس على الكِناب– وهو نوع من الزَّرع– فَرْسًا خفيفًا، في فصل الرَّبيع.

٢ يَفْرُس: يُعْمِلُ مِعْوَلَه في الأرض. والفُرْسَة والمَفْرِس: المِعْوَل. وهي آلة حديدية مستطيلة مدببة الرأس، بهراوة قصيرة. والمَفْرِس كلمة مستعملة كذلك في اليمن. وفي الفصحى: فَرَس الشيءَ فَرْساً: فرّقه. يُزَبِّر: يُعِدّ الزُّبُر، جمــع زَبِيْــر، وهو: ارتفاع ترابيّ ممتدّ، تحاط به المدرَّجات الزراعية من خارجها، ليكون عَقْماً يحفظ عليها ماءها.

٣ يُيْسِرُ: يسير بسهولة ويُسْر.

٤ "عيونه": جَرْيًا على الاستعمال الدارج، والصواب: عيناه.

و"السَّحْبُ" سَحْبٌ مُدْغَمْ ... مُعَطَّـــفٌ مُتَغَّـــرُ[١]
و"قَتَـــبٌ" مُعَـــوَّجٌ ... و" لأَمٌ" مُكَـــسَّرُ[٢]
و"لِلْجنَـــابِ" قـــصَّةٌ ... مُبَعْثَـــرٌ مُبتَّـــرُ[٣]
والثَّوْرُ يُمْـــسِيْ جَائِعـــاً ... دُوْنَ عَشَاءٍ "يُوْسَـــرُ"[٤]
وراحَ يَوْمـــاً غاضِـــباً ... يَعُوْذُ مِنْهُ الحَجَـــرُ!
راحَ مَـــسَاءً مُتْعَبـــاً ... يَصِيْحُ أَيْـــنَ المنبَـــرُ؟[٥]
أَيْـــنَ العَـــشَاءُ؟ عَجِّلُـــوا ... يـــا نَـــاسُ لا يُـــؤَخَّرُ!
وحَوْلَـــهُ مِسْـــكِـيْنَـــةٌ ... تَطْحَـــنُ أو تُخَمِّـــرُ

---

[١] السَّحْب: حديدة المحراث، التي تَحْرُثُ الأرض. مُدْغَم: صار قصيرًا، و لم تَعُد شَباتُه حادَّة، أي السَّحْب. مُعَطَّـــف: مُثَنَّى. مُتَغَّر: مُثَلَّم.

[٢] القَتَب، واللأَم: أسماء لأجزاء في آلة المحراث الخشبيّة. هذا، وقد دخل تفعيلات البيت (الخَبْل)، وهو اجتماع (الخـــبن والطيّ)، واجتماعهما ثقيل. ووقع هذا في مواضع أخرى من القصيدة.

[٣] الجِناب: الحِبال على جانبي الثور التي تشدّه إلى المِحراث.

[٤] يُوْسَر: يُرْبَط.

[٥] المنبر: سريرٌ صغير من الخَشَب (قعادة). وتبدو الكلمة مستخدمة في اليمن كذلك بمعنى السرير أو الكرسي، ومعروفة أغنية "يحيى عُمر قال"، لمحمّد مرشد ناجي، وفيها البيتان:

فقلـــت قصديْ أشـــاهدْ ذلكَ المَنْـــبَرْ ... إنْ كان هذا مَلِكْ فالمملكةْ للـــهْ
... وهو كما البدر يِتاكيْ فوق ذا المَنْـــبَرْ ... واربعْ وصايفْ لأجلهْ قايمـــةْ قُبْلَهْ

في سُــرْعَة مُــذْهلــَة تَعْجُــنُ أو "تُجَمِّــرُ"[١]
وأَحْــضَرَتْ عَــشَاءَها لنَــائم "يُنَخِّــرُ"[٢]
وفي الغَــد يــَوْمٌ جَديْــ ــدٌ حَظُّــهُ مُيَسَّــرُ[٣]
"نَــشيْرَةٌ" أو "عانَــةٌ" مِنْ "لابَة" ما قَــصَّرُوا[٤]
"هَزامِــلٌ" طُــوْلَ النَّهــا رِ صَــوْتُها يُزَمْجِــرُ[٥]
وفي المَــسَاءِ مَغْــرَدٌ أَلْفَاظُــهُ تُعَبِّــرُ
وصَوْتُ "نُبُّوْت" سَــرَى وحَــاذقٌ "يُعَــشِّرُ"[٦]
وصَــائحٌ مُجَلْجِــلٌ تَقُــوْلُ قَــامَ المَحْــشَرُ
ويُرْسِــلُ اللهُ سَــحا بــاً جائــداً يَنْهَمِــرُ
وعندمــا يَبْــتَــدِئُ الــ ــبَذْرُ يُشَــدُّ المِئْــزَرُ

---

[١] تُجَمِّر: تُعدُّ في الإثفاء نوعًا من الخُبْز، تُسَمَّى واحدته "جمّارية".

[٢] يُنَخّر: يَغُطُّ في نومه، وفي لهجات أخرى:"يُشَخِّر".

[٣] كسرة الدال في كلمة "الغد" مشبعة.

[٤] العانة: جماعة من الناس تتعاون على عملٍ ما تطوّعًا، وفي وقت واحد. وإذا انتَدَب الناسُ للقيام بالعمل مساءً، مُيِّزوا باسم "نشيرة"؛ لأنهم "ينشرون"– أي يذهبون– إلى عملهم مساءً. واللابة: الجماعة.

[٥] هزامل: جمع هِزْمَيْلَة، والهَزْمَلة: الأزملة والهزج. جاء في (ابن منظور، لسان العرب، (زمل)): "أَزْمَلةُ القِسِيِّ: رَنينُها؛ قال:

وللقِسيِّ أَهازيجٌ وأَزْمَلةٌ ، حِسُّ الجَنوبِ تَسوقُ الماءَ والبَرَدا."

[٦] يُعَشِّر: يُطْلِق الرصاص، وربما كانت الكلمة في الأصل مأخوذة من إطلاق الرصاص عَشْرًا عَشْرًا.

يُشَمِّرُ الــزُّرَّاعُ في الـــــ بِــــلادِ كُـــلٌّ يَبْـــذُرُ
ما ثَمَّ أَحْلَى مِـــنْ جَمَـــا لِ الـــزَّرْعِ لَمَّـــا يَكْبُـــرُ
وفي الخَرِيْـــفِ نَتَمَنَّـــى أَنْ تَطُـــوْلَ الأَشْـــهُرُ[1]
نَنْجَعُ للحَقْوِ وفي الـــــ ـــحَقْوِ يَطِيْبُ السَّمَرُ[2]
نَلْعَبُ "ساريْ اللَّيْلِ" يَحْــ ـــلُوْ في العُيُوْنِ السَّهَرُ[3]
في بَهْجَـــةٍ يـــا حَبَّـــذَا لَيْلُ الخَرِيْـــفِ الُمقْمِـــرُ
وفي الــــشِّتَاءِ "طَابَـــةٌ" يَضِيْقُ عَنْهـــا البَيْـــدَرُ[4]
وشَمَّرَتْ في كُلِّ رَيْـــــ ـــدٍ غَادَةٌ "تُحَـــدِّرُ"[5]
والعِيْـــدُ بالأَفْـــرَاحِ أَلْـــ ـــفًى والشَّبَابُ اسْتَبْشَرُوا
يَسْـــتَعْرِضُـــوْنَ في ثِيَـــا بِ العِيْـــدِ كُلٌّ يَفْخَرُ

---

[1] كسرة الفاء في كلمة "الخريفِ" مشبعة.

[2] الحَقْو: سفوح الجبال وسهولها.

[3] ساري الليل: من أنواع الألعاب الليليّة المعروفة في تهامة، يكوّن الأطفال فيها فريقين، مهاجمًا ومدافعًا، وللمهـــاجمين مكان محدّد، من بَلَغَه فاز، ومَنْ قُبِضَ دونه، انتهى دوره. وفي فَيْفاء لعبةٌ شبيهة يسمّونها: "سَرَنْ حَجَلَة".

[4] الطابة: الحَبّ يُجمع في البَيْدَر، بعذوقه، ثم يُؤتى بثور يَجُرّ فوق ذلك الحصاد "مِجمَرًا"، وهو حجر كبير أملس، حتى يتخلّص الحبّ من العقوذ والزَّمَع.

[5] التحدير: أنْ يُجمع القَصَب في حزَم كبيرة، تسمَّى واحدتُها "حِدْرَة"، ثم تضمّ تلك الحزَم أو "الحِدَر" لتكوّن ما يشبه هَرَمًا من الحِدَر، يسمونه: "مِرْماد"، وجمعه: "مراميد".

لِكُــلِّ بِنْــتٍ "كِرْتَــةٌ" سَوْدَا وثَوْبٌ أَحْمَــرُ[١]
وتاجُهــــا "مِقْلَمَـــــةٌ" يُطِلُّ مِنْهــا الــشَّعَرُ[٢]
والحُسْنُ و"الأَلْبَــابُ" في مَفْرِقِهــــا والعَنْبَـــرُ[٣]
والكُحْلُ والحِنَّاءُ والــــ ــكَاذيْ وزِيْنٌ يُبْهِــرُ[٤]
وخَـــاتِمٌ مِـــنْ فِـضَّةٍ تَذُوْبُ فِيْــهِ البُنْــصُرُ
وعَـــــزَبٌ مُـــــنَظَّمٌ في مَـــشْيِه تَبَخْتُـــرُ
"مُـــــصْنَفُهُ" مُنَيَّـــــلٌ و"كُوْتُــــهُ" مُــــزَرَّرُ[٥]
أو "مِبْــــرَدٌ" مُهَــــدَّبٌ و"مِعْــدَلٌ" مُــشَجَّرُ[٦]
مَفْرِقُــــــهُ مُطَيَّـــــبٌ وجِـــــسْمُهُ مُعَطَّـــرُ
والكُــلُّ فــي تَــعَـاوُدٍ مِنْهُمْ تَمُوْجُ "الزُّبُــرُ"[٧]

---

[١] كِرْتَة: ثوب نسائيّ طويل. سودا: سوداء.

[٢] مِقْلَمة: طَرْحَة.

[٣] الألباب: نوعٌ من طيبٍ للنساء، كالخَلُوْق.

[٤] زِيْنٌ: جَمال.

[٥] المُصْنَف: نوع من الأُزُر المخطّطة. مُنَيّل: مصبوغ بالنيلة الزرقاء.

[٦] المبرد: نوعٌ آخر من الأُزُر البيضاء، له طَرَفان مهدّبان. والمِعْدَل: رداء يُتّخذ للزِّينة أو للدِّفء، ويسمّونه "اللِّحـــاف" أيضًا.

[٧] الزُّبُر: راجع الحاشية السابقة على قافية "يُزَبّر".

وفي المَـــــسَاءِ طَرْبَـــــةٌ   و زَامِـــــــرٌ يُزَمِّـــــــرُ
و"هَصْعَـــةٌ" ورَقْــصَــةٌ   وشـــاعِـــرٌ يُثَـــرْثِـــرُ[1]
هنا النُّفُـــوْسُ الطَّاهِــــــ   ــــرَاتُ والعَفَافُ الأَطْهَرُ
أَيْنَ حَيَاةُ الحُـــبِّ وا لـــ   أَفْرَاحِ؟ مَنْ ذا يُخْبِرُ؟!

♦♦♦

[1] الهَصْعَة: رقصة شعبية.

عَرْعَر[١] والقَدَر!

كانــتْ ابياتــاً مِــنَ الــشَّعَرِ ... تحتَ أمواجٍ مِــنَ الغَــبَرِ[٢]

فَوْقَ سَطْحِ القَفْــرِ نائمــةً ... فَوْقَ صَدْرِ الرَّمْــلِ والكَــدَرِ

في تُخُــوْمِ الأرضِ جاثِــمَةً ... في عُبُوْسِ اللَّيْلِ والــضَّجَــرِ

في لَهِيْبِ الــصَّيْفِ- مُتَّقِــداً - ... تَنْفُثُ الأرواحَ مِــنْ سَــقَرِ

والجَمــادِ القــرِّ- مُنْعَقِــداً- ... زَمْهَرِيْــرٌ بــالِغُ الأَثَــرِ[٣]

جاهَدَتْ و الخَــوْفُ يَــسْكُنُها ... وانْبَرَتْ في مَوْعِــدِ القَــدَرِ

وإذا الأَهْــوالُ ذاهِبَــةٌ ... وإذا الأَرْزَاءُ في خَــوَرِ

مَنْ رآها بَعْــدَ مــا بَلَغَــتْ ... دُرَّةً مِــنْ أَنْفَــسِ الــدُّرَرِ

لــم يُصَــدِّقْ أَنَّهــا بُنِيَــتْ ... فَــوْقَ هامِ الرِّيْــحِ والعَــفَرِ

---

[١] عَرْعَر: المدينة المعروفة على الحدود الشمالية من المملكة، حيث قضى الشاعر فيها معظم حياته العمليّة.

[٢] سُهِّلتْ همزة القَطْع في "أبياتًا" لضرورة الوزن.

[٣] الجماد: يقصد في شِدّة البرد. وكان الشاعر قد كتب: "في الجماد"، ثم عَدَّل.

دِيْـــرَةٌ طابَـــتْ لِقَاطِنِهـــا … مِنْ بَنِيْ قَحْطانَ أو مُـضَـرِ
أَظْهَـــرَ الـــوَادِيْ مَفَاتِنَـــهُ … تَاهَ بالإِسْكَانِ والجُسُـــرِ

****** ******

عَرْعَـــرَ البَيْـــدَاءَ يـــا بَلَـــداً … أَصْبَحَتْ مِنْ أَنْصَعِ الغُـــرَرِ
عَرْعَرٌ سَـــارَتْ علـــى عَجَـــلٍ … فِي ثِيَـــابِ الـــدَّلِّ و الخَفَـــرِ
دِيْـــرَةٌ جَاشَـــتْ بِنَهْـــضَتِها … زَمْجَرَتْ بالمَـــدِّ لا الجَـــزَرِ[1]
سُوْقُها فاضَتْ مَـــــوارِدُهُ … بِنَمِيْرِ الـــوِرْدِ والصَّـــدَرِ

****** ******

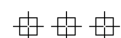
قادَهـــا شِـــبْلٌ مِـــنَ الجَلَـــوِيْ … مُسْـــتَنِيْرُ الرَّأْيِ والبَـــصَـــرِ
حاسِـــمٌ في كُـــلِّ نائِبَـــةٍ … مِثْلُ حَـــدِّ الـــصَّارِمِ الـــذَّكَرِ
جاءَهـــا واللَّيْـــلُ مُعْتَكِـــرٌ … فانْتَشَتْ جَذْلَـــى بِمُنْتَظَـــرِ

[1] لا بُدَّ هنا من تحريك الزاي في "جَزْر"، وإلاّ انتقل الوزن إلى ضَرْبٍ أبْتَر (فاعلْ)، ولا يجتمع مع الـضَّرب المحـذوف المخبون (فَعِلُن)– الذي بُنيتْ عليه القصيدة– في نصٍّ واحد.

مِثْلَ أُمٍّ "زَغْــرَدَتْ" فَرَحــاً ... بوَلِيْدٍ عَــادَ مِــنْ سَــــفَرِ
هَلَّلَـــــتْ واللهُ أَنْقَـــــذَها ... مِنْ حَيــاةِ البُــؤْسِ والخَطَـــرِ
والرِّمــَالُ الحُمْــرُ أَبْــدَلَهــا ... جَنَّـــةً للبَدْوِ والحَــضَـــرِ
****** ******

يا عَرُوساً قــد فُتِنْــتُ بهــا ... زَهْرَةَ الرَّيْعــَانِ مِنْ عُمُــــري
أَصْـــبَحَتْ عَـــذْرَاءَ ســـاهِرَةً ... في لَذِيْذِ اللَّهْـــوِ والـــسَّــمَرِ
غــــادةً أَرْخَــــتْ ذوائِبَهـــا ... فَوْقَ تَـــاجِ الــنَّجْمِ والقَمَــــرِ
حُـــــرَّةً غَيْــــدَاءَ غانِيَـــــةً ... تَزْدَهـــيْ بالحَــاضِرِ النَّــضِـرِ
تَــسْحَبُ الأَذْيَـــالَ رافِلَـــةً ... في الأَمــَانِ الوَارِفِ الخَــــضِرِ
سَـــابَقَتْ أَتْرَابَهـــا وسَـــمَتْ ... للعُــــلا، للمَجْـــــدِ، للظَّفَـــرِ
عَطَّــــرَتْ أَرْدَانَ رَائِــــدها ... مِنْ عَـــبِيْرِ الشِّـــيْحِ والزَّهَـــرِ
ضَاعَ مِــنْ أَفْوَافِــــها عَبَــقٌ ... مِنْ نَسِيْمِ الرَّوْضِ في السَّـــحَرِ
يَتَغَنَّــــى و انْتَــــشَى طَرَبــاً ... في رُباهــا صَــادِحُ الــشَّــجَرِ
يُبْــدِعُ الأَلْحــَانَ ساحِــرَةً ... مِثْلَ صَوْتٍ سَالَ مِــنْ وَتَــــرِ
****** ******

كَمْ حَدَانِيْ الــشَّوْقُ مُــسْتَعِراً   لِلرِّيــاضِ الخُضْــرِ لِلمَطَـــــرِ
أَرْتَوِيْ مِنْ عَذْبِهـَــا وكــذا   أَجْتَنِــــيْ مِنْ يانِــعِ الثَّمَـــــرِ
******   ******
عَرْعَرُ الجَــرْدَاءُ قد لَبِــسَــتْ   مِنْ بَدِيْـــعِ الخَــزِّ والوَبَــــرِ
فاهْتفِيْ شَتَّانَ، يا بَلَــــــدي،   بَيْــنَ رَأْيِ العَيْــنِ والخَبَـــــرِ



طرب الجريح

بَدَتْ في شَـــمَارِيْخها تَـــسْجَعُ ... مُطَوَّقَـــةً بالغنَـــا تَـــصْدَعُ

علـــى فَـــنَنِ الـــدَّوْحِ فَنَّانَـــة ... صَدَى الصَّوْتِ مِنْ صَوْتِها أَمْتَعُ

وَقَفْـــتُ لتـــسجيلِ تَغْرِيْـــدها ... وقد طَربَ القَلْـــبُ والمَـــسْمَعُ

وقُلْتُ وقـــد هَزَّنِـــيْ لَحْنُهـــا ... ومـــا أَوْدَعَ الخَـــالِقُ المُبْـــدِعُ:

ألا يا ابْنَةَ الأَيْـــكِ يـــا مِزْهَـــراً ... صَـــدَاهُ تَـــسِيْلُ لَـــهُ الأَدْمُـــعُ

حَمَلْت لنا مِنْ ضِيَاءِ الأَسَـــى ... شُـــمُوْعاً فَتَائلُهَـــا تَلْـــذَعُ

تُـــذَكِّرُنِيْ بِرَبِيْـــعِ الـــشَّبَاب ... وقد أَوْحَـــشَ الـــدَّارُ والأَرْبُـــعُ

وتُطْرِبُنِيْ وجِرَاحِـــيْ تَـــثُـــوْرُ ... وشَـــوْقِيْ إلى صَبْـــوَتِيْ يَنْـــزِعُ

غِنَاهَا نَزِيْفٌ مِنَ الذِّكْرَيَاتِ   على قَلْبِ سَمَّاعِها تَطْبَعُ
وَصَوْتُ القَمَارِيْ وعَهْدُ الشَّبَابِ   إذا فاتَكَ الفَوْتُ لا يَنْفَعُ
ومِنْ عَجَبٍ أَنْ يُثِيْرَ الشُّجُوْنَ   حَمَامٌ على شَجَنٍ يَسْجَعُ

* * * * *   * * * * *

ولِيْ قِصَّةٌ فَذَّةٌ مِثْلُ حُلْمٍ   سَخِيْف ولكنَّهُ مُفْزِعُ
نَأَيْتُ وقد رَابَنِيْ مِنْ عَشِيْرِيْ   نِفَاقٌ تَذُوْبُ لَهُ الأَضْلُعُ
ووَجْهَانِ وَجْهٌ أَرَاهُ مَلِيْحاً   ووَجْهٌ بِهِ كَلَفٌ أَسْفَعُ
خِدَاعُ الشَّيَاطِيْنِ تَحْتَ قِنَاعٍ   صَفِيْقٍ ومِثْلِيْ بِهِ يُخْدَعُ
فأَرْغَمْتُ قَلْبِيْ وبَدَّلْتُ حُبِّيْ   وقد خَانَنِيْ القَلْبُ والمَهْيَعُ
بِمَحْمُوْمَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرِّمَالِ   تَبَرْقَعُ لا حَبَّذا البُرْقُعُ
تَخَيَّلْتُ في قُرْبِهَا بَلْسَماً   فَأَهْلَكَنِيْ سُمُّها المُنْقَعُ
يَخُضُّ النِّطَاسِيُّ تِرْيَاقَهُ   ولَسُمٌّ مِنْ طِبِّهِ أَسْرَعُ

* * * * *   * * * * *

أيا دَهْرُ، يا والِغاً مِنْ دَمِيْ   مَدَى العُمْرِ، قُلْ لِيْ مَتَى تَشْبَعُ؟!
وأَيْنَ الوَلِيْجَةُ في لَيْلَةٍ   مُعَرْبِدَةٍ رِيْحُهَا زَعْزَعُ؟
غُدَافِيَّةٍ لَيسَ فيها بَصِيْصٌ   يَلُوْحُ ولا نَجْمُها يَسْطَعُ
وُفُوْدُ الكَوابِيْسِ تَجْتَاحُنِيْ   وفي كَبِدِيْ رُمْحُهَا مُشْرَعُ

سِهامٌ مِـــنَ الجَمْـــرِ مَـــشْبُوْبَةٌ تَقُـــدُّ النِّيَـــاطَ ولا تَرْقَـــعُ
تُـــشَرِّحُنِيْ دُوْنَمَـــا رَحْمَـــة ويَنْشَبُ في جَـــسَديْ المِبْـــضَعُ
وأَغْفُوْ على حَشْـــرَجَات المُدَىً تَغُـــوْصُ تُمَـــزِّقُ أو تَقْطَـــعُ
* * * * * * * * * *

إلى اللهِ أَشْكُوْ صُرُوْفَ اللَّيَـــاليْ سَكَاكِيْنُها مِنْ دَمِـــيْ تَرْضَـــعُ
إلى مَـــنْ تَـــذِلُّ الجِبَـــاهُ لَـــهُ ومَنْ يَخْفِـــضُ المَـــرْءَ أو يَرْفَـــعُ
بِـــهِ أَسْـــتَجِيْرُ وَلِيْ رَغْبَـــةٌ إليـــه ولِيْ القَـــصْدُ والمَطْمَـــعُ
يُغِيْـــثُ بِأَرْضِـــيْ نَبَاتـــاً ذَوَى ويُمْرِعُ مِـــنْ فَـــضْلِهِ البَلْقَـــعُ
* * * * * * * * * *

أيا رَبِّ يـــا غَـــافِرَ الـــسَّيِّئَات إلى ذَاتِـــكَ التَّـــوْبُ والمَرْجِـــعُ
أنا مُسْـــرِفٌ غَارِقٌ في الذُّنُوْبِ ومَنْ جَـــاءَ بَابَـــكَ لا يُمْـــنَعُ

♦♦♦

رثاء

في الأستاذ صالح القبيسي (مدير تعليم البنات بالحدود الشمالية) رحمه الله !

ناحَ حَرْفِيْ على سِنَانِ اليَـــراعِ ... وانْثَنَـــى في تَــرَنُّحٍ وانْــصِداعِ

نازِفَ الجُرْحِ مُثْخَنًـــا بالرَّزَايَـــا ... في خِضَمِّ الأَهْوَالِ مُطْوَى الشِّراعِ

مُطْرِقًا في عُيُونِهِ اليَـــوْمَ حُــزْنٌ ... مِثْلَما الحُزْنُ في عُيُــونِ الجِيـــاعِ

يَشْتَكِيْ مِنْ مُنَغِّصَاتِ اللَّيـــالِيْ ... هَدَّهُ الرَّكْضُ يا سَـــرابَ البِقَـــاعِ

أَيُّ دُنْيـــا نَلُـــوْكُ فيها لُعَاعـــًا ... مِنْ حُطَـــامٍ مُغَلَّـــفٍ بالطَّمَـــاعِ

* * *

يا فَقِيْدًا رَثَيْتُـــكَ اليَـــوْمَ إِنِّـــي ... أَجْرَعُ الهَوْلَ يا كَـــرِيْمَ الطِّبَـــاعِ

والمنايا تَجُــوْلُ في كُــلِّ وادٍ   يا عُبابَ النِّيْلِ دَعَــا منْــكَ داعِ[١]

هاتِفٌ مِنْ فَمِ الكِنَانةِ أَمْسَــى   يُحْرِقُ الحَرْفَ في شَــرايِيْنِ نَــاعِ

* * *

يــا شَــهِيْدًا أَثابَــكَ اللهُ دارًا   في مقاصِــيْرِها جَمِيْــلُ المَتَــاعِ

حِيْنَ تَبْدُو- أبا عَلِيٍّ- بِفِكْرِي   يَنْفُثُ القَلْبُ حَــسْرَتِيْ والْتِيَــاعِي

إنْ أَلَمَّتْ مُسامَرَاتُ العَــشايا   هامَ بِيْ الحُزْنُ في قِفَــارِ الــضَّيَاعِ

وإذا جَالَ في النُّفُــوسِ ادِّكَــارٌ   حَلَّقَ الخَيْرُ باسْــمِكُمْ كالــشُّعَاعِ

كُلُّ عامٍ زِيــارةٌ واعْتِكَــافٌ   لَكَ طُوبَى ولِيْ جَمِيْــلُ الــوَداعِ

* * *

أَجْدَبَتْ- يا أبا عَلِــيٍّ- دَواتِيْ   يا مِدادِيْ قد كُنْتَ خِصْبَ المَراعِي

إنْ فَقَدْناكَ- يا صديقِيْ- فإنّــا   سَوْفَ نَمْشِيْ على الطَّرِيْقِ المُشَاعِ

كُلُّ نَفْسٍ رَهِيْنَةُ المَوْتِ حَتْمًــا   لو خَلا المَرْءُ في حَصِيْنِ القِــلاعِ

نَمْ قَرِيرًا تَرَكْتَ في الناسِ عِطْرًا   طَيِّبَ النَّشْــرِ يا حَمِيْدَ المَساعِي

♦♦♦

[١] كسرة اللام من كلمة: "نيل" مشبعة. والإشارة إلى "النِّيل" لأن الفقيد المرثي كان أودَى في حادث غرقٍ في النيل.

فـ

مرافئُ الحُبّ

مَنْ رَسُوْلِيْ لِمَرْتَعِ الأُنْـــسِ فَيْفَـــا؟ للذُّرَى، للسُّهُوْلِ، قَفْراً، ورِيْفا

للمَـــسَاراتِ للـــسُّرَى للَّيَـــالِيْ للثَّرَى يَنْثُـــرُ التَّلِيْـــدَ الطَّرِيْفَـــا

للشَّذا للنَّدَى لطُهْـــرِ العَـــذارَى للعصافيرِ حِيْنَ تَمْرِيْ الغَرِيْفَـــا[1]

للصَّباحِ البَلِيْـــلِ فِي يَـــوْمِ طَـــلٍّ للمَسَاءِ العَلِيْلِ يَمْشِي دَفِيْفَـــا[2]

مَنْ لَهُ الطَّولُ يَرْتَقِيْ الطَّوْدَ حَـــتى يمتطيْ عُمْدَةَ الجِبَـــالِ المُنِيْفَـــا؟

يَسْتَقِلُّ الرِّيَاحَ تَجْرِيْ رُخَـــــاءً يَلْثُمُ المُـــزْنَ والسَّـــنَا والقَنِيْفا[3]

---

[1] يمري: يحتلب. والغريف: ضرب من الشجر، اختُلف فيه، وقيل: هو من نبات الجبال. (انظر: ابن منظور، لـــسان العرب، (غرف)).

[2] دفيفًا: أي بطيئًا ثقيلاً.

[3] "القَنِيف: السحاب ذو الماء الكثير." (م.ن.، (قنف)).

يَزْرَعُ الشَّوْقَ في حَصَى كُلِّ رَعْنٍ بَاتَ في الأُفْقِ للثُّرَيَّا حَلِيْفــا[١]

******

مَنْ يُنَاجِيْ مَرافِئَ الحُــبِّ إنِّـــي أَحْتَسِيْ ذِكْرَها خَيَالاً وَطَيْفــا؟

نَبَّهَتْ مِنْ خَوَاطِرِيْ غَافِــــلاتٍ أَيْقَظَتْ حُبَّها دِمَاثاً وَخَيْفــا[٢]

******

هَزَّني مِنْ تَمَاوُجِ الفِكْرِ جَــيْشٌ مِنْ طُيُوْفِ المَدَى يَزُفُّ زَفِيْفا[٣]

كُلَّما أَبْرَقَــتْ تَباشِــيرُ وَصْــلِيْ وارْتَدَيْتُ الحَنِيْنَ رَخْصاً شَفِيْفا[٤]

مِخْمَلِيــًّا مُطَـــــرَّزًا بالتَّدانــِيْ فــَاقَ كُلَّ الجَمَالِ كَمًّا وكَيْفا

---

[١] الرعن: الجبل العالي.

[٢] الدِّماث: سهل الأرض، والخيف: مرتفعها.

[٣] يَزُفُّ زَفِيْفا: يُسرع إسراعًا.

[٤] رَخْص: ناعم.

تَسْحَقُ الرِّيْحُ والتَّبــاريحُ عَزْمــيْ   والمسافاتِ والخُطَــى والرَّصِــيْفا

******   ******

كِدْتُ أَنْسَى مَــدَارِجِيْ وانْتِمَــائِيْ   والتماعَ المُنَــى وظِلِّــيْ الوَرِيْفــا
والعَشِيــَّاتِ والرَّعايا وأَنْــسَــى   مَنْجَعَ الأُنْسِ والرُّبَى والخَريفــا[١]
والجُــذُوْرَ الــتِي تَفَرَّعْــتُ منــها   والتَّغَارِيْــدَ والنَّمِيْــرَ النَّظِيْفــا
كِدْتُ أَنْسَى التي احْتَوَتْــنِيْ ولِيْداً   وارْتَضَعْتُ الحَلِيْبَ منها الصَّرِيْفا[٢]
عِشْتُ في حُضْنِها يَتِيْمــاً ولكــنْ   لم أَكُنْ للضَّياعِ يوماً عَسِيْــفا[٣]
كنتُ أَهْفُــوْ لِمَوْقِــعٍ في خَيَــالي   أصطفيْ في حِماهُ عَيْــشاً شَــرِيفا

******   ******

يا عَرُوْساً تُخاصِــرُ الــنَّجْمَ لَــيْلاً   ثُمَّ يَغْــدُو لهــا النَّهــارُ رَدِيْفــا
فَوْقَ أَكْتَافِهــا تَدَلَّيْــتُ شِــعْراً   مُحْكَمَ السَّبْكِ عَسْجَدِيًّا حَصِيْفــا

---

[١] الرعايا: هاهنا الماشية المَرْعِيَّة. (انظر: م.ن.، (رعى)).
[٢] "الصَّريفُ: اللَّبَنُ الذي يُنْصَرَفُ به عن الضَّرْعِ حارّاً." (م.ن.، (صرف)).
[٣] العَسِيْف: الوضيع القَدْرِ في مجتمعه.

مِنْ نَوَاميْــسِها غَزَلْــتُ الأمــانيْ   سافرات الوُجُوْهِ غَــزْلاً ظَرِيْفــا
واعْتَصَرْتُ الأَوْهَامَ بــالحُلْمِ حــتى   أَصْبَحَ الحُلْمُ للمَجَــرَّاتِ ضَــيْفا

******

في الدُّجَى والسُّكُوْنِ والكَوْنُ غافٍ   والرُّؤَى تَحْفِــزُ الخَيَالَ الجَفيْفا[1]
والمــصابيحُ في رُفــوْفِ الزَّوايــا   تَرْقُبُ الــرِّيْحَ والظَّــلامَ العَنيْفــا
غَرَّدَتْ مِنْ سَــوانحيْ ســاجعاتٌ   تَتْرُكُ الصَّبَّ مُــسْتَهامًا خَفيْفــا
مَوْهِناً[2] أَعْــزِفُ المَواويْــلَ شِــعْراً   عندما تَعْزِفُ الرِّيــاضُ الحَفيْفــا
إنْ تَذَكَّرْتُ نَشْوَةَ الــرُّوْحِ لَجَّــتْ   في هواها، يَــرِفُّ قلــبيْ رَفيْفــا
والفُــؤادُ الرَّقيْــقُ إنْ جَلْمَدَتْــهُ   قَسْوَةُ الهَجْــرِ يَــسْتَدِرُّ النَّزيْفــا
واخْضِرارُ الآمالِ في النَّفْسِ فَجْــرٌ   يُنْعِشُ المُدْنَفَ الكَئِيْبَ الأَسِــيْفا

---

[1] الجفيف: الجافّ.

[2] كلمة "موهنا" غير مضبوطة بالشكل في الأصول، وقدّرنا أنها "مَوْهِنًا"، أي في ساعة متأخرة من الليل.

يُوْرِقُ الصَّخْرُ في يَبَــابِ الْمُعَنَّــى بل يَعُوْدُ الهَــشِيْمُ غَــضًّا لَطِيْفــا

******

هاجــسٌ حالمٌ كهَمْسِ الغــواني سابحٌ في الجَمال منْ حُسْنِ فَيْفــا

منْ رُؤَى لهفة وفَضْــلِ انْتعَــاشٍ أَسْــأَرَتْهُ الملاحُ وَجْــداً طَفيْفــا

منْ بَقايا فَتَّانَــةِ الأَمْــسِ خَــوْدٍ أَجْتَلِيْ ظِلَّها حَنــَاناً وحَيْفَــا[1]

منْ صَدَى العُمْرِ في شُحُوْبِ المَرايا يَسْتَنِيْرُ الــسَّرَابُ دَرْبــاً كَفيْفــا

******

ذَوَّبَتْنــيْ أَنْــسَامُ فَيْفَــا سُــحَيْراً مثْلَمَا ذَوَّبَ الخُــشُوْعُ الحَنِيْفــا[2]

تَنْتَشيْ النّسْمَــةُ اللَّطِيْفَةُ زَهْــــواً فَوْقَ زَهْــرِ الرُّبَى شِــتَاءً وصَيْفا

والصَّبَاحُ الكَسُوْلُ يَمْشيْ وَئِيْــداً مثْلَ مَنْ في القُيُوْد يَمْشيْ رَسيْفا[3]

والنَّدَى ذَابَ في خُدُوْدِ الخُزامَــى واسْتَفَاقَتْ حَوَّاءُ تُرْخِيْ النَّصِيْفَــا

---

[1] الحَيْف: الظُّلم.

[2] الحَنِيْف: الْمُسْلِم.

[3] الرَّسيف: مَشْيُ المقيّد.

تَخْجَلُ الشَّمْسُ إنْ تَبَدَّتْ صَــبَاحاً   مِنْ شُرُوْق الخُدُوْد منْ كُلِّ هَيْفا[١]
كَمْ فَتَاة سَرَقْتُ منْهَــا التِفَاتــــاً   فَاسْتَحَالَتْ عُيُوْنُها النُّجْلُ سَــيْفا

******   ******

تلْكَ فَيْفَا أُحــبُّ فيهــا قَــديْماً   يَجْعَلُ القَلْبَ يَــسْتَلذُّ الوَجيْفــا
تَلْكَ فَيْفَا فَرَشْتُ خَــدِّيْ وقَلْبِــي   تَحْتَ أَرْدَانهَا مهَــاداً طَرِيْفــا
حَرَّكَتْ في لَوَاعِجِ النَّفْسِ عــشْقاً   كَامناً ثَمَّ، لا ادِّعَــاءً و زَيْفــا
إنَّ في بَطْنهَـــا عَزِيْـــزَيْنِ كَانــا   مَلْجَئِيْ يَحْضُنَان جسْمي النَّحيْفا
يا شَــآبِيْبَ رَحْمَــة الله صُــبِّي   فَوْقَ قَبْرَيْهِمَــا غيَاثــاً كَثيْفــا
رَبِّ يا رَبِّ ارْحَمْهُما يا رَجَــائِيْ   مثْلَمَا رَبَّيَــانِيْ طِفْــلاً ضَــعِيْفا

******   ******

كَيْفَ أَنْسَى؟ لا كُنْتُ إنْ كُنْتُ أَنْسَى   بَسْمَةَ الأُمِّ والــسُّلُوْكَ العَفيْفــا
وانْدِفَــاقَ الحَنَــانِ نَبْعــاً نَقِيَّــا   وارْتِضَاءَ الصِّعَابِ نَهْجاً مُخِيْفــا

---

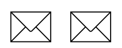
[١] هَيفا: هَيْفاء.

واصْطِبَاراً وعُنْفُوَاناً وعَطْفَــــــا   واحْتِمَالَ الأَسَى وقَلْبــاً لَهِيْفــا

******   ******

يا مَعِيْنَ الهَوَى ومَرْسَى التَّلاقــيْ   كَيْفَ يَنْسَى الأَلِيْفُ فِيْكَ الأَلِيْفا ؟!

كَيْفَ يَنْسَى مَنْ ذَاقَ فِيْكَ ابْتِدَاءً   لَذَّةَ الحُبِّ والأَسَـــى والرَّغِيْفا ؟!



الضيف الظريف

وَلاحَ الشَّيْبُ كالشَّبَحِ المُخيْفِ ... يُهَدِّدُني بِمُعْتَرَكِ الخَرِيْفِ
أَطَلَّ مِنَ السَّوَادِ كَضَوْءِ نَجْمٍ ... بَدَا في حِنْدِسِ الحَلَكِ الكَثيْفِ
وعَادَ العَدُّ يَنْزِلُ مِنْ صُعُوْدٍ ... بُعَيْدَ اللَّهْوِ في الزَّمَنِ الرَّفيْفِ
أُدَقِّقُ في الحِسَابِ وكُلُّ رَقْمٍ ... أُضَخِّمُهُ بمُخْتَلَفِ الحُرُوْفِ
أُحِبُّ كُلَّ أَبْيَضَ إلاّ هذا ... وأُكْرِمُ كُلَّ ضَيْفٍ إلاَّ ضَيْفِي
أُتَابِعُهُ بِمِنْظَرَةٍ وما لِيْ ... سِوَى التَّسْلِيْمِ بالحَدَثِ الطَّرِيْفِ
أُشَبِّهُهُ– لِتَهْدِئَةِ اضْطِرَابِيْ– ... بِنَوْرِ الزَّهْرِ في الشَّجَرِ الوَرِيْفِ
وأَنْعَتُهُ– وقَدْ أَلْقَى عَصَاهُ ... على الفَوْدَيْنِ– بالضَّيْفِ الظَّرِيْفِ
وأُضْفِيْ- رُغْمَ ما في النَّفْسِ– جَوًّا ... مِنَ الأَفْرَاحِ والظِّلِّ الخَفيْفِ
أَقُوْلُ– تَعِلَّةً– هذا وَقَارٌ ... ونُضجُ الأَرْبَعِيْنَ رَبِيْعُ رِيْفِيْ
وأُخْفِيْهِ عَنِ الأَنْظَارِ عَمْداً ... وبالأَحْرَى عَنِ الجِنْسِ اللَّطِيْفِ
هِيَ الأُنْثَى إذا لَمَحَتْ شَبَاباً ... أَرَتْهُ الغَمْزَ مِنْ خَلَلِ النَّصِيْفِ

فإنْ جَـــفَّ الـــرُّوَاءُ أَرَتْـــهُ عَيْنـــاً ... بها حَشْدٌ منَ العَتَـــب العَنيْـــف
وكَمْ منْ غَـــادَة في عَهْـــد إلْـــف ... يُبَدِّدُ عَهْـــدَها شَـــيْبُ الأَلَيْـــف
وهَلْ أُخْفي السِّنيْنَ وما أَعَـــدَّتْ ... منَ الأَهْوَال للجِـــسْمِ الـــضَّعيْف
أُدلُّ بـــالفُتُوَّة ثُـــمَّ تَمْـــضي ... كما مَرَّ السَّحَابُ نَهَارَ صَـــيْف
وما شَرْخُ الشَّبَاب سِـــوَى لَيَالٍ ... تَمُرُّ حَالِمَـــاتٍ مُـــرُوْرَ طَيْـــف[١]

***

أَقُـــولُ والـــشَّبَابُ يَنِـــدُّ عَنِّـــيْ ... ويَضْطَرِبُ الفُؤَادُ منَ الوَجِيْـــف[٢]
لمَ الإِسْرَاعُ يا عُمْـــرِيْ رُوَيْـــداً؟! ... تَمَهَّلْ يا شَبَابُ وكُـــنْ حَليْفِـــيْ
لَعَلَّكَ أَنْ تَـــرَى منِّـــيْ سُـــلُوكاً ... يُغايرُ سَالفَ الـــزَّمَنِ العَـــسِيْف
وليْ في الأَرْبَعيْنَ نُـــضُوْجُ فكْـــرٍ ... وإلْهَامٌ مِـــنَ الـــرَّبِّ الـــرَّؤُوْف
فَقَدْ حانَتْ مُحَاسَـــبَتِيْ لنَفْـــسيْ ... وذُلِّيْ مِـــنْ بَوائقهَـــا وخَـــوْفيْ
سَـــأَبْدَأُ في التَّثَبُّـــت والتَّـــأَنِّيْ ... وأَنْهَى النَّفْسَ عَنْ سَفَه وحَيْـــف
فلَيْسَ بنَـــافعيْ في يَـــوْمِ ضَـــعْفيْ ... إذا أَدْلَيْتُ بالحَـــسَب الـــشَّريْف
ولا بـــشَهَادة أو فَـــضْلِ مَـــال ... ولا بزَخَارف القَـــصْرِ المُنيْـــف
ولا الإِبْحَارُ في حَـــوَرِ الغَـــوَانيْ ... ولا الإِكْثَارُ منْ نَـــزَق وزَيْـــف
ولكـــنْ مـــا أُقَدِّمُـــهُ ادِّخَـــاراً ... منَ الأَعْمَال والـــدِّيْنِ الحَنيْـــف
بفكْـــرٍ حـــازمٍ يَـــزْدَادُ عَزْمـــاً ... على فَصْلِ التَّلَيْدِ عَـــنِ الطَّرِيْـــف

---

[١] كذا في الأصل، ويستقيم الوزن لو جُعل: "تَمُرُّ بحُلْمها كمُرُوْرِ طَيْف"، أو " تَمُرُّ حالماتٍ مَرَّ طَيْف".

[٢] لا بُدّ من إشباع حركة اللام في "أقولُ".

وَقَلْبٍ ناصِعٍ يَنْشَالُ طُهْرًا　　　حَبَاهُ اللهُ بالخُلُقِ العَفِيْفِ

وليْ في اللهِ – إنْ عَظُمَتْ ذُنُوْبِيْ –　　　يَقِيْنُ الوَاثِقِ اللَّبِقِ الحَصِيْفِ

⊕ ⊕ ⊕

ق

تَذْكِرة[1]

يا مُلْهِمَ الشِّـعْرِ والأَلْفَاظُ تَتَّسِـقُ | يا منبعَ الخَيْرِ، والخَيْرَاتُ تَنْدَفِـقُ[2]
الـشِّـعْرُ نَبْضُ فُؤَاد صَاغَهُ نَغَمـاً | يُزْرِيْ بِهِ الرَّيْبُ والتَّمْوِيْهُ والمَلَـقُ[3]
يَصْفُوْ ويَسْمُوْ بقَلْبٍ مُفْعَـمٍ ثَمِـلٍ | بِحُبِّ أَرْضٍ ذُرَاهَا الدِّيْنُ والخُلُقُ

---

[1] للقصيدة نسخة أخرى بعنوان: "تذكّروا الماضي"، عدّلها الشاعر، وعدّل عنوانها، فأخذنا بالنسخة المعدّلة.

[2] هذا المطلع لم يكن موجودًا في نسخة القصيدة الأخرى بعنوان "تذكّروا الماضي".

[3] لّما كان هذا البيت هو مطلع القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي"، فقد كان هكذا:

الحُبُّ فَيْضُ صَفاءِ الرُّوْحِ يَنْدَفِقُ | يُزْرَى بِهِ الرَّيْبُ والتَّمْوِيْهُ والمَلَقُ

يامَوْطِنِيْ يا رَوَابِيْ كُـــلِّ مَكْرُمَـــــةٍ فِيْكَ الهُدَى والنَّدَى والنُّبْلُ والعَبَقُ
يا مَشْرِقَ النُّوْرِ والتَّوْحِيْدِ، يـــا بَلَـــدًا مِنْ نُوْرِها يَسْتَنِيْرُ الفَجْرُ والشَّفَقُ[1]
عَشِقْتُ فيها جبالَ الرَّمْـــلِ صَـــافِيَةً كَدُرَّةٍ في يَـــدِ الغَـــوَّاصِ تَـــأْتَلِقُ
تَـــرَبَّعَتْ فَوْقَ هَامِ المَجْدِ واقْتَعَـــدَتْ سَنَا المَعَالِيْ مَعَ الأَفْـــلاكِ تَعْتَنِـــقُ[2]

* * *

هذي الـــشَّمَالُ وعَبْـــدُ اللهِ زِيْنَتُهـــا هُوَ الضَّمِيْرُ ومُوْقُ العَيْنِ والحَـــدَقُ
شِبْلٌ أَبُوْهُ أَبُـــوْ الهَيْجَـــاءِ مُـــضْرِمُها وَقُوْدُها البَغْيُ والإِلْحَادُ والنَّـــزَقُ
قَـــادَ الجَحَافِـــلَ والتَّوْحِيْـــدُ غَايَتُـــهُ لَيْثٌ بَرَاهُ السُّرَى والعَـــزْمُ والأَرَقُ
مَعَ المَلِيْـــكِ حُـــسَامٌ صَـــارِمٌ ذَرِبٌ فِي حَدِّهِ الحَقُّ والتَّمْكِيْنُ والأَلَـــقُ
عَوْنٌ لِمَنْ سَجَّلَ التَّارِيْـــخَ أُغْنِيَـــةً فَوْقَ الرِّمَالِ فَغَنَّى الحِبْرُ والوَرَقُ[3]

---

[1] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "**على ثَراها يَسِيْرُ الفَجْرُ والشَّفَقُ**".

[2] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي":

سَمَتْ وطالتْ سَنامَ المَجْدِ وارتَفَعَتْ إلى المَعـــالِيْ معَ الأَفْـــلاكِ تَعْتَنِـــقُ

[3] في الأصل بعنوان "تذكّروا الماضي": "**عَوْنٌ لِمَنْ سَجَّلَ التاريخَ أُغْنِيته**"، وفيه بعنوان "تذكرة": "... أُغْنِيتة"، فَعَـــدَّلْنا الكلمة.

صِنْوانِ عَبْدُ العَزِيْزِ المَلْــكُ يَعْــضُدُهُ عَبْدُ العَزِيْزِ الأَمِيْرُ الصَّارِمُ الــذَّلِقُ

* * *

يا ثَرْوَةً مِنْ رِجَالٍ تَرْكَبُــوْنَ علـــى بَأْسٍ شَدِيْدٍ، عَلامَ الطَّيْشُ والحَمَقُ؟[١]

هذا حَدِيْدٌ ونَـــارٌ كُلَّمـــا اتَّقَــدَتْ فِيْهِ السَّوائِلُ زَادَ الجَهْلُ والرَّهَـــقُ[٢]

كَمْ فَرْحَةٍ مِنْ صَغِيْرِ الــسِّنِّ نَقْتُلُهـــا وبَسْمَةٍ فِي فَـــمٍ بَيْــضَاءَ تَخْتَنِـــقُ

يا مَنْ رَأَى شُقَّةَ المَاضِيْ وشِـــــقْوَتَهُ والسَّيْرُ فِيْهِ على رَمْضَاءَ تَحْتَــرِقُ[٣]

* * *

واليَوْمَ يَخْتَالُ كالطَّاوُوْسِ، هَلْ نُسِيَتْ تِلْكَ العِجَافُ وسَيْرُ اللَّيْلِ والقَلَقُ؟[٤]

---

[١] من الواضح أن القصيدة قيلت في مناسبة تتعلّق بشُرطة المرور.

[٢] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": " زادَ المَوْرُ".

[٣] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "**تَذَكَّروا الماضيَ المكدودَ في زَمَنٍ السير فيه...**"

[٤] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي":

يا راكِبًا فَوْقَ جَمْرِ النارِ، هل سَنَحَتْ لكَ الخوالِيْ وسَيْرُ الليلِ والقَلَقُ؟

أَيَّامَ يَـــمْشِيْ على الأَشْـــوَاكِ ثَائِرَةً والرِّجْلُ دَامِيَةٌ والنَّعْلُ مُنْخَـــرِقُ[١]

أَوْ كَانَ ذا نِعْمَة يَمْضِيْ على جَمَـــلٍ أو فَاطِرٍ قد حَنَاهَا الجَهْدُ والرَّمَقُ[٢]

رِفْقًا بِنَفْسِكَ واكْبَحْ مِـــنْ رُعُوْنَتِهــا قد هُيِّئَ الأَمْنُ والإِرْشَادُ والطُّرُقُ[٣]

وهُيِّئَتْ فِتْـــيَةٌ في اللَّيْلِ سَاهِـــــرَةٌ وفي النَّهَارِ أُسُـــوْدُ الغـَـابِ تَنْطَلِقُ

***

[١] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي":

تمشيْ على الشَّوْكِ والأقْدامُ حافِيَةٌ والأرضُ ثائرَةٌ والرُّعْبُ والفَرَقُ

[٢] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "**أو كُنْتَ... تمضي ... قد بَراها الجُوْعُ والعَلَقُ**".

[٣] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "فارفِقْ".

الحلم الجميل

في البَحْرِ يَسْبَحُ بيْ خَيَــالٌ مُغْــرِقُ ... ويَسِيْحُ بيْ في الأَرْضِ فِكْرٌ مُعْنِــقُ[١]
في اليَمِّ في نُجُدِ البلادِ يَطُوْفُ بــيْ ... وأنــا الأَســيْرُ لــسَيِّدٍ لا يُعْتِــقُ
يَجْتَــازُ أَجْــوَازَ الفَــضَاءِ مُرَفْرِفــاً ... حُلُمٌ لَــهُ بَــيْنَ الحَقــائقِ رَوْنَــقُ
في ظُلْمَةِ اللَّيْــلِ البَهِــيْمِ يُغِــذُّ بيْ ... لأَرَى الصَّبَاحَ يَلُوْحُ مِمَّــنْ أَعْــشَقُ
والبَــدْرُ يَــسْتُرُهُ الــسَّدِيْمُ وتــارةً ... أُخْرَى يُــدَثِّرُهُ الــسَّحَابُ الأَزْرَقُ
وأنا أَسِيْرُ يُمِــضُّني لَيْــلُ الــسُّرَى ... نَفْسٌ تُــشَجِّعُني وقَلْــبٌ يَخْفِــقُ
والفَجْرُ يُنْذِرُ بالطُّلُوْعِ على الــدُّنَى ... والشَّمْسُ تَنْتَهِكُ الظَّــلامَ وتُــشْرِقُ

* * * *

ومَعَ الصَّبَاحِ نَسَأْتُ مُهْراً جامِــحاً ... زَعْــلانَ فِيْــهِ عَزِيْمَةٌ لا تُلْحَــقُ[٢]

---

[١] في إحدى النُّسَخ: "مُعْرِقُ"، (بالعين المهملة). والمُعْرِق: ذو العِرْق الأصيل.
[٢] الزعل: الأَشَر.

لأَطُوْفَ حَوْلَ الأَرْضِ أَقْتَحِمُ الصُّوَى ... عَزْمَ الشُّــجَاعِ وعَزْمُهُ لا يُخْفِــقُ

وأَخُوْضُ في البَحْرِ الخِضَمِّ مَخَــاطِرَ ... الدَّأْمَاءِ لا أَخْــشَى بِــأَنِّي أَغْــرَقُ

وغَرِقْتُ في بَحْرِ الجَمَالِ وطَــابَ لِيْ ... فيْهِ المُقَامُ بِوَسْــطِ مَــوْجٍ يَــصْفِقُ

لكنَّ مِنْ صَوْبِ الــشَّوَاطِئِ جَــاءَنِيْ ... صَوْتٌ فَشَمَّرَ سَــاعِدِيْ والمِرْفَــقُ

عَجْــلانَ أَطْلَــقَ للــشِّرَاعِ عِنَانَــهُ ... في اليَمِّ يَمْخَرُ بِيْ العُبَابَ الــزَّوْرَقُ

لأَرَى الجَمَالَ أَعُــبُّ مِــنْ يَنْبُوْعِــهِ ... ولَكَمْ ظَمِئْتُ وبَاتَ غَيْرِيْ يَــشْرَقُ

ولَقَدْ رَأَيْتُ مَــعَ الجَمَــالِ بَــشَاشَةً ... وحَدِيْثَ حُــبٍّ خــالِصٍ يَتَــدَفَّقُ

* * * *

وعلى الشَّوَاطِئِ والرِّمَــالِ تَنَــاثَرَتْ ... بَاقَــاتُ وَرْدٍ بالنَّــدَى تَغْــرَوْرِقُ

وأَذُوْبُ في الــوَرْدِ المُــوَرَّدِ دَائِمــاً ... وأَشُمُّهُ لو كان– حَقًّــا– يُــشْفِقُ

وأَحُوْكُ مِنْ نَسْجِ الرِّمَــالِ غَلائِــلاً ... وَرْدِيَّــةً يَــسْرِيْ شَــذاها يَعْبَــقُ

وأَصُوْغُ مِنْ عَذْبِ الكَلامِ قَــصَائِداً ... أَلْفاظُها مِنْ فَرْطِ مــا بِــيْ تَنْطِــقُ

* * * *

حُلُمٌ جَمِيْــلٌ في الفَــضَاءِ مُحَلِّــقٌ ... فَوْقَ السَّحَائِبِ سَــابِحٌ لا يُــسْبَقُ

حُلُمٌ تَــسَرْبَلَ بالــسَّرابِ ونَفْــسُهُ ... تَهْفُوْ لِيُنْقِــذَها الحَبِــيُّ المُغْــدِقُ

* * * *

في النَّوْمِ أَضْرِبُ في البِلادِ مُسَافِراً وإذا صَحَوْتُ عَرَفْتُ أَنِّي أَحْمَقُ!
فإذا سَرَابٌ ما رَأَيْتُ مُخَادِعٌ وإذا رَبِيْعِيْ يَابِسٌ لا يُورِقُ
فأنا مَكَانِيْ قابِعاً مُتَزَمِّلاً وحْديْ يُسَامِرُنِيْ الظَّلامُ المُطْبِقُ
وإذا الزَّمَانُ هُوَ الزَّمَانُ وظَرْفُهُ قَدْ خُطَّ فِيْهِ تَمَرُّدٌ وتَمَزُّقُ
وإذا الحَيَاةُ هِيَ الحَيَاةُ بِبُؤْسِها وشَقَائِها حتى يَشِيْبَ المَفْرِقُ

* * * *

والنَّاسُ في صَخَبِ الحَيَاةِ تَدافَعُوا وتَهَاجَروا وتَنَاحَرُوا وتَفَرَّقُوا
سُوْقُ التَّبَاغُضِ والتَّدَابُرِ رَائِجٌ أَبْوَابُهُ مَفْتُوْحَةٌ لا تُغْلَقُ
والحِقْدُ عَشَّشَ في القُلُوْبِ يَبُثُّهُ فينا التَّخَاذُلُ والعَدُوُّ المُحْدِقُ
والعَيْشُ ضَنْكٌ والنُّفُوْسُ مَرِيْضَةٌ والخَاسِرُوْنَ بِالثَّراءِ تَشَدَّقُوا[١]
والماءُ رَنْقٌ والشَّرَابُ مُكَدَّرٌ كُلُّ المَنَاهِلِ قَدْ عَلاها الغَلْفَقُ
دَسَّ التَّحَاسُدُ في النُّفُوْسِ بُذُوْرَهُ فَزَكَتْ وآزَرَها النِّفَاقُ المُوْبِقُ

* * * *

وأَنَا أَنَا.. كالأَمْسِ أَفْتَرِشُ الأَسَى ويَزُجُّ بِيْ في الهَمِّ فِكْرٌ أَخْرَقُ
جِسْمٌ نَحِيْلٌ بَلْ فُؤَادُ مُحَطَّمٍ والعَقْلُ فِيْهِ مِنَ الخَوالِجِ فَيْلَقُ

---

[١] في التفعيلة الثانية من الشطر الثاني يلحظ زحاف (الوقص)، وهو صالح في البحر الكامل.

أَشْرَفْتُ مِنْ خَلَلِ النَّوافذِ كَيْ أَرَى   نُوْرَ الكَوَاكِبِ أو شُــعَاعاً يُبْــرِقُ
ورَجَعْتُ مَنْكُوْءَ الجِرَاحَ مُحَمَّلاً   غَــمًّا وقَدْ كَادَتْ حَيَاتِيْ تَزْهَــقُ
لَيْلٌ يُبَرْقِــعُ بــالظَّلامِ نُجُوْمَــهُ   ومتى الصَّبَاحُ؟ متى الصَّبَاحُ المُشْرِقُ؟

* * * *

يا حُلْمُ لَيْتَكَ ما انْقَطَعَتَ فإنَّنِيْ   كُنْتُ السَّعِيْدَ في الخَيَــالِ أُحَلِّــقُ
ومِنَ السَّعَادةِ ما يَسُرُّكَ نَائِمــاً   وإذا صَحَوْتَ فَشَــمْعَدانٌ مُحْرِقُ

⌘⌘⌘

عودة الطائر

وعادَ لِـوَكْرِهِ الطَّيْـرُ الطَّلِيْـقُ ... تُحَرِّكُـهُ الوَشَـائِجُ والرَّفِيْـقُ

أَقُوْلُ لِقَائِد (الـصَّالُوْن) شَـمِّرْ ... وأَدْعُوْ اللّهَ يُبْعِدُ مَـا يَعُـوْقُ

أُحَلِّقُ فِي الخَيَـالِ وفِي الأَمَـانِيْ ... وبَيْنَ جَوَانِحِيْ طَرَبٌ وشَـوْقُ

قَطَعْتُ الدَّرْبَ يَحْفِزُنِيْ اشْتِيَاقِيْ ... وكَادَ القَلْبُ يَقْطَعُهُ الطَّرِيْـقُ

حَثِيْثاً حَثَّنِـيْ شَـوْقٌ عَنِيْـفٌ ... شَدِيْدُ الوَطْءِ فِي جَسَدِيْ يَسُوْقُ

إلى أَرْضٍ تُطَـالِبُنِيْ بِـدَيْنٍ ... ويَجْرِيْ فِي شَرَايِيْنِيْ العُقُـوْقُ

وقَدْ أَعْطَتْنِـيَ الآمَـالَ طِفْـلاً ... وفِي آمَالِهَـا نَـصَبٌ وضِـيْقُ

تَوَهَّجَ مِنْ صَفاءِ الرُّوْحِ حُـبٌّ ... لأَرْضِ الحُبِّ تَدْفُعُـهُ الحُقُـوْقُ

إلى حَيْثُ الجَمَالُ حَثَثْتُ رَكْبِـيْ ... فقُوْلُوا للجَمَالِ: أَتَى العَـشِيْقُ

إلى حَـسْناءَ مَنْظَرُهَـا بَـدِيْعٌ ... وباصِـرَتِيْ لِنَـضْرَتِهَا تَتُـوْقُ

إلى (فَيْفَاءَ) يَحْضُنُهَا سَـحَابٌ ... تَصَارَعُ فِي جَوَانِبِـهِ البُـرُوْقُ

حَبَابُ الطَلِّ يَجْمُـدُ فِي رُبَاهَـا ... على الأَعْشَابِ يَسْكُبُهُ الشُّرُوْقُ

إلى الأَطْيَارِ فِي الأَفْنَانِ نَـشْوَى ... مِنَ الأَزْهارِ أَسْكَرَها الرَّحِيْـقُ

إلى الأَغْصَانِ يُرْقِـــصُها نَــسِيْمٌ   عَلِيْلٌ ضَمَّهُ الـــشَّجَرُ الوَرِيْـــقُ

*******   *******

ويَسْأَلُنيْ الصَّدِيْقُ سُؤَالَ خُبْـــثٍ   تُرَى : ماذا رَأَيْتُمْ يا صَـــدِيْقُ؟!

فَقُلْتُ : رَأَيْتُ أَمْوَاجاً تُـــدَوِّيْ   وغَيْرِيْ سَابِحٌ وأنـــا الغَرِيْـــقُ

غَرِيْقٌ في المُحِيْطِ بِـــلا شِـــرَاعٍ   وَحِيْدٌ جَرَّنِـــيْ المَـــاءُ العَمِيْـــقُ

مُحِيْطٌ مِنْ تُـــراثِ المَجْـــدِ آتٍ   منَ الماضِيْ يُحاصِـــرُهُ المَـــضِيْقُ

رَأَيْتُ تَغَيُّـــراً في كُـــلِّ شَـــيْءٍ   ونَفْسِـــيْ في التَّغَـــيُّرِ لا تُطِيْقُ

رَأَيْتُ على تَقاسِـــيْمِ الـــصَّبَايَا   (مَـــسَاحِيْقاً) يُزَيِّفُهَـــا البَرِيْـــقُ

رَأَيْتُ الغَادَةَ الحَسْـــــناءَ تَنْدَى   بَرِيْقاً مِنْ سَـــــرَابٍ لا يَشُوْقُ

تُلَطِّخُ وَجْهَهَـــا المَمْلُـــوْءَ نُـــوْراً   مِنَ "المِكْيَاجِ" حَـــدًّا لا يَلِيْـــقُ

وكانَ الوَجْهُ يَنْبَثِـــقُ ابْتِهَاجـــاً   وحُسْناً زَانَـــهُ الخُلُـــقُ الحَقِيْـــقُ

تَبَدَّلَ كَفُّهـــا القَـــانِيْ المُحَنَّـــى   "مَنَاكِيْراً" وتَحْـــسَبُها تَـــرُوْقُ

رَأَيْتُ تَرَهُّـــلاً في الجِسْـــمِ حتى   يَكَادُ لا يُرَى القَـــدُّ الرَّشِـــيْقُ

تَغَيَّـــرَتِ المَواقِــفُ والنَّوايَـــا وبَاءَ بِحُزْنِه الماضِــيْ الوَثِيْــقُ
وُجُوْهُ النَّاسِ لَيْسَتْ مِنْ جُــذُوْرٍ نَمَاهَا الغَابِرُ النَّــائِيْ الــسَّحِيْقُ
وُجُوْهٌ لَــسْتُ آلَفُهَــا قَــدِيماً بِكُــلِّ بُقَيْعَــةٍ مِــنْهُمْ فَرِيْــقُ

****

وَقَفْتُ حَائِراً وعَصَرْتُ ذِهْنِــيْ ويَخْنُقُنِيْ مِنَ التَّفْكِيْرِ طَــوْقُ[1]
وقُلْتُ لِبَيْتِنَا الــوَاهِيْ : تَكَلَّــمْ عَسَى أَنْ يُسْعِفَ الماضِيْ العَرِيْقُ
ذَرَعْتُ البَيْتَ أُخْبِرُ كُلَّ صَــخْرٍ بِأَنِّي الوَالِهُ الــدَّنِفُ الــشَّفِيْقُ
أُفَتِّشُ أَيْــنَ تَخْتَبِــئُ رَحَانَــا؟ وأَيْنَ الدُّخْنُ ضَيَّعَهُ الــدَّقِيْقُ؟[2]
ومِحْــرَاثٌ وزِنْبِيْــلٌ ودَلْــوٌ وغَرْبُ المَاءِ والخُبْــزُ الرَّقِيْــقُ؟
وفَانُوْسٌ ومِــسْرَجَةٌ و"كَــازٌ" وأَيْنَ الصَّحْنُ والقَدَحُ العَتِيْــقُ؟
وأَرْثِيْ للسَّقِيْفَةِ أَيْــنَ رَاحَــتْ "دلالٌ" البُنِّ والقِدْرُ الــدَّفُوْقُ؟
وأَيْنَ دُخَانُهــا يَبْــدُوْ ضَــبَاباً كَأَنَّ البَيْتَ هاجَمَــهُ الحَرِيْــقُ؟
وأَيْنَ البَذْرُ في الأَثْــلامِ يَنْمُــوْ إلى زَرْعٍ تُتَــوِّجُــهُ العُــذُوْقُ؟

[1] لا بُدّ من إشباع حركة التاء في كلمة "وقفتُ".

[2] لا بُدّ من إشباع حركة الهمزة في كلمة "تختبئُ"، وكان يمكن أن يقول مثلاً: "أُفتّشُ عن رحانا كُلَّ رُكْنٍ".

وأَيْنَ المَوْزُ قِنْوَاناً تَدَلَّتْ؟   وأَيْنَ البُنُّ والثَّمَرُ الأَنِيْقُ؟

وأَيْنَ الشِّيْحُ يَلْثُمُهُ الخُزَامَى؟   ورَيْحَانٌ يُغازِلُهُ "الطُّرُوْقُ"؟

ولَيْلٌ حَالِمٌ فِيْهِ سُكُوْنٌ   تُمَوْسِقُهُ الضَّفادِعُ والنَّقِيْقُ؟

وصَوْتٌ نَاعِمٌ لَدْنٌ رَخِيْمٌ   رَقِيْقٌ لا يُكَدِّرُهُ النَّعِيْقُ؟

غِنَاءُ الوَارِدَاتِ بِكُلِّ دَرْبٍ   غِنَاءٌ كُلُّهُ أَدَبٌ وذَوْقُ

تَرانِيْمٌ مُنَغَّمَةٌ تُضَاهِيْ   تَرانِيْمَ العَنَادِلِ بَلْ تَفُوْقُ

أَخِيْ أَيْنَ التُّراثُ؟– جُزِيْتَ خَيْراً–   لِمَ الآثَارُ ضَاعَتْ يا شَقِيْقُ؟!

أَهَذِيْ دِيْرَتِيْ أَمْ تِلْكَ رُؤْيَا؟   أَ أَمْضِيْ في سُبَاتِيْ.. أَمْ أُفِيْقُ؟!

❀❀❀

على شاطئ الأخطار[١]

على شَاطِئِ الأَخْطَارِ أَسْرَجْتُ زَوْرَقِيْ ... وأَطْلَقْتُهُ في عَيْلمٍ مُتَدَفِّقِ

يَسِيْرُ مَعَ التَّيَّارِ حِيْناً ويَنْثَنِيْ ... إلى لُجَّةٍ مِنْ مَوْجٍ هَوْجَاءَ مُغْرِقِ

نَصَبْتُ شِرَاعَ الرِّيْحِ يَنْصَاعُ مُرْغَماً ... إلى مَغْرِبٍ حِيْناً وحِيْناً لِمَشْرِقِ

هَتَكْتُ حِجَابَ الخَوْفِ والهَوْلِ إِنَّنِيْ ... على مَرْكَبِ الأَخْطَارِ أَعْطَيْتُ مَوْثِقِيْ

وأَلْفَيْتُنِيْ أَخْتَالُ في الْيَمِّ مُعْجَباً ... بأَمَّارَتِيْ أَغْتَاظُ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ

فَخُوْرًا بِرَيْعَانِيْ وفِكْرِيْ وقُوَّتِيْ ... تَناسَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ قَدْ زَارَ مَفْرِقِيْ

وفي حَمْأَةِ الإِغْرَاءِ أَرْسَلْتُ قَارِبِيْ ... على ظَهْرِ جَيَّاشٍ مِنَ المَاءِ أَزْرَقِ

أُجَدِّفُ جَهْدِيْ في سِبَاقٍ نُجُوْمُهُ ... عَمَالِيْقُ تَنْبُوْ عَنْ دُعَاةِ التَّعَمْلُقِ

أَزُفُّ زَفِيْفَ الهِقْلِ أَرْخَى جَنَاحَهُ ... أَصُوْلُ بِمِجْدَافٍ هَزِيْلٍ مُعَوَّقِ

أَقُوْلُ – وبَحْرِيْ نُطْفَةٌ في قَرَارَةٍ ... عَلَيْها رُكامٌ مِنْ تَجاعِيْدِ غَلْفَقِ:

---

[١] لم أعثر على أصل هذه القصيدة، وإنما أخذتها عن نسخة يتيمة مطبوعة حديثًا.

أأَجْرِيْ مَعَ الشَّيْخَيْنِ والبَــوْنُ شَاسِــعٌ وحَرْفِيْ جَرِيْحٌ مِنْ تَبَارِيْحِ مَنْطِقِي؟![1]

وقَدْ ذَكَّرَانِــيْ دِيْــرَةً سَــفَّ تُرْبَهَــا فُــؤَادٌ مَلِــيْءٌ بالأَسَــى والتَّمَــزُّقِ

لَــكِ اللهُ يــا أَرْضَ الرَّبَــابِ ولَيْتَنِــيْ رَبِيْبُكِ مَدَّ العُمْرِ يــا شِــبْهَ جِلَّــقِ

أُغَــازِلُ حَبَّــاتِ اليَعَالِيْــلِ غَــازِلاً نَسِيْجاً مِنَ افْوَافِ السَّحَابِ المُرَقْرَقِ[2]

* * * * *

أَهَاجَتْ شُــجُوْنِي واغْتِرَابِيْ قَصَائِــدٌ مُمَوْسَــقَةٌ زَيَّــافَةٌ سَــيْرَ مُعْــنِقِ

---

[1] هذه القصيدة- كما أعلم- جاءت ضمن معارضات شارك فيها عدة شعراء. و"الشيخان" المشار إليهما هما: القاضي علي بن قاسم الفَيْفي، والقاضي علي بن مديّش بجوي، اللذان افتتحا مجموعة تلك المعارضات.

[2] اليعاليل: جمع يَعْلُول، ومن معانيه حَبَاب الماء، وهو ما يظهر على سطحه من فقاعات، قال (ابن حمديس الــصّقليّ، (د.ت.)، ديوانه، تح. إحسان عبّاس، (بيروت: دار صادر)، ١٥٠):

وليلٍ هَوَتْ فيه نجومٌ كأنّها يَعاليلُ بَحرٍ مُضْمَرِ الجَزْرِ في المَدِّ

واليعاليل أيضًا السَّحاب الأبيض المركوم، ومنه قول كعب بن زهير في قصيدة البُردة:

تَجْلُو الرياحُ القَذَى عنهُ وأفرَطَهُ مِنْ صَوْبِ ساريَةٍ بيْضٌ يَعاليلُ

واليعاليل كذلك: المطر تَعُلُّ مرةً بعد أخرى. والمعنى الأول أقرب؛ بدليل اقتران الكلمة بالمضاف: "حَبّات"، وكأنــه عنى بها "حَبَاب". في الشطر الأخير من البيت: سهّلت همزة "أفواف"؛ لضرورة الوزن.

سَرَى ضَوْعُها يَطْوِيْ الفَيَافِيْ مُحَمَّــلاً بِفَاغِيَة فَوَّاحَـــة بالــشَّذَى النَّقِـــي[١]

قَـــصَائِدُ كالأَنْـــدَاءِ تَنْثَـــالُ رِقَّـــةً كما انْثَالَ دُرٌّ عِنْــدَ نَــارِ الُمحَلِّــقِ

* * * * *

أبا فَيْصَلٍ لا زِلْـــتَ يـــا شَــيْخُ رَائِــداً تَلُمُّ شَــتَاتَ القَــوْمِ بَعْــدَ التَّفَــرُّقِ

أَيَادِيْـــكَ لا تُنْـــسَى ومَغْنَـــاكَ شَـــاهِدٌ سَمَوْتَ بمَجْدٍ في ذُرَى النُّبْلِ مُعْـــرِقِ

وحَلَّقْـــتَ في الآفَـــاقِ حُـــرًّا مُغَـــامِراً طَلِيْقاً ، يَمُوْتُ الصَّقْرُ إنْ لم يُحَلِّـــقِ

تَبَوَّأْتَ دَاراً في حَـــشَا كُـــلِّ مُنْـــصِفٍ ولَيْسَ غَرِيْباً أو عَزِيْزاً على التَّقِـــي[٢]

بَنَيْتَ على المِنْهـــَاجِ مِنْ هَدْيِ أَحْمَدٍ مَنَـــاراً كَنُوْرٍ في دُجَى اللَّيْلِ مُشْرِقِ

---

[١] عدّ الشاعرُ الرويّ هنا القاف، والياء وَصْلاً. إلاّ أن الياء أصليّة، وكان حقّها أن تكون هي الرويّ لا القـــاف؛ لأن الوصل إنما هو ما جاء بعد الرويّ من حرف مَدٍّ أُشبعت به حركة الرويّ. وعليه، فالقافية مختلّة؛ لأنها جاءت يائيّـــة الرويّ، لا قافيّته، كسائر قوافي القصيدة.

[٢] ما قيل في الحاشية السابقة ينطبق على قافية هذا البيت أيضًا.

قصر مشرف

قصيدة بمناسبة افتتاح قصر (مشرف) لصاحب السمو أمير منطقة الحدود الشمالية الأمير / عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد آل سعود، في ١٤/١١/١٤١٠هـ.

فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ فَاحَ الــوَرْدُ بالعَبَقِ   مِنْ كَفِّ كَوْكَبِ نُــوْرٍ سَاطِعِ الأَلَقِ

فَيْضٌ مِنْ آلِ السُّعُوْدِ الشُّمِّ مُرْتَسِمٌ   على المُحَيَّا ومُوْقِ العَيْنِ والحَــدَقِ[1]

فَاضَ السُّــرُوْرُ كأَنْسَامٍ مُعَطَّرَةٍ   تَبُثُّ فِي النَّفْسِ دِفْءَ الفَجْرِ والشَّفَقِ

عَشِيَّــةً فاحَــتِ الأَشْــذَاءُ تُغْرِقُنا   فِي لُجَّةِ الحُبِّ ما أَحْلاهُ مِنْ غَــرَقِ!

أَحْنَاءُ مُشْــرِفِ العِمْــلاقِ تَحْضُنُنا   بعِــزَّةٍ وحَنَــانٍ جِــدِّ مُنْــدَفِــقِ

قَصْــرٌ تَرَبَّــعَ ظَهْرَ التَّلِّ مُعْتَنِقــاً   هَامَ السَّحَــابِ على بَلُّوْرَةِ الطَّبَــقِ

يَضُمُّ لَيْثاً هَصُــوْرًا مِنْ ضَياغِمَــةٍ   تَخُوْضُ بَحْرَ العُلا في شِدَّةِ الرَّهَــقِ

غَضَنْفَرٌ فِي ثِيَابِ المَجْــدِ مُنْتَصِبٌ   خَالٍ مِنَ الكِبْرِ والتَّمْوِيْــهِ والفَــرَقِ

مِنْ فِتْيَةٍ قَادَتِ الأَجْيَالَ ســائِــرَةً   فِي مَوْكِبِ الدِّيْنِ عَبْرَ النُّوْرِ والغَسَقِ

بِحِكْمَــةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مُحْكَمَةٍ   نَقِيَّةٍ مِنْ عُيُــوْبِ الجَــوْرِ والنَّــزَقِ

---

[1] لا بُدّ من تسهيل همزة "آل" في البيت، لاستقامة الوزن.

مِنْ فِتْيَـــةٍ فاقَتِ الأَفْلاكَ هِمَّتُهُـــمْ إنْ سَابَقُوا أَيْقَنُوا بالفَوْزِ في السَّبَـــقِ

ومَنْطِقُ العَـــدْلِ والتَّوْحِيْدِ رَائِدُها نَالَتْ نَوَاصِيْ العُلا مِنْ أَوْسَعِ الطُّرُقِ[١]

***

آبَاؤُكُمْ واجَهُوا الصَّحْراءَ ثَائِرَةً بالسَّيْفِ والتُّرْسِ والأَرْماحِ والـــدَّرَقِ

صَحْرَاءُ نَهْــبٍ وتَقْتِيْلٍ وتَعْـــزِيَـــةٍ أَبْنَاؤُها والذِّئـــابُ الغُبْـــرُ في نَسَـــقِ

تَبِيْتُ في مَرْقَـــدِ الهَوْجَاءِ يَرْمُقُهـــا حَشْدٌ مِنَ الذُّعْـــرِ والأَرْزاءِ والقَلَـــقِ

فأَصْبَحَـــتْ بَعْدَ عَوْنِ اللهِ خَالِيَـــةً مِنَ المَخـــاوِفِ والأَحْقَـــادِ والرَّمَـــقِ

هذي بلادي تَعِيْـــشُ اليَوْمَ في نِعَمٍ في ظِلِّ فَهْدٍ غَـــدَتْ أَعْلَى مِنَ الأُفُقِ

***

يا مُشْرِفـــاً شَامِخاً زَادَتْ مَباهِجُهُ مِنْكُمْ بنُوْرٍ– طَوِيْلَ العُمْرِ– مُؤْتَلِـــقِ

قَـــامَتْ دَعـــائِمُـــهُ للهِ طَـــائِعَـــةً بَعِيْدَةً عَنْ مَهَاوِيْ الزَّيْـــفِ والمَلَـــقِ

---

[١] سُكِّنت الياء في كلمة "نواصي" لضرورة الوزن.

لَعَلَّ سَحًّا مِنَ الشُّـــؤْبــُـوْبِ مُنْهَمِراً	يَعُـــمُّ أَرْجَـــاءَهُ الشَّمَّـــاءَ بالغَدَقِ
أُعِيْذُهُ وحَوَاشِيْـــهِ[١] ومَـــالِـــكَـــهُ	مِنَ العُيُوْنِ بِـــرَبِّ النَّـــاسِ والفَلَقِ
واهْنَأْ– أَبا خالدٍ – واللهُ يَحْرُسُكُـــمْ	وقَصْرَكُمُ وجَمِيْـــعَ الأَهْـــلِ والرُّفَـــقِ

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

[١] سُكِّنت الياء في كلمة "حواشي" لضرورة الوزن.

شعر

السؤال والارتحال

تَجَلْمَدْتُ لَمَّا بَكَى لِيْ السُّـــؤَالْ ... وتُهْتُ على سَــاجِيَاتِ الرِّمَـــالْ

أَهِيْمُ على الصَّحْـصَحانِ الــذي ... على مَتْنِـــــه تَـــسْتَكِيْنُ الــتِّلالْ

بَعِيْدٌ عَنِ الــدَّارِ لكِـــنَّ فِكْـــرِيْ ... يُحَــــدِّثُنِيْ أَنَّ فَيْفَـــــا المَــــآلْ

فَفِيْهــا تَنَــسَّمتُ زَهْــرَ الــصِّبا ... وأَسْــمَارَ جَــدٍّ وعَـــمٍّ وخَـــالْ

ســــــــؤَالٌ مُمِـــــرٌّ تَجَرَّعْتُـــــهُ ... وفي مُهْجَتِيْ مِنْ جَـــوَاهُ اشْــتِعَالْ

يُســَائِلُنِيْ عَـــنْ خَبَايَـــا الرُّبَـــى ... ونَشْوَى الغُيُـــوْمِ تَـــضُمُّ الجِبَـــالْ

وعَذْبِ التَّصـــَافِيْ وسِـــرِّ الهَوَى ... ونَجْوَى اللِّقَـــاءِ ورَشْـــفِ الزُّلالْ

ووَجْهِ الثُّرَيَّــا يَغِيْـــبُ ويَبْـــدُوْ   على شُرْفَــةٍ مِنْ عَــسِيْرِ المَنَــالْ

وبَرْدِ العَشَايَا، وهَمْسِ الــصَّبَايَا،   وعِطْــرِ المُنَى، والهَــنَا، والــدَّلالْ

وأَيْنَ الســُّهُوْلُ؟ وأَيْنَ الحُقُــوْلُ   يَرِفُّ عليها نَــسِيْمُ الــشَّــمَالْ؟

وأَيْنَ الجُدُوْدُ؟ وأَيْنَ الــصُّمُــوْدُ؟   وأَيْنَ الشُّــمُوْخُ؟ وأَيْنَ الرِّجَــالْ؟

أَتَــى بَعْـــدَ أَفْـــذَاذهِمْ ثُلَّـــةٌ   مَعَ الرَّوْدِ[1] تَجْرِيْ على أَيِّ حَــالْ

فَأَزْعَرُهُمُ[2] حــُوَّلٌ قُلَّـــبٌ   وأَرْدَؤُهُمْ كُــلَّ مَــا شَــاءَ نَــالْ

وأَعْجَبُهُمْ – إنْ تَأَمَّــلْــتَــهُ   كَخُوْطِ الشَّفَى كُلَّمَا طَــالَ مَــالْ

وأَسْــمَجُهُمْ مَنْ يَرَى نَفْــسَــهُ   خَفيْفاً ويَهْوَى النُّفُــوْسَ الثِّقَــالْ

وأَيْنَ المُــرُوْءَاتُ كَانــَتْ هُــنَا؟   تَسَــامَتْ، عَلَيْها وِشَــاحُ الجَلالْ

غَــذَاهَا الأُلَى يَنْظِمُــوْنَ النُّجُومَ   عُقُوْدًا تُحَلِّــيْ الرِّقَــابَ الطِّــوالْ

وأَيْنَ المَصَابِيْــحُ لَيْــلَ السُّــرَى؟   تَوَارَتْ وأَبْقَتْ رُؤًى مِنْ وَبَـــالْ

وأَيْنَ؟ وأَيْنَ؟ ومــاذا أَقُــوْلُ؟   وقد نَدَّ عَنِّــي جَــوَابُ الــسُّؤَالْ

ومــا كَــانَ إلاّ كَمُــسْتَنْطِقٍ   جَمَادًا، ونُطْقُ الجَمَــادِ مُحَــالْ

******   ******

---

[1] الرّوْد: هنا، عملية الذهاب والمجيء في طلب شيء ما. والرّود من وصف الرِّيح أيضًا، يقال: "رِيْحٌ رَوْد"، أي رُخــاء الهبوب. وقوله: "**مع الرَّوْدِ تَجْرِيْ على أيِّ حالْ**" كقولهم في دارجة البادية: "مع الخيل يا شقرا".

[2] الأزعر: الحَدَث السّنّ، واللّصّ النهّاب.

تَرَكْـتُ السُّؤَالَ إلى مَرْتَـــعٍ إلى مِثْلِـهِ يَحْسُــنُ الانْتِقَـــالْ
ووَجَّهْتُ نِضْوِيْ إلى مَــهْيَــعٍ مَرِيْعٍ لِمَنْ يَعْشَقُ الارْتِحَـــالْ

****** ******

حَلُمْتُ بِأَنِّي ارْتَقَيْتُ الــسَّمَــاءَ وصَافَحْتُ في الحُلْمِ كَفَّ الهِــلالْ
وأَنَّ الهَــوَى يَــسْتَدِرُّ الحَــصَى ويَرْشُفُ مِنْ شَــفَتَيْهَا الثِّمَــالْ
ويَسْتَمْطِرُ الصَّخْرَ وَبْلَ الــصَّــفَا ويَزْرَعُ في القَفْرِ بِــذْرَ الكَمَــالْ
وفي الحَقْلِ أُغْرُوْدَةٌ مِنْ عَطَـــاءِ وفي البَيْتِ زُغْــرُوْدَةٌ مِــنْ نَــوَالْ
وفي الخَــشْعَةِ الْتَمَعَــتْ نَجْمَــةٌ وأَشْرَقَ مِنْ مُقْلَتَيْــهَا الوِصَـــالْ
عَلَيْــــهَا تَقَاسِــــيْمُ حُوْرِيَّــةٍ تَتِيْــهُ بِقَــدٍّ وخَـــدٍّ وخَـــالْ
تَجَلْبَــــبُ في دِرْعِــــهَا دُرَّةً يَنُوْسُ علــى أَخْــدَعَيْهَا القَــذَالْ
ولامَــسَ قَلْــبِيْ ارْتِعَــاشُ المُنَى وســَامَرَ جَفْنِيْ اجْــتِلاءُ الخَيَــالْ
وقَدْ حَلَّتِ الشَّمْــسُ في رَاحَــتِيْ حِبَاهَــا ومَــدَّتْ عَلَيَّ الظِّــلالْ

ورَشَّتْ عَلَيَّ النُّجُوْمُ النَّدَى … وأَرْخَتْ عَلَيَّ السُّتُوْرُ الطِّفَالْ[1]

ورُحْتُ أُرَوِّيْ كُؤُوْسَ الطِّلا … سُلافاً مِنَ الخَنْدَرِيْسِ الحَلالْ

ودَثَّرَنِيْ طَيْلَسَانُ الدُّجَى … نَسِيْجًا سَدَاهُ رِيَاشُ الرِّئَالْ

وفي مَرْقَدِيْ يَسْتَرِيْحُ الأَسَى … على نُمْرُقٍ مِنْ رُمُوْشِ الغَزَالْ

ونَادَمْتُ غِرًّا كَوَهْجِ السَّنَا … على مَرْفَإٍ مِنْ مُحِيْطِ اللَّيَالْ

أُرِيْهَا السُّهَا وتُرِيْنِيْ الثَّرَى … أُرِيْهَا الهُدَى وتُرِيْنِيْ الضَّلالْ

وفي الصُّبْحِ غَرَّدَ طَيْفٌ صَحَا … على مَنْظَرٍ مِنْ بَدِيْعِ الجَمَالْ

ورَأْدُ الضُّحَى يَسْتَفِزُّ[2] الرَّدَى … على مُدْنَفٍ قَدْ بَرَاهُ الكَلالْ

وكانَ على قَابِ قَوْسِ المَدَى … سَرَابٌ تَمَاوَجَ في نَهْرِ آلْ

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ – ويْلُمِّهِ – … تَنَاوَبُ في أَيْطَلَيْهِ النِّصَالْ؟!

---

[1] كأنه يعني بـ"الطِّفال": الطَّفَل، وهو الظُّلْمة الخفيفة، كظُلْمة قُبيل بزوغ الشمس، وقُبيل الغروب. ومنه قول **الطغرائي** في "لاميّة العجم":

مجديْ أخيرًا ومجديْ أوَّلاً شَرَعٌ … والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كالشَّمْسِ في الطَّفَلِ

أمّا "الطُّفال" و"الطَّفال": فالطين اليابس. ولا وجه له هنا.

[2] في الأصل المخطوط: "يَسْتَقِرُّ"، فرجّحنا أن الكلمة: "يَسْتَفِزُّ".

وكَيْفَ يُقَــاوِمُ وَخْــزَ المُــدَى؟ وأَنَّى لَهُ الصَّــبْرُ والاحْــتِمَالْ؟!
يُدَارِيْ وقَــدْ لاحَ مِنْ وَجْهِـــهِ عتَابٌ ومِنْ عَيْنِه الــدَّمْعُ سَـــالْ
ومَـــا إنْ يَـــزَالُ علـــى عَهْـــدِهِ نَبيْلاً تَوَالَــتْ عَلَيْـــهِ النِّبَـــالْ
عـــلى رُزْئِـــهِ يَسْتَعـــيِـــْنُ الذي عَلَيْـــهِ المُعَـــوَّلُ والاتِّــكَـــالْ

✍✍

إيحاءٌ من خَيْرَان

أَسْقَيْتُ مِـــنْ لُؤْلُـــؤٍ قِنْـــدِيْلِيَ العَطِـــلا   تَرَكْتُـــهُ فِي دَيَـــاجِيْ اللَّيْـــلِ مُـــشْتَعِلا

كَتَبْتُ مِـــنْ نَظْمِـــيَ المَـــوْزُوْنِ أُغْنَيَـــةً   مِنْ خَاطِرٍ طَـــارِقٍ يَرْتَـــاحُ للفُـــضَلا[1]

هَزَزْتُ مِنْها عَمُـــوْدَ الـــشِّعْرِ فـــانْتَثَرَتْ   أَوْزانُـــهُ فِي رِيَـــاضٍ تَـــزْرَعُ الـــنَّفَلا

مِنْ بَيْتِ (خَيْرَانَ) جَاءَتْني القَوَافِيْ علـــى   نَجَائِبِ الرِّيْحِ تَجْتَازُ المَـــدَى عَجَـــلا[2]

سَكَبْتُ فيها حَدِيْثَ الـــرُّوْحِ مُنْـــدَفِقاً   أَوْدَعْتُهَا الـــشَّوْقَ والتَّنْغِـــيْمَ والـــزَّجَلا

******   ******

يا بَيْتَ خَيْـــرَانَ يـــا أُمْنِيَّـــةً طَمَحَـــتْ   بِصَاحِبِ البَيْتِ حـــتى حَقَّـــقَ الأَمَـــلا

بَنَـــاهُ "يَحْيَـــى" بِتَفْكِيْـــرٍ فَأَفْرَحَنَـــا   يَـــا رَبِّ تُفْرِحُـــهُ أَدْعُـــوْكَ مُبْـــتَهِلا

دَاوَيْتَ قَلْبًـــا جَرِيْحًـــا كَـــانَ مُكْتَئِبًـــا   يا فَرْحَتِيْ اليَوْمَ طَابَ الجُـــرْحُ وانْـــدَمَلا

عِنْدِيْ مِنَ "الضَّغْط" أَرْقَـــامٌ مُـــضَاعَفَةٌ   لكنَّ "ضَغْطِي" أَمَامَ البَيْتِ قَـــدْ نَـــزَلا

أُعِيْـــذُ قَصْـــرَكَ بالرَّحَمَنِ مِنْ حَسَـــدٍ   أو نَظْـــرَةٍ دَبَّ فيهـــا الشَّـــرُّ واشْتَعَلا

---

[1] "للفضلا": للفضلاء، قصر فيها الممدود لضرورة القافية.

[2] "خَيْران": اسم منـــزل شقيق الشاعر، الأستاذ يحيى بن محمّد الحَكَمي الفَيْفي.

قَصرٌ تَرَبَّعَ في خَيْرَانَ مُنْفَرِداً ... ما الأَبْلَقُ الفَرْدُ في تَيْمَاءَ إلاَّ كـ"لا"

يَضُمُّ مِنْ لَمَسَاتِ العَصْرِ بَهْرَجَهُ ... وفِيْهِ فَنٌّ مِنَ الماضِيْ وما حَمَلا

أَرْسَلْتُ فِيْهِ عنَانَ الفِكْرِ أَسْبُرُهُ ... ومِنْ عُلاَهُ رَأَيْتُ السَّهْلَ والجَبَلا

وعُدْتُ للماضِي المَهْزُوْمِ مُعْتَبِراً ... وماضِي الدَّهْرِ عِنْدِيْ ليسَ مُتَّصِلا[1]

******

يا بَيْتَنَا الأَوَّلَ المَحْزُوْنَ مَعْذِرَةً ... إذا تَحَدَّاكَ مَنْ رَبَّيْتَ وارْتَحَلا

لَسَوْفَ تَبْقَى بإِذْنِ اللهِ مُنْتَصِبًا ... ولَنْ تَصِيْرَ حُطَامًا دارِسًا طَلَلا

ذِكْرَاكَ في جُلْجُلانِ القَلْبِ رَاسخَةٌ ... مَهْمَا بَنَيْنَا قُصُوْراً كانَ أَمْ "فلَلا"

بَيْتٌ سَفَفْتُ الثَّرَى مِنْ تُرْبِ عَرْصَتِهِ ... فَطَابَ لِيْ لَذَّةً طَعْمُ الثَّرَى وَحَلا

إذا تَمَعَّنْتُ في أَدْوَارِهِ زَمَنًا ... رَأَيْتُ في صَدْرِهِ آبَائِيَ الأُوَلا

فتُشْرِقُ الشَّمْسُ في قَلْبِيْ وتَعْرُجُ بِيْ ... بَوَاعِثُ الفَخْرِ حتى أَمْتَطِيْ زُحَلا

لا أَنْسَ مَدْرَجَ عُمْرِيْ الغَضِّ مُبْتَهِجاً ... في دَارَةٍ ذُقْتُ فيها المُرَّ والعَسَلا

لا أَنْسَ فِيْكَ الحَنَانَ الجَمَّ أَرْضَعُهُ ... صَبْراً يُعَلِّمُنِي أَنْ أَمْقُتَ الوَجَلا

أَتُوْقُ يا مَجْمَعَ الأَحْبَابِ أَنَّ لَنَا ... يَوْماً أَقُوْمُ خَطِيْباً فِيْكَ مُرْتَجِلا

أَبُثُّكَ الحُبَّ مِنْ (خَيْرَانَ) يَسْكُبُهُ ... في صَحْنِكَ الرَّثِّ بَيْتٌ بَاتَ مُكْتَمِلا

******

يا بَيْتَنَا، يا طَوِيْلَ العُمْرِ، مَوْعِظَةً ... لا تَفْتَحِ البَابَ للأَنْذَالِ والبُخَلا[2]

---

[1] يلزم تحريك ياء كلمة "ماضي" في الشطرين ليستقيم الوزن.

[2] البخلا: البخلاء.

لا يَدْخُلَنَّكَ إلاَّ الشَّهْمُ تُرْشِفُهُ   مِنْ مَنْبَعِ الخَيْرِ لا تَبْغِي بِهِ بَدَلا

قَدِّمْ لنفْسِكَ تَلْقَ الدَّرْبَ مُتَّسِعاً   فاللّٰهُ سُبْحانَهُ ما ضَيَّقَ السُّبُلا

******   ******

يا سَاكِناً بَاتَ في خَيْرَانَ مُغْتَبِطًا   مُعَمَّمًا بِنَسِيْجِ النُّبْلِ مُشْتَمِلا

بُوْرِكْتَ واهْنَأْ جَزَاكَ اللّٰهُ مَغْفِرَةً   لا بُدَّ مِنْ مَسْجد تُحْلِي بِهِ العَمَلا

يُجَلْجِلُ الصَّوْتُ بالتَّكْبِيْرِ مُرْتَفِعاً   يُعَطِّرُ التَّلَّ والوِدْيَانَ والقُلَلا

❑❑❑

تسبيحة

حَلَّ شَهْرُ الصِّيامِ والبَدْرُ هَلاَّ … أَلْفُ طُوْبَى لِمَنْ تَزَكَّى وصَلَّى

يا رَعَى اللهُ أَنفُساً طَاهِرَات … في المَحَارِيْبِ ، والتَّرَاتِيْلُ تُتْلَى

يا ضِيَاءَ الصِّيامِ – فَضْلاً – أَنِرْ لِيْ … ظُلْمَةَ الدَّرْبِ واجْعَلِ الصَّعْبَ سَهْلا

طَهِّرِ النَّفْسَ مِنْ ذُنُوْبٍ تَوَالَتْ … عَبَّ مِنْهَا المُلِيْمُ نَهْلاً وعَلاَّ

أَسْلَمَتْ مُهْجَتِيْ وذَلَّ كِيَانِيْ … لَكَ يَا بَارِئِيْ جَنَانًا وعَقْلا

* * * * *

يا وُجُوْهاً على الثَّرَى سَاجِدَات … لِجَلالِ المُهَيْمِنِ لَيْسَ إلاَّ[1]

لم تُعَفِّرْ جِبَاهَهَا في خُنُوْعٍ … لِسِوَى اللهِ قَطُّ حَاشَا وكَلاَّ

أَنَا مِنْهُمْ لكِنَّ قَلْبِيْ حَدِيْدٌ … فَأَلِنْهُ يَا رَبُّ مَنًّا وفَضْلا

* * * * *

فَرْحَةُ الصَّوْمِ في النُّفُوْسِ سَجَايَا … كُلُّ نَفْسٍ بِمَقْدَمِ الصَّوْمِ جَذْلَى

---

[1] كسرة النون في كلمة "المهيمن" مشبعة.

مِنْ رَحِيْــقِ الإِيْمَـــانِ تَلْتـــَذُّ أَرْوَا حٌ تَسَـــامَتْ لعَفْـــوِ رَبٍّ تَجَـــلَّى

تَتَبَارَى فِي حَلْبَـــةٍ مِـــنْ صَـــفَاءٍ كُلُّ مَنْ فَازَ حَـــازَ قَـــدْحاً مُعلَّـــى

فِي رِحَابِ الصِّيَامِ، فِي طَاعَةِ اللـــ ـــهِ امْتِثَالاً، لَذَائذُ الــنَّفْسِ تَبْلَـــى

* * * * *

يُقبِلُ اللَّيْـــلُ يَتَهَـــادَى مُـــسَجًّى بِرِدَاءِ السُّكُوْنِ ، واليَـــوْمُ وَلَّـــى[١]

واشْرَأَبَّتْ تِلْكَ المَلايِـــيْنُ تَهْفُـــوْ لِمَنَـــارِ التَّوْحِيْـــدِ ، واللهُ أَعْلَـــى

وإذا بِـــالنُّفُوْسِ تَـــصْفُوْ وتَعْلُـــوْ لِـــسُمُوِّ الأَخْـــلاقِ قَـــوْلاً وفعْـــلا

فِي صَلاةِ القِيَـــامِ تَنْـــسَابُ أَنْهَـــا رٌ عِذَابٌ مِثْـــلُ الرَّحِيْـــقِ وأَحْلَـــى

مَعْ نَسِـــيْمِ الأَسْحَارِ تُلْقِيْ الأَمَانِيْ مِنْ تَبَاشِـــيْرِهَـــا رَذَاذاً وطَـــلاّ

تَسْكُبُ الرِّيَّ فِي قُلُوْبٍ عِطَـــاشٍ لِمَعِـــيْنِ الـــرحمنِ خَوْفـــاً وذُلاّ

مِنْ تَسَابِيْحِ خَالِقِ الكَـــوْنِ رَبِّـــي تُزْهِـــرُ الكَائِنَـــاتُ بِـــرًّا وعَـــدْلا

* * * * *

يا لُحُـــوْنَ المَـــآذِنِ كُـــلَّ فَجْـــرٍ تَرْتَجِـــيْ رَبَّهَـــا العَزِيْـــزَ الأَجَـــلاّ

أَيْقِظِيْنِيْ بِصَوْتِك العَـــذْبِ إِنِّـــيْ سَـــادِرٌ فِي ملاعِبِـــيْ أَتَـــسَلَّى

وخُـــذِيْنِيْ إِلَى المُـــصَلَّى فَـــإِنِّيْ ذُبْتُ شَـــوْقاً إِلَى جَـــلالِ المُـــصَلَّى

أَرْشِفِيْنِيْ فَرِيْضَةَ الـــصُّبْحِ عَـــذْباً سَلْسَلاً مِنْ نَمِيْـــرِ نَهْـــرٍ مُحَلَّـــى

---

[١] الشطر الأول غير مستقيم وزنًا، ولو قال: "يُقْبِلُ اللَّيْلُ فِي تَهَادٍ، مُسَجًّى"، لاستقام.

أَعْتِقِيْنِيْ مِنْ رِقِّ نَفْــسِيْ وحُلِّــيْ مِنْ وَثَاقِيْ فَقَــدْ أَبَــى أَنْ يُحَــلاّ

* * * * * * * * * *

إِيْهِ يا نَفْسُ كَيْفَ تَبْغِــيْنَ جُــوْداً مِنْ كَرِيْمٍ وقَدْ تَوَشَّحْتِ بُخْــلا؟!

أَقْرِضِيْ اللهَ لِلْمَــسَاكِيْنِ قَرْضــاً أَفْرِحِيْ ثَــاكِلاً وشَــيْخاً وطِفْــلا

وازْرَعِيْ فِي مَنَابِتِ الخَيْــرِ طُهْــراً وانْثُرِيْ فِي مَــوَاطِنِ الطُّهْــرِ فُــلاّ

واجْعَلِيْ اللَّيْلَ مُشْــرِقاً بالمَثَــانِيْ واسْــتَنِيْرِيْ كَفَــى ظَلاَمــاً وجَهْلا

يا أساطينَ نهضةِ العلمِ مرحَى !

فَوْقَ أَرْضِ الشَّمَالِ بُوِّئْتَ سَهْــلاً ... وعلى الرَّحْبِ والسَّمــَاحَةِ أَهْــلا
فَيْضُ حُبٍّ يَفُوْحُ مِنْ شِيْحِ أَرْضِــيْ ... لِرَئِيْسٍ قَدْ حَازَ عِلْمــاً وفَضْـــلا
عِشْتَ يا قَاطِعَ المَسَافــَاتِ قَصْــدًا ... تَحْتَفِــيْ بالشَّمَالِ بِرًّا ووَصْــــلا
انْظُرِ الغَــرْسَ مُثْمِــرًا فِي رُبَاهــا ... بعُلُــوْمٍ مِنْ لَــذَّةِ الشَّهْدِ أَحْلَــى
حِيْنَ خُضْتَ الغِمَارَ عَزْمًا وحَزْمًــا ... لقِيــَادِ السَّفِيْنَةِ كُنْتَ أَهــْــــلا[1]
قُدْتَهــا والرِّيــَاحُ تَجــْرِيْ رُخاءً ... تَحْمِــلُ العِلْمَ كالمَنَارَاتِ حَمْــلا

***

يــا بــِلادًا تَمُوْجُ دُرًّا وتِبْـــرًا ... بَعْدَ أَنْ كَانَ مَوْجُهــا أَمْسِ رَمْــلا
أَضْحَتِ اليَــوْمَ فــي نَعِيْمٍ مُقِيْــمٍ ... فاسْتَظَلَّــتْ عِلْمًا و أَمْنًــا وعَدْلا
هذهِ الأَرْضُ تَرْفَــعُ الرَّأْسَ فَخْــرًا ... أَرْضَعَتْنــَا بالعِــزِّ طِفْلاً وكَهــْلاً
قَادَها الفَهْــدُ قائِــــداً عَبْقَرِيــًّا ... قَتَــلَ الجَهْــلَ بالمَدَارِسِ قَتْــــلا
حِيْنَمَا خَــطَّ للمَعــَـــارِفِ خَطًّــا ... في الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ مَعْنًــى وشَــكْلا

---

[1] كسرة التاء في كلمة "السفينةِ" مشبعة، ضرورةً.

صَادِعاً فِي الدُّنـَـا بِصَوْتٍ يـُـدَوِّي   أَبْشِرِيْ يا بِلادُ، فالجَهْــلُ وَلَّـــى

همَّـــةٌ كالجِبَالِ، عِـــزًّا، ومَجْـــداً،   مِنْ نِجَارٍ قد طَابَ فَرْعاً وأَصْـــلا

حَثَّ رَكْبَ التَّعْلِيْمِ يَعْـــدُوْ سَرِيْعًا   لم يَقُــلْ للرَّكْــبِ الْمُغذِّيْــنَ مَهْلا

جَامِعَاتٌ سَبْــعٌ وحَشْدٌ عَظِيْـــمٌ   مِنْ عُلُــوْمٍ قَدِيْمُهــا لَيْسَ يَبْلَــى

ثُمَّ سَارَ الجَدِيْـــدُ مِنْ كُلِّ عِلْـــمٍ   فِي رِكَـــابِ القَدِيْمِ يُمْلَى ويُتْلَـــى

أَنْتَجَتْ هــذه المَفَـــازَاتُ فِكْـــراً   واخْتَفَى فِي الرَّغَامِ ما كَانَ جَهــْلا

بِجَنَاحَيـــْنِ رَفْرَفَتْ واشْرَأَبَّتْ   لِمَكَانِ النُّجُـــوْمِ تَرْنُـــوْ وأَعْلَـــى

وبِجِنْسَيْـــنِ فـــي سِبـَــاقٍ دَؤُوْبٍ   حَلَّقَتْ فِي السَّمَـــاءِ قَوْلاً وفِعْـــلا

واستَمَرَّتْ كَوَاكِبُ[١] النُّوْرِ تَتْـــرَى   فاستَنَـــارَ الإنســـانُ قَلْبـــاً وعَقْلا

***   ***

يا أَسَاطِيْنَ نَهْضَةِ العِلْمِ مَرْحَـــــى   حِيْـــنَ نَجْنِيْ الثِّمَارَ دُرًّا وأَغْلَـــى

---

[١] في إحدى النُّسخ: "قوافلُ".

مِنْ تُرَاثِ الإسلامِ نَبْنِــيْ صُرُوْحاً شَــامخَــات تَتِيْــهُ حُسْنــاً ودَلاّ
وعلــى مَنْهَــجِ الرَّسُــولِ نُرَبِّيْ خَيْــرَ جيْــلٍ مُحَصَّــنٍ ليس إلاّ
ونـَـرُدُّ المِــــراءَ رَدًّا عَفِيْفــــاً ونَزِيْــــدُ الغُثَــاءَ مَقْتـــاً وذُلاّ
ونَقُــوْلُ لزُمْــرَةِ الزَّيْفِ مُوْتُــوا فالكَــلامُ الرَّخِيْصُ أَضْحَى مُمِــلاّ

***

وطَــنَ الخَيْــرِ والفَخــَارِ، سَلامــاً يا شَبِيْهَ السَّحَابِ وَبْلاً وبـَــــذْلا
كَمْ رَشَفْنا مِنْ نَبْعِكَ الثَّــرِّ عَذْبــاً كَمْ قَطَفْنَا مِنْ رَوْضِ أَرْضِكَ فُــلاّ

***

يا رِيَاضَ الشَّمَالِ والأَمْنُ ضــَافٍ مِنْ أَميْرٍ قَدْ سَلَّ للأَمْــنِ نَصْــــلا
حَارِسٌ فــَارِسٌ كلَيْــثٍ هَصُــوْرٍ مِنْ عَرِيْــنِ الضَّيَاغِــمِ[١] كانَ شِبْلا
يَقْهَرُ البَغْيَ، يَعْشَقُ المَجْدَ، شَهْــمٌ قادَ أَرْضَ الشَّمــَالِ حَزْمــاً ونُبْلا
أَنْتَ في أَرْضِهــَا أَمِيْــنٌ وأَمْـــنٌ يا سَلِيْــلَ الأُبــَاةِ أَصْــلاً وفَضْلا

---

[١] يلزم إشباع كسرة الميم في "الضياغم"، ليستقيم الوزن.

أَيْنَعَــتْ بالعُلُوْمِ في كـُـلِّ فَـــنٍّ		بَاسِقَاتُ الشَّمَــالِ حَزْنــاً وسَهْلا

***		***

يَحْفَــظُ اللهُ رَائـِـدَ العِلْمِ فَهْــــداً		حَيْثُمــَا كــانَ راحِلاً أو مُحِـلاَّ

يَعْمَلُ الخَيْرَ في رِضــًى وسُكُــوْنٍ		ليــسَ كالأَدْعِيَاءِ زَمْراً وطَبْــــلا

نَذَرَ النَّفْسَ للعَطــَـاءِ وأَوْفـَـى،		تَحْتَ ظِلِّ الإسلامِ كَمْ لَمَّ شَمْــلا

📖 📖

خازن الماء

تَذَكَّرْتُ وَادِيْ (الفَاحِمِ)[1] الوَارِفَ الظِّلِّ   وأَشْجَارَهُ تَزْدَانُ بــالزَّهْرِ والطَّــلِّ

تَذَكَّرْتُــــهُ في لَيْلَـــةٍ مُدْلَهِمَّـــــةٍ   غُدَافِيَّةٍ لا يُهْتَدَى مَوْضِعُ الرِّجْــلِ

تَذَكَّرْتُ حَبَّاتِ الحُـصَيَّاتِ عِنْـدَمَا   تُجَرِّحُ أَقْدَاماً تَجَرَّدْنَ مِــنْ نَعْــلِ

تَذَكَّرْتُ أَشْــوَاكَ الــسَّيَالِ تَــشُكُّنِيْ   بِوَخْزٍ يُضَاهِيْ وَخْزُهُ إِبْرَةَ المَــصْلِ

فَطَارَتْ بِيَ الأَحْلامُ للشَّوْكِ والحَــصَى   وهَاجَتْ بِيَ الأَشْوَاقُ للزَّرْعِ والحَقْلِ

وما أَرْوَعَ الذِّكْرَى وأَجْمِلْ بِطَيْفِهَــا!   لِتَخْفِيْفِ أَحْزَانِيْ وإِنْ كانَ لا يُسْلِيْ

وما أَبْدَعَ الوَادِيْ! وجَلَّتْ يَدُ الــذي   حَبَاهُ جَمَالاً في سِنِيْ الغَيْثِ والمَحْلِ

فَفِيْ دَوْحِهِ الفَيْنَانِ ذِكْــرَى جَمِيْلَــةٌ   مَرَاتِعُ طِفْلٍ كانَ نَاهِيْكَ مِنْ طِفْلِ!

* * * *

[1] الفاحِم: اسم وادٍ، تابع لآل بِلْحَكَم (آل أبي الحَكَم)، في الجبل الأسفل من جبال فَيْفاء، كان معيْنًا، يستقي الناس منه، ولا سيما في سنين القحط.

تَشُطُّ بِيَ الأَحْلامُ والفِكْرُ جَامِحٌ ... وأَسْتَعْرِضُ الأَحْدَاثَ تَتْرَى على مَهْلِ

خَيَالِيْ سَرَى يَرتَادُ مَشْهَدَ مَوْلِديْ ... يُجَدِّدُ فِي قَلْبِيْ الهَوَى والهَوَى شُغْلِيْ

يُؤَجِّجُ نَاراً كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ خَبَتْ ... يُؤَرِّثُهَا التَّذْكَارُ بالحَطَبِ الجَزْلِ

وكَمْ عَاشِقٍ قَدْ لَوَّعَ الصَّدُّ قَلْبَهُ ... يُسَامِرُ لَيْلاً لم يَذُقْ فِيْهِ مِنْ وَصْلِ

تُعَلِّلُهُ الآمَالُ بالوَهْمِ والمُنَى ... وتُصْلِيْهِ نَاراً فِي جَوارِحِهِ تَقْلِيْ

وكَمْ لَيْلَةٍ غَطَّى الغَمَامُ نُجُوْمَهَا ... وأَرْجَفَتِ الأَرْجَاءُ بالبَرْقِ والوَبْلِ

يَهُزُّ أَزِيْزُ البَرْقِ والرَّعْدِ والصَّدَى ... حِجَى ظَبْيَةِ الوَادِيْ فَتَأْوِيْ إلى الشِّبْلِ

* * * *

تَسَلَّلَتِ الأَحْدَاثُ مِثْلَ قَصِيْدَةٍ ... صَدَاهَا بِوَادِيْ الحُبِّ مُحْكَمَةَ الجَدْلِ

بِوَادٍ رُؤَاهُ فِي خَيَالِيْ رِوَايَةٌ ... مُمَثَّلَةٌ بالمَشْهَدِ الحَيِّ والفَصْلِ

تَكَنَّنْتُ فِي غِيْرَانِهِ مَعْ صَحَابَةٍ ... بِهِمْ تُشْرِقُ الدُّنْيَا وإِنْ أَظْلَمَتْ مِثْلِيْ

نَخُوْضُ أَحَادِيْثَ الأَسَاطِيْرِ تَارَةً ... وأُخْرَى حَدِيْثَ الجِدِّ يَنْآ عَنِ الهَزْلِ

ويَسْتَقْبِلُ الوَادِيْ مِنَ السَّيْلِ مَا بِهِ ... يَعُوْدُ على الخِلاَّنِ بالبَيْنِ والبَتْلِ[1]

---

[1] البتْل: القطع، أي الفراق هاهنا.

فتَمْتَزِجُ البُشْرَى مَعَ الحُزْنِ والأَسَى   أَجَلْ، حَيْثُ حَانَتْ بالحَيَا فُرْقَةُ الشَّمْلِ

* * * *

حَنَنْتُ إلى المَاضِيْ السَّحِيْقِ فَحَلَّقَتْ   بيَ الرُّوْحُ تَطْوِيْ البِيْدَ بالمِيْلِ و"المِلِّيْ"

أَيَا وَارِدَاتِ المَاءِ ما أَجْمَلَ الـــصِّبَا!   مَثَلْنَ أَمَامِيْ باسِـــقَاتٍ مِـــنَ النَّخْـــلِ

أَنَا باعْتِبَـــارِيْ "خَازِنـــاً" مُتَمَرِّسًـــا   يُكَلِّفُنِيْ بالذَّوْدِ عَنْ حَوْضِهِمْ أَهْلِـــيْ

حَمَيْتُ حِمَى مَاءِ المَنَاهِلِ في الضُّحَى   ولكـــنَّنِي في اللَّيْـــلِ آهٍ مِـــنَ اللَّيْـــلِ

أَنَامُ وأُرْخِيْ الجَفْنَ والقَلْبُ مَا بِـــهِ   سِوَى الحُبِّ والتَّفْكِيْرِ والطَّيْشِ والجَهْلِ

وتَغْزُوْ فتاةُ المَكْرِ كاللِّصِّ في الدُّجَى   وتَحْظَى بمَغْزَاهَا وتَنْـــسَابُ كالـــصِّلِّ

تَدُبُّ بلُطْـــفٍ واخْتِفَـــاءٍ وخِفَّـــةٍ   ومَا رَاعَنِيْ مِنْهَا سِوَى سُرْعَةِ النَّـــذْلِ

* * * *

وأُخْرَى خِدَاعاً تُظْهِرُ الحُبَّ شَـــدَّهَا   إليَّ وُجُوْدُ المَاءِ ما شَـــدَّهَا شَـــكْلِيْ

بَذَلْتُ لَهَا مَـــاءَ الحَيَـــاة فأَظْمَـــأَتْ   فُؤَادِيْ وكَانَتْ تَدَّعِيْ أَنَّهَـــا خِلِّـــيْ

وأَصْفَيْتُهَا مَـــاءَ الوِدَادِ فَأَهْمَـــلَتْ   وِدَادِيْ فَثَـــارَ الغَيْظُ في القَلْبِ كالمُهْلِ

وقَالَتْ لَكَ العُتْبى ودَعْنِيْ فَإِنَّنِيْ — مُدَلَّهَةٌ في رُؤْيَةِ المَاءِ والسَّجْلِ

* * * *

وهَيْفَاءَ تَبْدُوْ في جَلابِيْبِ مُدْنَفٍ — ولكنَّها كالذِّئْبِ في الغَدْرِ والخَتْلِ

غَرِيْبَةُ دَارٍ لَيْسَ بَيْنِيْ وبَيْنَهَا — وشَائِجُ تُدْنِيْنَا ولا أَصْلُهَا أَصْلِيْ

رَمَتْنِيْ بِسَهْمِ العَيْنِ وافْتَرَّ ثَغْرُهَا — ومَاسَتْ بِغُصْنِ البَانِ والغُنْجِ والدَّلِّ

رَأَتْ جِسْمِيَ الذَّاوِيْ فَهَبَّتْ تَقُوْدُنِيْ — لِتَسْقِيَنِيْ مِنْ مَنْهَلٍ آسِنٍ ضَحْلِ

وأَصْبَحْتُ كالمَأْسُوْرِ في مُلْكِ ظَالِمٍ — يَنُوْءُ بِثِقْلِ الأَسْرِ والمَكْرِ والغِلِّ

فَقَالَتْ: لَعَلَّ الحُبَّ أَضْنَاكَ يَا فَتَى — فقُلْتُ: أَجَلْ، بالحُبِّ أَسْمُوْ وأَسْتَعْلِيْ

أَنَا بِالغَوَانِيْ تَائِهُ العَقْلِ هَائِمٌ — ويُصْمِيْنَنِيْ بِالقَدِّ والأَعْيُنِ النُّجْلِ

يُدَاعِبُ قَلْبِيْ صَوْتُهُنَّ وَمَسْمَعِيْ — بِرِقَّةِ أَنْغَامٍ وبِالكَلِمِ السَّهْلِ

وَكُنْتُ إِذَا شَاهَدْتُ آلاً بِقِيْعَةٍ — حَثَثْتُ إِلَيْهِ الرَّكْبَ مِنْ شِدَّةِ الغُلِّ

* * * *

وَغَيْدَاءَ كَانَتْ بالجَمَالِ مُدِلَّةً — مِنَ البِيْضِ لَمْ تَعْرِفْ سِوَى العِطْرِ والكُحْلِ

تُظَلِّلُ بَدْرَ التَّمِّ رَابِعَ عَشْرَةٍ — إِذَا أَرْسَلَتْ لَيْلاً مِنَ الشَّعَرِ الجَثْلِ

سَقَتْنِيْ وعَلَّتْنِيْ رَحِيْقَاً مُعَتَّقَاً — مِنَ الحُبِّ أَغْنَانِيْ عَنِ الشُّرْبِ والأَكْلِ

عَلقْتُ بِهَا حَسْناءَ في مَيْعَةِ الصِّبَا ... فَهَامَتْ بِهَا رُوْحِيْ وَجُنَّ بِهَا عَقْلِيْ

وقَرَّرْتُ لُقْيَاهَا لَدَى كُلِّ مَسْرَحٍ ... ولا أرْعَوِيْ للنُّصْحِ واللَّوْمِ والعَذْلِ

تَشِحُّ بَمَسِّ الكَفِّ إنْ قُلْتُ مَرْحَباً ... فيَقْوَى رِبَاطُ الحُبِّ بالشُّحِّ والبُخْلِ

وأَصْبَحْتُ كالمَمْسُوْسِ أَهْذِيْ بِهَا ولا ... أُفَرِّقُ بَيْنَ التُّرْبِ والتِّبْرِ مِنْ خَبْلِيْ

صَبَوْتُ إِلَيْهَا مُطْمئنًّا فَصَوَّبَتْ ... إلى كَبدِيْ رُمْحاً فَغَاصَ إلى النَّصْلِ

ولَمَّا رَأَتْنِيْ غَارِقاً في مُحِيْطِهَا ... أُصَارِعُ أَمْوَاجاً وقَدْ أَيْقَنَتْ قَتْلِيْ

أَطَاعَتْ بِيَ الوَاشِيْ الحَسُوْدَ وشَذَّبَتْ ... شُجُوْناً منَ القُرْبَى تَفَرَّعْنَ مِنْ أَصْلِ

وَقَالَتْ: هِيَ الأَقْدَارُ والأَهْلُ فَكَّرُوا ... بِتَفْرِيْقِنَا لا بُوْرِكَتْ فِكْرَةُ الأَهْلِ

فَحَاوَلْتُ شَدَّ الحَبْلِ بَيْنِيْ وبَيْنَهَا ... ولكِنَّهَا في نَزْوَةٍ صَرَّمَتْ حَبْلِيْ

وَكُنْتُ أَرَى أَنِّيْ ظَفِرْتُ بِدُرَّةٍ ... ولكِنَّهَا كَانَتْ كَنَاقِضَةِ الغَزْلِ

ومَا عَشَمِيْ إلاَّ سَحَابَةٌ انْجَلَتْ ... عَنِ الرَّيْبِ والتَّسْوِيْفِ والوَعْدِ والمَطْلِ

* * * *

فَإِنْ عِشْتُ للذِّكْرَى وَفِيًّا بِحَقِّهَا ... فَكَمْ عَاشِقٍ هَيْمَانَ قَدْ عَاشَهَا قَبْلِيْ

ولكِنَّنِيْ في عِزَّةِ النَّفْسِ شَامِخٌ ... فلا هِمَّتِيْ تَرْضَى بِضَعْفٍ ولا ذُلِّ

ولا شِيْمَتِيْ تَنْدَاسُ في مَوْطِئِ الثَّرَى ... ولا سِيْرَتِيْ تَنْحَطُّ كالسَّاقِطِ النَّذْلِ

ولَوْ أَنَّ فَرْداً يَزْدَرِيْنِيْ فَإِنَّنِيْ ... أَرَاهُ صَغِيْرَ الحَجْمِ مِنْ زُمْرَةِ النَّمْلِ

وإِنْ كَانَ صَمْتِيْ نَابِعاً مِنْ سَجِيَّتِيْ ... فَلَسْتُ بِهَيَّابٍ مَهِيْنٍ ولا وَغْلِ

على ضَعْفِ جِسْمِيْ والْتِهَابِيْ وَلَوْعَتِيْ ... حَمَلْتُ هُمُوْمَ الدَّهْرِ حِمْلاً على حِمْلِ

تَرَسَّمْتُ دَرْباً في حَيَاتِيْ مُحَدَّداً ... بَعِيْداً عَنِ التَّهْوِيْلِ والزَّمْرِ والطَّبْلِ

نَشَأْتُ على حُبِّ المَكَارِمِ والعُلَى ... كَبَحْتُ لِذَاكَ النَّفْسَ بالكَبْلِ والقُفْلِ

سِهَامُ الدَّوَاهِيْ جَرَّحَتْنِيْ وأَجْهَزَتْ ... على جَسَدِيْ ماذا جَنَيْتُ وما فِعْلِيْ؟!

وعَادَتْ مِنَ الجِسْمِ النَّحِيْلِ رَوِيَّةً ... عَدِمْتَ يَداً يا صَانِعَ القَوْسِ والنَّبْلِ!

وإِنَّ عَزَائِيْ اليَوْمَ أَنِّيْ مُكَرَّمٌ ... وأَنَّ أُصَيْحَابِيْ ذَوُوْ القَدْرِ والنُّبْلِ

* * * *

ألا يا صَبَا فَيْفَا ويَا مَسْرَحَ الصِّبَا ... ذَكَرْتُكِ في بُعْدِيْ فَهَاجَ الهَوَى يَغْلِيْ

ذَكَرْتُ مَغَانِيْ اللَّهْوِ والزَّهْوِ والهَوَى ... ذَكَرْتُ مَبَانِيْ الأُنْسِ والوَجْدِ والعَدْلِ

ذَكَرْتُ شَبَابَ الحُبِّ والصِّدْقِ والوَفَا ... ذَكَرْتُ أَيَادِيْ الوُدِّ والجُوْدِ والبَذْلِ

ذَكَرْتُ بِلاداً قَدْ سَفَفْتُ تُرَابَهَا ... مَدِيْنٌ لَهَا بِالبِرِّ والعَطْفِ والفَضْلِ

مَرَاتِعَ آرَامٍ ومَلْهَى جَآذِرٍ ... ومُنْتَزَهَ الخِلاَّنِ في التَلِّ والسَّهْلِ

سَرَى عَبَقُ الوَادِيْ وما أَبْعَدَ السُّرَى! ... تَضَوَّعَت الأَزْهَارُ أَزْكَى مِنَ الفُلِّ

سَرَى يَقْطَعُ الأَمْيَالَ في حَلْكَةِ الدُّجَى ... يَحُثُّ رِكَابَ العِطْرِ بالعِطْرِ مِنْ أَجْلِيْ

شَمَمْتُ به عَرْفَ السَّمَاحَةِ والنَّدَى ... وخِلْتُ بِهِ مَزْجًا مِنَ الضِّغْنِ والتَّبْلِ

يُعِيْدُ لِيَ الذِّكْرَى الجَمِيْلَةَ بَعْدَمَا ... مَضَتْ حَيْثُ لاتُرْجَى،فَمَنْ لِيْ بها مَنْ لِيْ؟!

وقَدْ يُسْعِفُ المَاضِيْ بِمَا لا يَسُرُّنِيْ ... مِنَ الكَدْحِ والأَمْرَاضِ والفَقْرِ والجَهْلِ

ولكنَّهُ في بَعْــضِهِ العِلْــقُ مَــا لَــهُ مَثِيْلٌ سِوَى المُشْتَارِ مِنْ عَــسَلِ النَّحْــلِ

* * * * * * * *

سَلامِيْ على الأَحْبَابِ في المَوْطِنِ الذي رُؤَاهُ نَــدِيْمِيْ في رَحِيْلِــيْ وفي حِلِّــيْ

مَنارٌ سَــمَا بالعِزِّ والقَدْرِ لَــمْ تَــزَلْ سَــحَائِبُهُ بِــالقَطْرِ دَائِمَــةَ الهَطْــلِ

وأَزْكَــى تَحِيَّــاتِيْ إلى كُــلِّ ذَرَّةٍ وكُلِّ غُصَيْنٍ مِنْ نَدَى الطَّــلِّ مُخْــضَلِّ

تَحِيَّــاتِ مَلْهُــوْفٍ تَغَرَّبَ واكْتَوَى بِنَارِ النَّوَى، يَشْــدُوْ بِهَا عَــدَدَ الرَّمْــلِ



وداع الأمثل [١]

يا شعْرُ هَلْ لَكَ في وداعِ الأمْثَلِ ممَّنْ عَرَفْتَ مِنَ الرجالِ الكُمَّلِ
مِنْ إِخْوَةِ الدِّيْنِ الحَنِيْف ومَنْ لَهُ سِيْما الكرامِ مِنْ الرَّعِيْلِ الأَوَّلِ
فِيْهِ الدَّمَاثَةُ، لا تَفِيْهَا صَفْحَةٌ مِنْ نَوْرِ وَرْدٍ سُطِّرَتْ بالمَنْدَلِ؟
مَنْ ذا يُهَنْدِسُ عِقْدَ شِعْرٍ رائقٍ عَذْبِ الكلامِ مُضَمَّخٍ بالصَّنْدَلِ؟[٢]
أمْ مَنْ يَصُوغُ قلائداً مِنْ عَسْجَدٍ مُثْلَى تَلألأُ في نُحُوْرِ العُطَّلِ؟
ماذا أقولُ، وكُلُّ حَرْفٍ شارِدٌ؟ ما للقوافِيْ لم تَعُدْ تَنْقادُ لِيْ؟
يا صالحَ الأَعمالِ ظلُّكَ وارفٌ في معهديْ لكنَّهُ لم يَكْمُلِ
إنِّيْ- وربِّكَ مِنْ شُعُوْرِ جامحٍ مِنْ شاعرٍ- وَدَدْتُ أَنْ لم تُنْقَلِ[٣]
لكنْ غَبِطْتُكَ إذ لَحِقْتَ بماجدٍ نَدْبٍ تَرَعْرَعَ في غِياضِ الأَشْبُلِ
حانَ الوَدَاعُ، ويا لهُ مِنْ مَوْقِفٍ يَزْهُوْ جَمالاً بالوَفاءِ الأَجْمَلِ
حُزْنٌ لبَيْنٍ، أَمْ سعادةُ مَنْصِبٍ[٤] ثانٍ، وحَشْدٌ مِنْ سُرُورٍ سَلْسَلِ؟

---

[١] قيلت القصيدة– كما دوّن الشاعر على هامشها– "في وداع الأستاذ صالح الأحيدب، مدير الإدارة الهندسية بجامعة الإمام."

[٢] كانت الكلمة هاهنا في إحدى النسخ: "بالمندل"، وفي القافية السابقة: "بالصَّندل"، ثم وجدتُ الشاعر في نسخة أخرى قد بادل بين الكلمتين. فأثبتُّ تعديله ذاك.

[٣] حدث في تفعيلة البحر الكامل هاهنا الوَقْص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وهو زحاف ثقيل، حُكمه عند العَروضيين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه. وكان بإمكان الشاعر أن يقول مثلاً: "لوددتُ أنْ لم تُنقَل".

[٤] في إحدى النسخ: "حبورٌ بمنصبٍ"، وبهذه العبارة الوزنُ منكسر، وقد وجدتها في نسخةٍ أخرى معدّلة من قِبَل الشاعر، حسب المثبت هنا.

لله دَرُّكَ مِنْ مُحبٍّ مُخْلصٍ   جَمِّ التواضُعِ ماتحٍ مِنْ مَنْهَلِ

إنَّ العَزاءَ — ولا أقولُ تَمَلُّقاً —   فيمَنْ تَرَكْتَ وكُلُّ غَيْمٍ يَنْجَلِيْ

مِنْ هذه الأَرْضِ الحَبيْبَةِ جِذْرُهُمْ   والنّسْغُ مِنْ ماءِ المُعِمِّ المُخْولِ

مِنْ كُلِّ مَفْتُولِ الذِّراعِ مُدَرَّب   يَنْقَضُّ في العَمَلِ انْقضَاضَ الأَجْدَلِ

ما أَرْوَعَ الخلاَّنَ حيْنَ يَضُمُّهُمْ   دَرْبُ المَوَدَّةِ في الطَّرِيْقِ الأَعْدَلِ

مِنْكَ السَّمَاحُ فرُبَّ لَفْظ قَدْ أَتى   بَيْنَ الأَحبَّةِ مِثْلَ حَدِّ المنْجَلِ

لَكنَّهُ يَجْلُوْ القُلُوبَ ويَنْثَني   حُبًّا يُمازَجُ بالدُّمُوْعِ الهُمَّلِ

يا رَبِّ واجْعَلْ أنتَ نعْمَ المُرْتَجَى   دَرْبَ "الأُحَيْدب" كالبسَاطِ المُخْمَلِ

إنِّــي أُعيْــذُكَ أَنْ تَمَلَّ وِصالَــنا   أو تَسْتَكيْنَ مَعَ الجهازِ المُقْفَلِ

أو تَنْسَ[1] إخوانًا حَبَوْكَ بحُبِّهِمْ   يا ذا المُنَوِّرَ في سَــماءِ المَحْفلِ

هذا مكانُــكَ قــالهــا مَنْ قَبْلَنــا   "ما الحُــبُّ إلاّ للحَبِيْــبِ الأَوَّلِ"

---

[1] كذا، والصواب نحويًّا: "تنسى". ولو قال: "لا تنس"، لاستقام.

مواقف متوهجة

عَبَرَتْ كالكَوْكَبِ الــدُّريِّ في عُمْــقِ الظَّــلامْ
قَدُّها الأُمْلُــوْدُ يُغْــرِيْ كُــلَّ هَــاوٍ بالهُيَــامْ
وقفتْ تغزلُ للمشدوهِ مِــنْ عَــذبِ الكــلامْ
في عِتابٍ حــالمٍ كــالطَّيْفِ في أَحْلَــى مَنــامْ
أَخذتْ ترمُقني ما كنــتُ أدريْ مــا المــرامْ؟
ثمَّ قالتْ: هل تــرانيْ يــا فــتى دونَ المقــامْ؟!
أنتَ مَنْ أنتَ؟ لماذا صُمْتَ عــنْ رَدِّ الــسَّلامْ؟
فاعترتنيْ رعشــةُ المَقْــرُوْرِ مِنْ وَخْــزِ المــلامْ

قلتُ: حَسْبي يا نسيمَ الصُّبْحِ يا بَـــدْرَ التَّمَـــامْ
لا تَحُوكيْ مِنْ نسيجِ الظَّـــنِّ ثـــوْبَ المُـــستَهَامْ
واجفٌ مِنْ رَهْبةِ المَوْقفِ. مِنْ وَقْـــعِ الـــسِّهَامْ

* * * * *

قُمْتُ أَشْدُو وأُغَنّـــي بِهَـــوَى الظَّبْـــيِ الغَرِيْـــرِ
سَكَنَ اللَّيْلُ وظَبْيِيْ سِـــاكِنٌ أَقْـــصَى ضَـــمِيْرِي
في خياليْ في قُعُـــوديْ في قيَـــاميْ في مَـــسيري
ماثِـــلٌ في عُنْفُـــوانٍ تَـــاهَ بالحُـــسْنِ النَّـــضِيْرِ
أتمنَّـــى يـــا ضِـــياءً لاحَ كالبـــدرِ المُـــنِيرِ
أنَّ ليـــلاً ضَمَّـــنا تحـــتَ غِطـــاءٍ مِنْ حَرِيْـــرِ
وفراشٍ ذَهَـــبِيٍّ[١] يمتطِـــيْ أغـــلَى سَـــرِيْـــرِ

---

[١] كذا ضبطت بالجرّ كلمات "فراش" و"ذهبيّ" و"أريج"، وكأنها معطوفة على "غطاء"، وإن كانت "تحت" لا تنـــضاف معنًى إلى "فراشٍ ذهبيّ" هنا، بل "فوق"، ولو قال: "بين غطاء من حرير وفراشٍ ذهبي"، لصحت الدلالة.

وأريجٍ فـــاحَ مِنْ أردانِ خِلّـــِيْ بالعَـــبِـــيرِ
آهِ يا ممـــشوقةَ القَـــدِّ لقـــد كنـــتِ أمـــيري
ســـاعديني في همومـــيْ وجّهيـــنيْ وأشـــيري
وأفيضيْ مِنْ حنانيـــكِ علـــى قلـــبيْ الكَـــسيرِ

* * * * *

يا حياةَ الرُّوحِ إني لـــكِ قـــد أصـــفيتُ وُدِّي
فامنحينيْ حُبَّكِ المعـــسولَ شَـــهْداً أَيَّ شَـــهْدِ
وانْثُـــرِيْ في دَرْبِـــيَ الـــشَّائكِ وَرْدًا أَيَّ وَرْدِ
ما أُحَيْلَى مِنْ رَحِيْقِ الشَّهْدِ مِـــنْ ثَغْـــرٍ وخَـــدِّ
يا رشيقَ القَدِّ مـــا أحـــلاكَ مِـــنْ نَهْـــدٍ وقَـــدِّ
قَلْبُكَ الطَّاهرُ فيهِ الـــسَّكَنُ الـــدَّافيْ لوَجـــدي
فامدُديْ لي كَفَّكِ الحـــانيْ وشُـــدِّيْ ثمّ شُـــدِّي
رَدِّدي لي أغنياتِ الحُبِّ في نـــوميْ وسُـــهْدي
واجعليني فَـــرْدَ تفكـــيرِكِ في قـــربيْ وبُعـــدي
أنتِ للقَلْبِ مَناطٌ فاخلصِيْ لي الـــوُدَّ وَحْـــدي
ودَعِيْ عَنْكِ التَّمـــاديْ في الإبـــاءِ والتَّحـــدِّي

* * * * *

يا رَبِيْعِيْ يا غنائيْ يـــا نـــشيديْ يـــا مَلاكـــيْ
ليس لي في الكونِ محبـــوبٌ يُـــسَلِّيني سِـــواكِ
باتَ في قَلْبيْ وفي عـــينيْ وفي روحـــيْ هـــواكِ
عـــذِّبينيْ إنَّـــهُ يحلُـــوْ عـــذابيْ في رِضـــاكِ
سأكونُ حـــارسَ الأزهـــارِ في أبْهَـــى رُبـــاكِ[١]
وأكونُ طـــائرَ اليُـــمْنِ أُغَـــنِّيْ في سَـــــماكِ[٢]
إنَّ نورَ الفَجْرِ عنـــديْ مُـــسْتَمَدٌّ مِـــنْ سَـــناكِ
ونسيمَ الرَّوضِ ممـــزوجٌ بعِطْـــرٍ مِـــنْ شـــذاكِ
وتـــرانيمَ العـــصافيرِ بلَحْـــنٍ مِـــنْ غنـــاكِ
فامْدُديْ لي كَفَّكِ المخضوبَ لا تَخْشَيْ أبـــاكِ
عَاهِدِيْنِيْ بِالوَفَـــا والحُـــبِّ مَـــا دُمْـــتُ أراكِ

* * * * *

[١] حركة النون في كلمة "سأكونُ" مشبعة.

[٢] حركة النون في كلمة "وأكونُ" مشبعة.

يا أسيلَ الخَــدِّ يا أَحْلَى وأَغْلَى مِنْ عيــوني[١]
يا ضياءَ الشمسِ في الآفاقِ يا سِــحْرَ الجُفُــوْنِ
أيُّ فَنٍّ أنت يا مَــنْ ترتقــيْ فــوقَ الفُنُــوْنِ
ضَمَّنا ليــلُ الــسَّهارَى في هــدوءِ وسُــكونِ
فمدَدْتُ كَفِّــيَ المَلْهُــوفَ للكَــفِّ المَــصوْنِ
منعــتْ كَفِّــي بلُطْــفٍ وعتــابٍ وشُــجُونِ
نظرَتْ لِيْ بعُيُــوْنٍ جَمَعَــتْ كُــلَّ الظُّنُــوْنِ
قَطَّبَتْ ما بينَ جَفْنَيْها فــزادتْ مِــنْ جُنُــوْنِي
ثُمَّ لَمَّتْ شَعْرَها المَسدُولَ مِــنْ فَــوْقِ المُتُــوْنِ
يتهادَى فَوْقَ جِيْدٍ مُحْتَــلٍ مِــنْ كُــلِّ لَــوْنِ
جَمَعَــتْ كُــلَّ جَمــالٍ في دَلالٍ وفُتُــوْنِ

* * * * *

يا حبيبَ القَلْبِ، يا وقتِي، ويا يَوْمِــي وأَمْسِــي

---

[١] جَمَع "العينين" هنا لضرورة القافية، وجَرْيًا مع الاستعمال الدارج في العاميّة.

يــا أهـــازيجَ غِنـــاءٍ مُمْتِـــعٍ في يَـــوْمِ عُـــرْسِ
أنتِ يَنْبُوْعُ حياتي أنـــتِ ظِلِّـــي ثُـــمَّ شمـــسي
صافحينْ أتمنَّـــى مِنْـــكِ أَنْ أحظَـــى بلَمْـــسِ
ذَلِّلي نَفْسَكِ للحُـــبِّ ولا تَكْـــسِريْ نَفْـــسِي
اطْرُديْ عنِّي شقائيْ. اطْرُديْ حُـــزنيْ وتَعْـــسِي
فأنـــا مجنـــونُ ليْـــلَى وأنـــا عَـــنْتَرُ عَبْـــسِ
ازْرَعِيْ في قَلْبيَ المِخْصَابِ مِنْ أَجْمَـــلِ غَـــرْسِ
وَأَذِيْقِيْنِيْ شَرابَ الـــوُدِّ مِـــنْ أَطْهَـــرِ كَـــأْسِ
أَسمعينْ نَغَمـــاتِ الحُـــبِّ في أَلْطَـــفِ جَـــرْسِ
يجمُلُ الكَوْنُ بِكِ يا مُنْـــيَتِي يـــا كُـــلَّ حِـــسِّي

* * * * *

يا دليليْ في طريـــقِ التِّيْـــهِ يـــا سِـــرَّ نجـــاحي
يا سِراجيْ في ظلامِ اللَّيلِ يـــا نُـــوْرَ الـــصَّباحِ
يا نَسِيـــْميْ في رَبِيْـــعِ العُمْرِ يا نَوْرَ الأقاحـــي
يا رفيقيْ في دروبيْ، يا أنيســـيْ، يا ســـلاحي

يا طبيبيْ مِنْ لهيبِ الشَّوْقِ يا مُبْـــرِيْ جراحـــي
أنتِ دائـــيْ ودوائـــيْ في غُـــدُوِّيْ ورَوَاحِـــي
هل نَسِيْتِ ذكرياتِ الأمسِ في تلك الـــضَّواحي
في رُبَى الأشجارِ والأعـــشابِ والمـــاءِ القَـــراحِ
تَرْقُصُ الأزهارُ نَشْوَى في ابتـــهاجٍ وانـــشراحِ
هل نسيتِ عَبَقَ النـــرْجِسِ في كُـــلِّ النَّـــواحي
سأموتُ مِيْتَـــةَ العُـــشَّاقِ بالـــسِّحْرِ المُبـــاحِ[١]

* * * * *

دَقَّتِ الساعةُ فَجْـــراً أَعْلَنَـــتْ وقْـــتَ الفـــراقِ
في صَـــباحٍ غـــائمٍ يُنْـــذِرُني بُعْـــدَ التَّلاقـــي
كانَ لا بدَّ لنـــا مِـــنْ وَضْـــعِ حَـــدٍّ للـــشِّقاقِ
فقَهَرْتُ النَّفْسَ خَوْفاً مِـــنْ صَـــعاليكِ النِّفـــاقِ
دافعاً جِسْـــمِيْ ليَرْقَى سُلَّمـــاً صَعْـــبَ المَرَاقِي[٢]

---

[١] حركة التاء من كلمة "سأموتُ" مشبعة.

[٢] في الأصل: "المَراقِ".

رافِعاً رأسيْ عَزِيْزَ الـــنَّفْسِ مَـــشْدُوْدَ النِّطـــاقِ
حابسًا دَمْعَةَ حُـــزْن جَمَـــدَتْ بَـــيْنَ المـــآقي
حاملاً قلبيْ علـــى كَفِّـــيْ وهَمِّـــيْ واشـــتياقي
يا لَنَفْسِيْ حِيْنَ أَمْسَى ضَوْءَ بَـــدْرِيْ فِي مَحَـــاقِ
وزُلالُ الماءِ أَضْـــحَى فِي فَمِـــيْ مُـــرَّ المَـــذاقِ
ونَحِيْبِيْ فِي حَنايَـــا الـــصَّدْرِ يَعلُـــوْ للتَّراقِـــي
* * * * *
آهِ ما أَحْلَى أحاديثَ الهَـــوَى عِنْـــدَ الـــوَداعِ
كلماتُ الوَعْدِ بـــالإخلاصِ تُنْـــسِيْني مَتـــاعي
كُلَّما أَزْمَعْـــتُ نأيًـــا خِلْـــتُني غَيْـــرَ مُطـــاعِ
سابِحٌ فِي غَمَراتِ الحُـــبِّ مَنْـــصُوْبٌ شِـــراعي
أَمْزُجُ الدَّمْعَاتِ مِنْ عَيْني بِحِبْـــرٍ مِـــنْ يَراعِـــي
أَنْفُثُ الآهاتِ مِـــنْ قَلْـــبٍ جَـــرِيْحٍ مُتَـــداعِ
كُلَّما أَسْـــعَى إلى "مَيْسَـــا" كأني غَيْرُ ســـاعِ

عائدٌ مِــنْ بَعْــدِ حِــيْنٍ لا تخــافيْ لا تُراعــي
أنتِ سِرٌّ في حيــاتيْ في دَمِــيْ غَيْــرُ مُــذاعِ
فاذكريْ حُبِّي ولا تَنْــسَيْ غَرامــيْ والتيــاعي
وامْلَئِيْ الــدُّنيا دُعــاءً ليْ فأنــتِ خَيْــرُ داعِ

* * * * *

وقَفَتْ تَنْدُبُ حَظًّــا عــاثِرًا يَجْفُــوْ ويَقْــسُو
وتُناجِي نَفْسَها : بخْــتِيْ أنــا شُــؤْمٌ ونَحْــسُ
فمتى يا ربِّ يــأتينيْ الهَنَــا والفُلْــكُ يَرْسُــو
كيفَ أَحْظَى بطَبِيْبٍ لجِــراحِ القَلْــبِ يَأْسُــو
كُلُّ مَنْ حَوْلِي جَمــاداتٌ غِــلاظٌ لا تُحِــسُّ
لَــيسَ لِيْ مِــنْهُمْ جميعًــا إلاَّ[1] تَحْــرِيْشٌ ودَسُّ
وافتــراءاتٌ وظَــنٌّ واتِّهامــاتٌ وحَــدْسُ
حُبُّنــا أَطْهَــرُ حُــبٍّ ما بِــهِ مَــسٌّ ولَمْــسُ

[1] كان يمكن أن يستبدل بــ"إلاّ" هنا "غير"؛ لتجنّب الضرورة الوزنية في حذف ألف "إلاّ"، ليصبح: "غــير تحــريشٍ يُدسُّ".

قُلْتُ مَهْلاً، يا سَـــوادَ العَيْنِ، ما في الأَمْرِ بَـــأْسُ
كُـــلُّ شَـــيْءٍ في حيـــاةِ المَـــرْءِ تعلـــيمٌ ودَرْسُ
وانْثَنَـــتْ عائـــدةً توديعُهـــا دَمْـــعٌ وهَمْـــسُ

* * * * *

وأخـــيراً تَرَكَتْنِـــيْ لنَـــشيْجِيْ والنَّحيْـــبْ
للقـــاءِ لســـتُ أدريْ أ بَعيْـــدٌ أمْ قَرِيْـــبْ؟
وغُـــرابُ البَـــيْنِ مُخْتـــالٌ يُبـــاهيْ بالنَّعيْـــبْ
قُلتُ والأحشاءُ تكويْهـــا شَـــراراتُ اللَّهيْـــبْ
سَوْفَ تَمضيْ في أمانِ اللهِ يـــا أَغْلَـــى حَبيْـــبْ
لا تَدَعْنِيْ في خِضَمِّ البُـــؤْسِ عَنِّـــيْ لا تَغيْـــبْ[١]
عندما يَشْتَدُّ جرحِيْ مَنْ سيَدْعُوْ لِيْ الطَّبِيْـــبْ؟
وطبيبِيْ أنت – يا وَيلاهُ – ما هذا النَّـــصِيْبْ؟!
كيفَ أرضَى بحَكـــيمٍ غافـــلٍ لا يَسْـــتَجِيْبْ؟

---

[١] الصواب: "لا تغِبْ". ومع إمكانية القول بضرورة جائزة هنا، على سبيل إشباع كسرة الغين لتتولّد عنها ياء، فقـــد كان يمكن أن يكون البيت: "لا تَدَعْنِيْ في خِضَمِّ البُؤْسِ عَنِّيْ لا يَغِيْبْ"، أي البؤس، لتكون "لا" نافية لا ناهية.

صِرْتُ أَهْذِيْ شَــبَهَ المَعْتُوْه أُخْطِــيْ وأُصِيْــبْ

سَوْفَ لا تَتْــرُكُنِيْ "لا" إنَّ ظَنِّــيْ لا يَخِيْــبْ

* * * * *

هامَ قَلْــبِي وتَمــادَى في العُيُــوْنِ النَّاعِــسَاتِ

وأنا مِنْ صِغَرِيْ المَنظُــوْمُ[١] في سِــلْكِ الهُــواةِ

كُنْتُ أَحْيَا بالأَمانِيْ في سَــرابٍ مِــنْ حَيَــاتي

كرِمالِ البِيْدِ عَطْشَى مَعْ صَــبِيْبِ الــسَّارياتِ

ناسِجٌ مِنْ مَوْكِبِ الأَحــلامِ أَحْلَــى ذِكْرَيــاتِي

عــائِمٌ في لُجَّـــةٍ هَــدَّارةٍ والمَــوْجُ عَــاتِ

أَرْكَبُ الأَخْطَــارَ مَزْهُــوًّا بعَزْمِــي وثَبَــاتِي

سَــوْفَ أَحْيَا إنْ يَشَــاءُ[٢] اللّهُ أَحْيَا يا فَتــاتِي

---

[١] في الأصل "منظوم"، بالتنكير، والصواب ما أُثبت.

[٢] كذا، والصواب: "إنْ يشأ"، ولكن الوزن ينكسر. وكان يمكن أن يقول: "ما يشاء اللّهُ أحيا"، "إن أراد اللّهُ أحيــا". وقد ورد– على كل حال– عن العرب عدم جزم الفعل المضارع، في مثل قوله (عبد يغوث الحارثي):

وتضحكُ منّي شيخَةٌ عبشميَّةٌ كأنْ لم تَرَى قبلي أسيرًا يمانيا

والصواب: "لم تَرَ"، وإن وجّه هذا البيتَ بعضُ النحاة توجيهات غير مُقنِعة، أقربها أنها: ضرورة شعريّة. لكنها قــد تكون استعمالاً عربيًّا، وإن شَذّ عن القاعدة السائدة.

سَوْفَ أَحْيَــا لأَرَى نَفْــسِيْ وتَكْــوِيْنِيْ وذاتِي
فوُجُوْدِي بَيْنَ أَنْيَــابِ الــدَّواهِيْ الكالحَــاتِ
لا يُزِيْدُ العُمْرَ يومًــا "لا" ولا يُــدْنِي مَمَــاتِي
* * * * *
لا تُضِيْئِيْ يا شُــمُوْعَ اللَّيْــلِ إنِّــي في ظَــلامِ
أَنْفُثُ الأَنَّــاتِ مِنْ قَلْبٍ عَمِيْــقِ الجَــرْحِ دَامِ
أَمْسَــحُ الدَّمْعاتِ مِنْ عَيْنِيْ فتَجْرِيْ بانْسِــجامِ
أَحْبِسُ الآهاتِ فِي صَــدْرِيْ فيَــشْتَدُّ هُيَــامي
تاهَتِ الآمــالُ فِي مُــسْتَقْبَلٍ صَــعْبِ المَــرَامِ
مِثْلِ ماضي العُمْرِ خَــدَّاعٍ خَبِيْــثِ الابْتِــسَامِ
كُــلُّ آمــالِيْ تلاشَــتْ وتَــوارَتْ بالغَمَــامِ
وكَـــأَنِّيْ فِي حيـــاتِيْ عُرْضَـــةٌ للإنْتِقَـــامِ
وكَــأنَّ الحُــبَّ أَضْحــَى هَــدَفــاً للإتِّهَــامِ

قَدَرِيْ هذا وحَظِّـــيْ أَنَّـــنِي مَرْمَـــى الـــسِّهامِ
وسِهامُ الحُبِّ تُـــدْنِيْ المَـــرْءَ للمَـــوْتِ الـــزُّؤامِ

* * * * *

يا حَمَامَ الدَّوْحِ أَبْكـــانِيْ وأَشْـــجانِيْ الهَـــدِيْلْ
ما لِعَوْدِ الإلْـــفِ للـــدَّوْحِ ولا لِيْ مِـــنْ سَـــبِيْلْ
المآســـيْ وحَّـــدَتْنا كُلُّنـــا يَبْكـــيْ الخَلِيْـــلْ
كَفْكـــفِ الدَّمْعَ وعَـــزِّ النَّفْسَ بالصَّبْرِ الجَميْـــلْ
ليس يُجْدِيْ الحُزْنُ مَحْزُوْناً ولا يُجْدِيْ العَوِيْـــلْ
سَوْفَ يَفْنَى كُلُّ فَرْدٍ مِـــنْ بَـــدِينٍ أو نَحِيْـــلْ
وصحيحِ الجسمِ والعِمْـــلاقِ والجِـــسْمِ العَلِيْـــلْ
هـــذه الـــدُّنيا، فـــلا رَوْحٌ ولا ظِـــلٌّ ظَلِيْـــلْ
حَمَّلتْنا مِنْ تكاليفِ الهَـــوَى الحِمْـــلَ الثَّقِيْـــلْ
كَلَّفَتْنا مِنْ تبـــاريحِ الجَـــوَى الهَـــمَّ الطَّوِيـــلْ
يا حَمامَ الدَّوْحِ لا تَبْكِ فمـــا حَـــارَ الـــدَّلِيْلْ

* * * * *

رَحْمَةً بِيْ يا زَمـــانَ البُـــؤْسِ لا تَقْـــسُ عَلَيَّـــا
حَوِّلِ الإعصارَ عَنْ وَجْهِـــيَ إنْ كنـــتَ تَقيَّـــا
قَدَرِيْ المَشْؤُوْمُ أنْ أَشْقَى ومـــا كُنْـــتُ شَـــقيًّا
تَرَكَتْنِـــيْ عِـــزَّةُ الأَحْـــرارِ شَـــمَّاخًا أَبِيَّـــا
لو ترَى قَلْبِيْ مِـــنَ الآهـــاتِ أَبْـــصَرْتَ دَمِيَّـــا
أو ترَى قَلْبِيْ مِـــنَ الأحقـــادِ أبْـــصَرْتَ نَقيَّـــا
كُلَّما بِيْ في شَـــغافِ القَلْـــبِ مـــا زالَ خَفِيَّـــا
وسَأَبْقَى حافظًا سِرَّ الهَوَى مـــا دُمْـــتُ حَيَّـــا
لم أكُـــنْ يومًـــا مِـــنَ الأيـــامِ كَـــذَّابًا فَرِيَّـــا
سأظلُّ عُمْـــرِيَ المحـــزونَ للـــذِّكْرَى وَفِيَّـــا[١]
وســـأبقَى رَوْضَـــةً للحُـــبِّ مِخْـــضالاً نَـــدِيًّا

* * * * *

آهِ يا دُنيا اسْمَعِيْ شِعْرِيْ إذا أَغْنَـــى القَـــرِيْضْ
اسْمَعِيْ مِنْ خافِقِيْ المُضْنَى و مِنْ قَلْبِيْ المَرِيْـــضْ

[١] حركة اللام من كلمة "سأظلّ" مشبعة.

مِنْ بقايا فِي خَيالِيْ مِنْ رُؤَى الطَّرْفِ الغَــضِيْضْ
نَبَرَات باهتاتِ الــصَّوْتِ بــالهَمْسِ الخَفِــيْضْ
صورةُ الماضيْ تَــراءَى لِيْ بماضِــيْها المَهِــيْضْ
تَرْسُمُ الأَشْبَاحَ فِي فِكْرِيْ بِــدَمْعٍ مــا يَغِــيْضْ
أيُّ دُنيا أنتِ إنَّ البَحْــرَ قَــدْ كــادَ يَفِــيْضْ
تَخفضينَ جَبْهَةَ العملاقِ ذِيْ المَجْدِ العَــرِيْضْ[1]
ثُمَّ يَعْلُوْ كُلُّ وَغْــدٍ كُفْــؤُهُ دُنيــا الحَــضِيْضْ
ومِنَ الأضدادِ ما يُــشْجِيْ ويَــدْعُو للجَــرِيْضْ
عَجَبًا ما هذهِ الدُّنيا ومــا هــذا النَّقِــيْضْ ؟!

* * * * *

وغَزَا الشَّيبُ سَوادَ الــرَّأْسِ يَنْعَــيْ لِيْ شَــبابي
ناصِحًا لِيْ بعدَ هذا العُمْرِ أنْ أَطْــوِيْ كتــابي
وكتابِيْ صَــفَحَاتٌ فيــه أصــنافُ العَــذابِ
وصروفُ الدَّهْــرِ فيهِ سُــطِّرتْ فِي كُلِّ بــابِ

[1] حركة النون في كلمة "تخفضينَ" مشبعة.

فيهِ صِـــدْقٌ وصَــفاءٌ وبَرِيْـــقٌ مِـــنْ سَـــرابِ
فيهِ أَفْراحِـــيْ وأَتْراحِـــيْ وحُـــزْنِيْ واكْتئِـــابِي
فيـــهِ آلامِـــيْ وآمـــالِيْ وعَزْمِـــيْ واضْـــطِرابِي
فيـــهِ إعـــلانِيْ وسِـــرِّيْ ويَقِيْنِـــي وارْتِيَـــابِيْ
فيهِ أفكاريْ اللَّواتِيْ حَلَّقَـــتْ فَـــوْقَ الـــسَّحَابِ
كَيْفَ أَطْوِيْهِ وهَـــلْ فِي طَيِّـــهِ أَلْقَـــى ثَـــوابِي؟!
إنني المسئولُ عَمَّـــا فيـــهِ فِي يَـــوْمِ الحِـــسابِ

* * * * *

بَدَأَتْ تَـــسْقُطُ فِي الأَرْجَـــاءِ أَوْرَاقُ الخَرِيْـــفْ
وتَوَارَتْ رَوْعَةُ النَّضْرَةِ فِي الـــوَادِيْ الرَّفِيْـــفْ
وذَوَى الغُصْنُ وماتَ العُشْبُ والظِّلُّ الوَرِيْـــفْ
واخْتَفَى الطَّلُّ وجَفَّ النَّهْـــرُ أَفْنَـــاهُ النَّزِيْـــفْ
وفَحِيْـــحٌ مِنْ هُبُوْبِ الرِّيْـــحِ يَغْتَـــالُ الحَفِيْـــفْ

وصَـــدَى بُـــوْمٍ وغِـــيْلانٍ وأَشْـــباحٌ تُخِيْـــفْ
هَمْهَمَاتٌ أَحْدَثَتْ في قَلْبِيَ القاســـيْ الوَجِيْـــفْ
فاستحالَتْ ذِكْرَياتُ الأَمْسِ كالطَّيْفِ الطَّرِيْـــفْ
وبقايا الحُبِّ صارتْ غَيْمَـــةً في يـــومِ صَـــيْفْ
وغِنَاءُ البُلْبُـــلِ النَّـــاعِمِ في الـــدَّوحِ الكَثِيْـــفْ
كنَعِيْقٍ مِنْ غُرَابٍ صَـــاحَ بالـــصَّوْتِ العَنِيْـــفْ

* * * * *

يا شَـــبابًا تـــاهَ بالتَّطْيَـــابِ والـــزِّيِّ البَهِـــيْجْ
أَيْنَ هذاكَ الرُّوَاءُ الغَـــضُّ بـــلْ أَيْـــنَ الأَرِيْـــجْ؟
مَرْكَبِي يَسْعَى إلى الغَيْبِ كما يَسْعَى الحَجِـــيْجْ
الغناءُ العَذْبُ أَضْـــحَى حَـــشرَجَاتٍ ونَـــشِيْجْ
وهُدُوْئِيْ وسُكُوْنِيْ أَصْـــبَحَا مِثْـــلَ الـــضَّجِيْجْ
والمُحِيْطُ الشَّاسِـــعُ المَجْهُوْلُ عِنْدِيْ كالخَلِيْـــجْ

وسَـــمُومُ الهُـــوْجِ تَـــشْوِيْنِيْ فَأَلْتَـــذُّ الـــوَهِيْجْ
أَخَذَ القَدُّ النَّـــضِيْرُ الأَهْيَـــفُ الزَّاهِـــيْ يَهِـــيْجْ
يا مَلاذيْ لا تَـــدَعْ عَبْـــدَكَ فِي أَمْـــرٍ مَـــرِيْجْ
يَـــوْمَ لا يَـــنْفَعُني مـــالٌ ولا يُغْنِـــيْ الوَشِـــيْجْ
لا تُرِيْنِيْ عَمَلِي ــ رَبِّي ــ كمَوْلُـــوْدٍ خَـــدِيجْ[١]

* * * * *

يا مَـــسَاءً مُعْتِمًـــا يَجْتَـــاحُنِيْ فِيْـــهِ الأَنِـــيْنْ
أَرْقُبُ الأَنْجُـــمَ بالمِرْصَـــادِ شَـــأْنَ الـــسَّاهِرِيْنْ
أَكْتُبُ التَّشْبِيْبَ بِـــالمَقْلُوْبِ فِعْـــلَ العَاشِـــقِيْنْ
أَحْسبُ الـــسَّاعاتِ والأَيَّـــامَ فِيْـــهِ والـــسِّنِيْنْ
أَقْطُفُ الـــوَرْدَ خَيَـــالاتٍ وأَسْـــقِيْ اليَاسَـــمِيْنْ
يا مَسَـــاءً واجِمـــاً حَيْرَانَ مَشْـــدُوْهًا حَزِيْـــنْ

---

[١] الصواب: "لا تُرِنِي". وراجع الحاشية السابقة.

أَزْهرَتْ فِيْهِ بأفكاريْ شَمَارِيخُ اليَقِيْنْ

ويَقِيْنِيْ فِي ضَمِيْرِ الغَيْبِ آتٍ بَعْدَ حِيْنْ

يالَضَعْفِيْ إنَّنِي المَخْلُوْقُ مِنْ مَاءٍ مَهِيْنْ!

أَنْزَوِيْ وَحْدِيْ تُغَذِّيْنِيْ تَبَارِيْحُ الرَّهِيْنْ

مِثْلَ مَأْسُوْرٍ سَجِيْنٍ ، رُبَّ مَظْلُوْمٍ سَجِيْنْ



بريشة الحُبّ

بِرِيْشَةِ الحُـــبِّ أَرْسُـــمْ حَبَّاتِ عِقْــدٍ مُــنَظَّمْ
يَزْهُوْ بِهِ جِيْــدُ أُنْثَـــى حَسْناءَ ثَغْرًا ومَبْــسَمْ
حُوْرِيَّةٍ مِـــنْ بِـــلادي عَرِيْقَةِ الخَـــالِ والعَـــمْ

* * *

يا بَهْجَةَ النَّفْسِ رِفْقًـــا رِفْقًا بِجِـــسْمٍ مُهَـــدَّمْ
يا نَهْدَها يـــا عَنِيْـــدًا يكـــــادُ أَنْ يَـــتَكَلَّمْ
يَضِجُّ في الصَّدْرِ حُمْقًا يَتُوْقُ لِلْمَـــسِّ والفَـــمْ
ويَدْفَعُ الثَّـــوْبَ دَفْعًـــا يُريـــــدُ أَنْ يَتَنَـــــسَّمْ
يا وَجْهَها يا شُـــعاعًا لأَعْذَبِ الشِّعْرِ مُلْهِـــمْ[١]
يا لَيْتَها- في حَـــلالٍ- تُتاحُ لِلـــضَّمِّ والـــشَّمْ
أُعِيْــــذُها بِمَعَـــــاذٍ أَنْ تَرْتَمِيْ في الْمُحَـــرَّمْ

---

[١] وقع في قافية البيت ما يسمِّيه دارسو القوافي: (سناد التوجيه)، وهو اختلاف حركة ما قبل الرويّ المقيّد.

أو يَحْتَوِيْهـــا مُحِــيْطٌ يَعُجُّ بـــالخِزْيِ والـــذَّمْ

* * * * * *

لقَدْ تَرَكْت بجِــسْمِيْ - يا بِنْت- قَلْبًا مُحَطَّمْ

يا رَوْعَةَ الحُسْنِ إنِّــيْ مُضْنًى بذا الحُسْنِ مُغْرَمْ

أَتِيْهُ فِيْــهِ، وأَشْــقَى، بالرُّوْحِ والعَظْمِ والـــدَّمْ

أَهْفُو لــرِمْشٍ يُحَيِّــيْ وغَمْزِ عَــيْنٍ تُــسَلِّمْ[١]

فــإِنْ تَعَالَيْـــتِ عَنِّــيْ أَلُـــوْمُ قَلْبِـــيْ وأَنْـــدَمْ

لأَنَّـــهُ خَـــابَ ظَنًّـــا وباءَ بـــالحُزْنِ والهَـــمْ

* * * * * *

يا مَنْ تُرِيدُونَ عَــذْلِيْ ما عُدْتُ بالعَذْلِ أَهْتَمْ

لا تَعْـــذُلُوْنِيْ فـــإِنِّي أَصَمٌّ فِي الحُبِّ أَبْكَـــمْ

هَلْ تُدْرِكُوْنَ عَـــذابِيْ وما بِفِكْرِيْ مِنَ الغَمْ؟!

---

[١] وقع في قافية هذا البيت (سناد توجيه) أيضًا، (راجع الحاشية السابقة).

أَبِيْــتُ لَيْلِــيْ عَلِــيْلاً   كَــأَنَّ بِيْ أُمُّ مِلْــدَمْ[١]
كــأنَّ جَمْــرًا لَهِيْبًــا   بَيْنَ الجَــوانِحِ مُــضْرَمْ
مِنْ مَشْهَدٍ نُصْبَ عَيْنِيْ   أَهَــاجَ قَلْبِــيْ المُتَــيَّمْ
فَــنَغَّمَ الــشِّعْرَ لَحْنًــا   وقَــالَ هَيَّــا تَــرَنَّمْ
وإنْ تَكَلَّمْتَ هُجْــرًا-   مِنَ التَّبارِيْحِ- يُحْــرَمْ
فالعَفْوُ ، يا رَبّ ، عَنِّي   فالصَّــبُّ لا بُدَّ يَأْثَــمْ

✐✐✐

[١] أُمُّ مِلْدَم: الحُمَّى.

حروفٌ من صفحات الماضي[١]

شاعِرٌ مِـــنْ بَـــنِي الحَكَـــمْ   يَحْتَسِي الهَـــمَّ والأَلَـــمْ
يَجْـــرَعُ المُـــرَّ كُلَّمـــا   أَظْلَمَ اللَّيْـــلُ وادْلَهَـــمْ[٢]
في شـــــرايينِه الأَسَـــــى   والتَّبـــارِيْحُ والـــسَّقَمْ
كُلَّـــمـــا رامَ سَـــلْـــوَةً   زَمْجَرَ الفِكْرُ واضْطَـــرَمْ

[١] هناك ثلاث نسخ من هذه القصيدة، نسخة مطبوعة، سنرمز لها بـــ(أ)، وصورة منها قد أجرى عليها الشاعر بقلمـــه تعديلات وإضافات، سنرمز لها بـــ(ب)، ثم نسخة مخطوطة بقلمه تمثّل إعادة صياغية للقصيدة وفق التعديلات علـــى النسخة (ب)، وسنرمز لها بـــ(ج). وهذه الأخيرة هي المعتمدة هنا. وكان من حقّ الشاعر أن نُضرب صفحًا عمّا قام هو بشطبه أو تعديله، لولا أن الإشارة إلى بعضه لا تخلو من فائدة في تحليل بنية النصّ التكوينيّة، وتطـــوّر رؤيـــة الشاعر؛ ولا سيما أن بعض التغييرات على النسخة القديمة لم تخل من نقلات في الدلالة، يمكن أن تُلمـــح وراءهـــا أسباب ذاتية أو اجتماعية، وإنْ بدا النصّ أحيانًا بحالته الأولى أقرب صدقًا واتّساقًا.

[٢] بعد هذا البيت في النسخة أ: البيت القائل: **وجهه ذابلٌ بدا   في تجاعيده الهَرَمْ**
وهو البيت الذي نقله الشاعر إلى موضع لاحق من القصيدة، حيث الحديث عن ذلك الشيخ الذي قابله في السوق.

مَــــلَّ طُغيـــانَ لَيْلِـــهِ ــــ فـــإذا يَوْمُـــهُ أَحَـــمْ

****** ******

فِي مـــــساءٍ مُغلَّـــــفٍ ــــ أَضْرَبَ النَّجْمُ واعْتَــصَمْ

والَمدَى ضَــاقَ في الفَــضَا ــــ واسْتَوَى التَّلُّ والعَلَــمْ[١]

وأنـــا ســـاهِرٌ علـــى ــــ دَفْتَرِ الــشِّعْرِ والحِكَــمْ

داهَمَـــتْنِيْ خَـــواطِرٌ ــــ مِنْ رُبَى مَوْطِنِيْ الأَشَـمْ

هالَـــةٌ مـــنْ مَـــشاهِدٍ ــــ زادَ في وهْجِها الــسَّأَمْ

رِحْلَـــةٌ في عَواصِـــفٍ ــــ كالكَوابِيْسِ لَيْــلَ غَــمْ

قُــمْ وسَــجِّلْ طَرائِفـيْ ــــ يــا يَراعِــيْ ولا تَــنَمْ

مِــنْ تبــاريحِ حِقْبَــةٍ ــــ هِيَ فِي حاضِرِيْ حُلُــمْ

****** ******

---

١ في أ: "قِمّةٌ زاحمتْ عَلَمْ".

مَرَّةً قادَني أخيْ　　　مثْلَ "جَدْيٍ" مِنَ الغَنَمْ

عِنْدَ شَخْصٍ "مُقَطِّبٍ"　　　مُرْهِبٍ مُرْعِبٍ حُطَمْ[1]

قال : هذا الفَتَى أخيْ　　　جاءَكُمْ يَطْلُبُ العلِمْ[2]

لَكَ يا شَيْخُ لَحْمُهُ　　　خالِصاً ولنا العَظُمْ

قُلْتُ: "يا أَنْتَ"، قال لِيْ:　　　أُدْعُني، يا خَبِيْثُ: "عَمْ"

هَلْ تَرَى هذه العَصَا؟　　　قُلْتُ: "هذي؟.. نَعَمْ نَعَمْ"

أَنْتَ يا شيخُ قُدْوَتي　　　يا أبا الجُوْدِ والكَرَمْ

رُمْتُ تَلْطِيْفَ جَوِّهِ　　　فإذا الجَوُّ مُحْتَدِمْ

لم يَكُنْ يَعْرِفُ الرِّضَا　　　لا ، ولا كان يَبْتَسِمْ[3]

---

[1] في أ: **عند شخصٍ مُكَرْبَسٍ　　　شكلُهُ يُشْبِهُ الصَّنَمْ**

[2] "العِلْم": حُرّكتْ اللام لضرورة حركة التوجيه في القافية. وكذا في القوافي الشبيهة من القصيدة. على أن في القافية هذه وغيرها من قوافي القصيدة ما يسمّى (سناد التوجيه)، وهو تغيير حركة ما قبل الرويّ المُقَيَّد، من الفتح إلى الكسر أو إلى الضمّ.

[3] بعد هذا البيت في أ: **عابِسًا متَغَطْرِسًا　　　نافِشًا رِيْشَ مُنْتَقِمْ**

قالَ: "قلْ: ألْف"، قلتُ: "ألـْ ... فا–فَ–فا–" قال لي:"انكَتِمْ"[١]

كيــفَ أَتْقَنْــتَ يــا فَتَــى ... مَنْطِــقَ البُــوْمِ والــرَّخَمْ؟!

قفْ! فمِــنْ هــذه العَــصَا ... تَلْعَــقُ الــسُّمَّ بــا لدَّسَــمْ

مــنْ شَــماحِيْط شَــوْحَط ... تَكْــسِرُ الكِبْــرَ والــشَّمَمْ

قُــمْ و(بَــسْمِلْ) تَبَرُّكــاً ... واقْرَأ (الحَمْــدَ) يــا "بَجَــمْ"

وانْتَــصِبْ لِيْ تَأدُّبَــاً ... مثْلَمــا تَفْعَــلُ العَجَــمْ

وانْتَهَــى الــدَّرْسُ وانْبَــرَى ... طالِــبٌ يُــتْقِنُ الــنَّغَمْ

رافِعــاً صَــوْتَ ضَــارِعٍ ... قاصِــداً بــارِئَ الأُمَــمْ

يَغْفِــرُ اللهُ للــذي ... عَلَّــمَ الحَــرْفَ والكَلِــمْ

ثمَّ رُحْنــا وهَمُّنــا ... في الغَــدِ الــضَّرْبُ والــشَّتِمْ

****** ******

---

[١] يحكي بهذه المقاطع ما قاله، عاجزًا عن التّهجّي.

كان ذا الـــرَّأيُ يَـــوْمَ أَنْ   كُنْتُ صِفْراً مِنَ الفَهـــمْ[1]
وأنـــــا اليَـــــوْمَ لائـــــذٌ   بكَ يا خَيْـــرَ مُعْتَـــصَمْ
يـــــا رَجـــائي ومَلْجَئِـــي   أَنْتَ يا بـــارئَ النَّـــسَمْ
أَنْ تُجَـــازِيْ مُعَلِّمِـــــيْ   جَنَّةَ الحُـــوْرِ والـــنِّعَمْ

****** ******

يـــا كَتاتِيْـــبَ دِيْـــرَتِيْ   يا سَنَى اللَّـــوْحِ والقَلَـــمْ
يـــــا دَواةً مَزَجْتُهـــــــا   مِنْ دُمُوْعٍ جَـــرَتْ بِـــدَمْ
شـــاخَ لَـــوْحِيْ وصَـــدْرُهُ   ضَاقَ بالمَـــسْحِ والحُمَـــمْ
وامَّحَى مِنْـــهُ "مَعْـــشَرِيْ"   كُلُّهُ ما عَـــدَا "بِـــسِمْ"[2]

****** ******

[1] هذا المقطع، المكوّن من أربعة أبيات– والمعبّر عن رأي الشاعر الجديد في معلّمه القديم– أضافه الشاعر في النسخة ج من القصيدة.

[2] "المَعْشَر": في لهجة فَيْفاء، الدرس الواجب حفظه على التلميذ. وأصله: أن التلميذ يكلَّف بحفظ القرآن الكريم مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشْرَ آياتٍ عَشْرَ آيات، أو عَشْرَةَ أسطرٍ عَشْرَةَ أسطر؛ كلّما حَفِظ ذلك، كان "مَعْشَرُهُ" حِفْظَ مثله ممّـــا يليه. وقد جاء في (ابن منظور، لسان العرب، (عشر)): "جاء القومُ عُشَارَ عُشَارَ، ومَعْشَرَ مَعْشَرَ. و عُشار، ومَعْشَر، أي: عشَرَةً عشَرَةً، كما تقولُ: أُحادَ أُحادَ، وثُناءَ ثُناءَ، ومَثْنَى مَثْنَى."

يــــا عَـــــصَاةَ مُعَلِّـــــمٍ   وَقْعُهـــا يُقْعِـــدُ الهِمَـــمْ[١]
تَـــزْرَعُ الرُّعْـــبَ والغَبَـــا   تَكْتُمُ الهَمْـــسَ والنَّـــسَمْ
كَمْ تَمـــادَتْ بـــأَخْمَصٍ   كَمْ تَمَادَتْ علـــى قَـــدَمْ
يُلْهِـــبُ الجِلْـــدَ لَـــسْعُها   وَخزْهـــا يَنْقُـــرُ العَظُـــمْ
لَوْ هَوَتْ فَـــوْقَ صَـــخْرَةٍ   صُلْبَةٍ أَصْـــبَحَتْ عَـــدَمْ
أو شَوَتْ ظَهْـــرَ ضَـــيْغَمٍ   صارَ كالفَأْرِ في الأَجَـــمْ
أو عَلَـــتْ مَـــتْنَ فـــارِسٍ   شـــــامِخٍ مِنْ بَنِيْ إِرَمْ
لاعْتَلَـــى كُـــلَّ رَبْـــوَةٍ   يُحْرِقُ النَّبْـــعَ والنَّـــشَمْ

******   ******

مِـــنْ بَقايـــا خَزَنْتُهـــا   في دِماغِيْ مِـــنَ القِـــدَمْ
لم تَـــزَلْ فـــي جَوانحـــيْ   مـــاثِـــلاتٍ ولَمْ تَـــرِمْ

---

[١] في اللهجة الفيفيّة يقولون: "عستاةْ"، و"أخذت عستاتي"، أي "عصاة" و"عصاتي". وقد ذكر (الأزهري، أبو منصور، (١٩٦٤)، تهذيب اللغة، تح. عبدالسلام محمد هارون وآخرين (مصر: ؟)، (عصا)): أنه "يقال للعصا: عصاة بالهـــاء [كذا]. يقال أخذت عصاته، ومنهم من كره هذه اللغة"، وروى عن الأصمعي أنه قال: "لايجوز مـــدّ العـــصا ولا إدخال التاء معها، قال وأول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء."

مَنْظَـــرُ الـــسُّوْق غُـــدْوَةً   هائجًـــا مائجًـــا عَـــرِمْ
مِثْـــلَ نَمْـــلٍ مُكَـــدَّسٍ   أُمَّـــةٌ فَوْقَهَـــا أُمَـــمْ
تَمْتَـــماتٌ وضَـــجَّـــةٌ   صَوْتُها يُسْـــمِعُ الأَصَـــمْ
قُلتُ يـــا ضَـــيْعَتِيْ أنـــا   وَسْطَ ذا الهَادِرِ الخِـــضَمْ

****** ******

في نَهـــــارٍ مُعَرْبِـــــدٍ   وَقْدَةُ الشَّمْسِ كالـــضَّرَمْ
رُمْـــتُ شَـــيْخًا مُحَطَّمًـــا   عِقْدَ تِسْعِيْنَ قَـــدْ نَظَـــمْ[١]
وجْهُـــــهُ ذابِـــــلٌ بَـــــدَا   في تَجاعِيْـــــدِهِ الهَـــــرَمْ
حـــــاملاً هَـــــمَّ دَهْـــــرِهِ   مُطْرِقًا ســـاهِمًا وَجِـــمْ
قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ؟ قالَ: مِـــنْ   دِيْـــرَةِ الجَـــوْرِ والظُّلُـــمْ
دِيْـــرَةٍ فِـــي رُبُـــوْعِـــها   عَشْـــعَشَ العُسْرُ واعْتَرَمْ

---

[١] هذا البيت مع الأبيات الخمسة بعده لم تكن موجودة في النسخة (أ) من القصيدة، حيث كانت الحكايـــة المـــسرودة هنا– عن تجربة ذلك الشيخ في السوق– مسوقةً هناك بضمير المتكلّم، منسوبة إلى الشاعر نفسه، إلا أنه ارتـــضى في نسخة قصيدته الأخيرة هذه التنصّل منها، وحَوْكها حول شخصية الشيخ الهَرِم. ومن الواضح أن الشاعر أراد أن يمنح الصورة بُعْدًا إنسانيًّا إضافيًّا عن طريق نسبة حكايته إلى ذلك الشيخ التسعيني، إلا أن هذا قد أخلّ لديه بنسق الحكاية، من حيث العلاقة بين شخصيتيها: البطل (الشاعر)، والشيخ.

فَقْرُهــا قَــضَّ مَــضْجَعِي ... ذُقْتُ في حُضْنِها العَــدَمْ

جِئْتُ أُزْجِــيْ بِضــَاعَتِيْ ... (فَرْقَــدًا)[1] شَــحْمُهُ وَرَمْ

نــافِجَ الكَــرْشِ إنَّمــا ... كانَ عَظْمًا على وَضَــمْ

كُلَّمــا حــامَ حَوْلَــهُ ... مُشْتَرٍ لم يَقُلْ: "بِكَــمْ؟"

جِلْــدُهُ مِثْــلُ مَــشْتَلٍ ... يَــزَرَعُ القَمْــلَ والحَلَــمْ

كُلَّمــا حَــكَّ جِــسْمَهُ ... قُلْتُ: يا لَيْتَــهُ "أَطَــمْ"![2]

كَيْفَ يَنْحَــكُّ؟ مَــا دَرَى ... (فَرْقَدِيْ) أَنَّــهُ أَجَــمْ؟!

****** ******

فجــأةً جــاءَنِيْ امْــرُؤٌ ... لم يُبَــايِعْ و لم يَــسُمْ

طافَ حَــوْلِيْ ، وعَيْنُــهُ ... تَرْمُقُ (الجَدْيَ) كالــسَّهمْ

قُلْــتُ: لا بُــدَّ ســارِقٌ ... ناقِصُ الــدِّيْنِ والــشِّيَمْ

يَسْــرِقُ الحُــبَّ والهَــوَى ... والتَّــسابِيْــحَ والقِيَــمْ

---

[1] الفَرْقَد: الجدْي، إذا بَلَغَ ستةَ أشهر تقريبًا.

[2] أطَم: أي أشَدّ؛ صيغة (أفعل تفضيل) من "طَمَّ، يَطُمُّ".

صِحْتُ "يا نـــاسُ، أَقْبِلُـــوا   دُوْنَكُمْ سارِقُ الـــبَهَمْ!"[١]

******   ******

أَقْـــسَمَ اللِّـــصُّ أَنَّـــهُ   لابِـــسٌ ثَـــوْبَ مُحْتَـــرَمْ

فَـــاعْتَرَتْني كَآبَـــةٌ   واسْـــتَبَدَّ بِيَ الـــوَكَمْ[٢]

بَيْنَمـــا كُنْـــتُ غارِقـــاً   في جَحِـــيْمٍ مِـــنَ النَّـــدَمْ

وإذا الثَّـــوْبُ عَـــارَةٌ   هَلْ تُرَى بَرَّ بالقَـــسَمْ؟![٣]

******   ******

أَقْبَـــلَ اللَّيْـــلُ قاتِمـــاً   مُرْسِـــلاً حالِكَ الظُّـــلَمْ

فَـــانْثَنَى الـــشَّيْخُ قـــافِلاً   يَخْبِطُ الرَّمْـــلَ بالرَّضَـــمْ[٤]

راحَ والجَـــدْيُ كَرْشُـــهُ   مِثْلُ دَلْـــوٍ مِـــنَ الأَدَمْ[٥]

---

[١] في أ: **سارقٌ جاء من أمم**.

[٢] الوَكَم: الحُزْن. (عَلَّقَ الشاعرُ). ويلزم إشباع حركة الدال في كلمة "استبدَّ" ليتّسق الوزن.

[٣] في أ: **وهو قد برّ بالقَسَمْ**

[٤] في أ: **فانطلقتُ بخَيْبَتي أخبطُ الرَّمْلَ والرَّضَمْ**. وفي ب: **فانثنى القَحْمُ** ...

[٥] في أ: رحتُ.

قـــالَ، والجَدْيُ لاهِـــثٌ: "ثِبْ" هُنا لَحْظَةً وقُـــمْ[١]

---

[١] ثِبْ: أي استرح. وهي لهجة حِمْيَرِيَّة قديمة، فقد جاء في (ابن السكّيت (-٢٤٤هـ)، (١٩٧٠)، إصلاح المنطق، تح. أحمد محمّد شاكر وعبدالسلام محمّد هارون (القاهرة: دار المعارف بمصر)، ١٦٢): "قال الأصمعي: دخل رجلٌ من العرب على ملك من ملوك حِمْيَر، فقال له: ثِبْ- وثِبْ بالحميريّة: اقْعد- فوَثَبَ الرجل فتكسّر، فقال الحميري: ليس عندنا عربيت، من دخل ظفار حمّر، قال الأصمعي: حمّر، تكلّم بكلام حمير". ونسب (ابن فارس (-٣٩٥هـ)، (١٩٩٣)، الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح. عمر فاروق الطبّاع (بيروت: مكتبة المعارف)، ٥٤) القصة إلى زيد بن عبدالله بن دارم، وأضاف أن الملك كان على جبل مشرف، فلمّا قال: "ثِبْ"، قال زيدٌ: "لتجدني أيها الملك مطواعًا"، ووَثَبَ من الجبل. ولعلّ الحكاية- أو المبالغة في تفاصيلها، في الأقل- محض اختلاق، للتأكيد على الفروق اللهجية بين لغة اليمن ولغة عرب الشمال، التي قد تصل إلى الزعم أن لغة حمير ليست بعربية: "ليس عندنا عربيت"! انطلاقًا من مقولة (أبي عمرو ابن العلاء): "ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيّتُهم بعربيّتنا"، التي ساقها (محمّد بن سلاّم الجُمَحي (-٢٣١هـ)، (١٩٨٢)، طبقات الشعراء، تح.جوزف هل (بيروت: دار الكُتُب العلمية)، ٢٩). إلا أن ذلك الشاهد الذي ساقوه من خلال حكاية "ثب" لا شاهد فيه. والحقّ أن ابن السكّيت وابن فارس، كمعظم لغويينا القدامى، نَقَلَة، تعوزهم المعرفة الدقيقة باللهجات العربيّة، وهم يوردون مثل تلك الحكاية بلا تحليل ولا تمحيص، وإلا فإنه- إذا كانت لهجة الحِمْيَريّ تلك كلهجة فَيْفاء اليوم، وهو الراجح- فـ"ثِبْ" في الحكاية من "ثَوَبَ"، لا من "وَثَبَ"، كما فهم هؤلاء اللغويون، وساقوا تلك الحكاية ليستنتجوا منها افتراق لغة حِمْيَر عن لغة عدنان. ولهذا يقال بلهجة فَيْفاء: "ثابَ، يَثُوْب، ثِبْ"، أي قَعَد أو استراح. و"ثِب" هنا بمعنى "ثُبْ"، إلا أنهم يُميلون الضمّ إلى الكسر في مثل هذا الموضع. و"ثابَ، يَثُوْبُ، ثُبْ": عربيّة لا غُبار عليها، بمعنى رجَع وعاد إلى موضعه ومجلسه. ومنه مثاب البئر: مكان الساقي على فم البئر. والمثابة: المُجتَمَع والمنزل. (يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ثوب)). يقول (ابن مقبل، (١٩٦٢)، ديوان ابن مقبل، تح. عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث القديم)، ص١٤٢: ب١):

أَلَمْ تَرَ أنَّ القَلْبَ ثَابَ وأَبْصَرَا وجَلَّى عَمَايَاتِ الشَّبَابِ وأَقْصَرَا

وعليه، فاستعمال "ثُبْ، أو ثِبْ (حسب نطقها في اللهجة)" بمعنى: "اقعد، أو استرح، أو اهدأ" ليس بغريب الدلالة عن معاني مادة "ثَوَبَ"، حتى يُستنتج منها حكمٌ تعميميّ بأن: الحِمْيَريّة ليست كعربيّتنا.

هذا وفي نسخة القصيدة أ: **من غبائي رَحِمْتُهُ قُلْتُ: ثِبْ لحظةً وقُمْ**

بَعْـــدَما ارْتَـــاحَ بَـــذَّهُ   كُلَّمـــا جَـــرَّهُ "جَـــثَمْ"[1]
نـــامَ نَوْمـــاً مُؤَبَّـــدًا   في الطَّرِيْـــقِ و لم يَقُـــمْ [2]
ثمَّ أَمْـــسَـــى بحَـــسْـــرَةٍ   شَيْخُنا وانْتَهَى "الفلِـــمْ"[3]

---

[1] بذّه: غَلَبَه وأعياه. وفي أ: **بعدما ارتاح بذّني   حين قوّمـــتُهُ جَثَـــمْ**

[2] في أ: **بعدها نامَ فرقدي**

[3] في أ: **ثم عدتُ بحسرتي   مفردًا وانتهى "الفلِمْ"**
وفي ب: **ثم عاد بحسرةٍ   قحمُنا وانتهى "الفلِمْ"**

بُدينة والثمامة[١]

أَدِيْبٌ جاءَ مِنْ حِجْرِ اليَمامَـــةْ | مِنَ التَّارِيْخِ مِنْ سِفْرِ الكَرامَـــةْ
مِنَ الغرَّاءِ مِـــنْ أَحْنـــاءِ وَكْـــرٍ | مِنَ الشَّماءِ مِنْ وَكْنِ الـــشَّهامَةْ
ومِنْ غِيْلِ الضَّياغِمِ مِنْ ريـــاضٍ | بِها اللَّيْثُ الذي يَحْمي ذِمَامَـــهْ
إذا هَبَّتْ رِياحُ الغَـــدْرِ يَوْمـــاً | يَهُبُّ الفَهْدُ مُمْتَشِقاً حُـــسامَهْ

* * * * *   * * * * *

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَحْبَـــابِ أَهْـــلاً | وفي أَحْضَانِ عَرْعَرَ بالـــسَّلامَةْ
سَكَنْتُمْ في القُلُوْبِ بِكُلِّ حُـــبٍّ | وفي أَحْداقِنا طِيْـــبُ الإِقامَـــةْ

* * * * *   * * * * *

ونَشْرٌ مِنْ شَـــمِيْمِ النَّـــوْرِ ذَاكٍ | كأَنْسَامِ الخُزَامَـــى والبَـــشَامَةْ
مِنَ الأَفْـــوَافِ فَـــوَّاحٍ شَـــذِيٍّ | كعَرْفِ الفُلِّ أو كاذيْ تِهَامَـــةْ
أَرِيْجٌ مِنْ مَلابِ العِطْرِ أَضْـــحَى | مَزِيْجـــاً مِنْ بُدَيْنَةَ والثُّمَامَـــةْ

---

[١] قيلت في زيارة (الشيخ عثمان الصالح، رحمه الله) إلى معهد عرعر العلمي، عام ١٤١٥هـــ، وكان الشاعر هو مـــدير المعهد إذ ذاك.

ومِنْ مَنْفُوْحَةِ الأَعْــشَى عَــرَارٌ إلى بلْقــورَ يُقْــرِؤُهُ سَـــلامَهْ
ومِنْ دِرْعِيَّـــةِ الأَمْجَــادِ حَــادٍ يَشُقُّ اللَّيْلَ مُعتَــسِفاً ظَلامَــهْ
وتَنْثَـــالُ المَفَـــاوِزُ في عِنَـــاقٍ يَبُثُّ الرَّمْلُ للرَّمْـــلِ احْتَرامَــهْ

* * * * * * * * * *

نِطَاسِيُّ القَوافيْ غُــضَّ عَنِّــيْ فبَحْرِيْ الضَّحْلُ لايُرْوِيْ حَمَامَةْ
وهـــذا مَطْلَـــبِيْ مِـــنْ أَلمَعِـــيٍّ أنا — واللهِ — تِلْمِيْـــذٌ أَمَامَــهْ
أَرَاهُ يَنْتَـــضِيْ فِكْـــراً سَـــدِيْداً ومِنْ عُمْقِ الرُّؤَى يَبْرِيْ سِهَامَهْ
وقَدْ كانَ المُــدِيْرَ الفَــذَّ يَوْمــاً لأَنْجَـــالٍ يُحِبُّـــونَ انْتِظَامَــــهْ
تَرَدَّى مُخْمَـــلاً يَزْهُـــوْ بَهَـــاءً مُوَشَّى بِـــالتُّقَى والاسْـــتِقَامَةْ
سَدَاهُ شِـــدَّةٌ في غَيْـــرِ عُنْـــفٍ وعِنْدَ العَزْمِ لُحْمَتُـــهُ الـــصَّرامَةْ
طَبِيْـــبٌ جَـــرَّبَ الأَدْواءَ طُـــرّاً يُدَاوِيْ بالعَـــصَا والابْتِـــسَامَةْ
شُذُوْراً مِنْ سَـــبَائِكِـــهِ قَرَأَنـــا على القِرْطَاسِ ما أَبْهَى كَلامَهْ!

مسجد القدس

مَسْجِدُ القُــدْسِ يُنــادِيْ الحَرَمــا   ساكِباً مِنْ مُقْلَــةِ الــدَّمْعِ دَمــا
وَيْحَ مَسْرَى سَــيِّدِ الخَلْــقِ عَــلا   صَــوْتُهُ مُـــسْتَنْجِداً مُـــسْتَرْحِما
عَرْبَــدَ الإِجْــرامُ في سَــاحاتِهِ   والقُوَى الكُبْرَى تُعِــيْنُ المُجْرِمــا
صَرْخَةُ المِحْرابِ تُــذْكِيْ أَلَمِــي   جُرْحُهُ الــدَّامِيْ يُــشِيْبُ اللِّمَمــا
يَشْتَكِيْ مِنْ وَطْأَةِ القَــسْرِ ومِــنْ   مُـــسْتَبِدٍّ لا يُراعِـــيْ الـــذِّمَما
سُلْطَةُ الأَشْــرارِ تَــدْعُوْ بــالرَّدَى   والسِّياطُ الحُمْرُ تَــشْوِيْ اليُتَّمــا
زُمْــرَةُ التَّعْــذِيْبِ شُــذَّاذُ الــدُّنَا   أَحْدَثُوا في كُلِّ شَــخْصٍ مِيْــسَما

******

رُبَّ طِفْــلٍ مُحْــرَقٍ في مَهْــدِهِ   كــانَ يَبْــدُو ناضِــراً مُبْتَــسِما
جِسْمُهُ النَّاعِمُ أَضْــحَى شــاحِباً   وَجْهُهُ الوَضَّــاءُ أَمْــسَى هَرِمــا

******

رُبَّ ثَكْلَــى في ظَـــلامٍ دامِــس صَوتُها يَنْـسَابُ: "وامُعْتَـصِما"
اسْـــتَحالَتْ جُثَّـــةً هامِـــدَةً إثْــرَ تَعْــذِيْبِ العُتَــاةِ اللُّؤَمـــا

******

رُبَّ شَـــيْخٍ طَـــاعِنٍ في سِــنِّه يَزْدَرِيْ الطَّـاعنَ لَـنْ يَسْتَـسْلما
رافِعـــاً رَأْســاً عَزِيْــزاً صــامِداً شَــامخاً شَــأْنَ الأُبَــاةَ العُظَمــا

******

رُبَّ شِـــبْلٍ خـــادِرٍ في غِيْلِـــهِ كــانَ والرَّشّــَاشُ دَوْمـــاً تَوْأَما
عنْــدَما أَبْــصَرَهُ جَــيْشُ العِــدَا ظَــلَّ يَعْــدُوْ هارِبــاً مُنْهَزِمــا
أَيُّ شِبْلٍ ذلــكَ الــشِّبْلُ الــذي يَصْفَعُ البَغْــيَ ويَمْــشِيْ أَمَمَــا
الحَــصَى مِــنْ كَفِّــهِ قُنْبُلَــةٌ والعَــصَا مِنْــهُ تَــرُضُّ المِعْـصَما
يَرْفَعُ الــصَّوْتَ مُهِيْبــاً صــارخاً عــاشَ شَــعْبي يَعْرُبِيًّــا مُــسْلما
ولْيَمُــتْ كُــلُّ الغُــزاةِ الــدُّخَلا ولْــيَعُمَّ العَــدْلُ في أَرْضِ النَّمَــا

******

يا بنِيْ الإسلامِ يــا أَحْفَــادَ مَــنْ أَشْــعَلُوْا بالعَــدْلِ لَــيْلاً مُظْلِمــا
يَوْمَ شَعَّ النُّــوْرُ مِــنْ أُمِّ القُــرَى هاتِكاً بالــضَّوْءِ عَــصْراً مُعْتِمــا
أَعْلِنُوهــا وِحْـــدَةً مَرْهُوْبَـــةً تَــأْلَفُ المُــرَّ وتَهْــوَى العَلْقَمــا

تَرْكَبُ الـصَّعْبَ بِعَـزْمٍ راسِـخٍ   في قُلُـوْبٍ لا تَخـافُ اللُّوَّمـا

******   ******

هَلْ رَأَيتُمْ مَوْجَـةَ الأَبْطَـالِ في   سَيْلِها العَـارِمِ تَغْلِـي ضَـرَمَا؟!

هَلْ سَمِعْتُمْ بالهُتَـافِ الحُـرِّ مِـنْ   فِتْيَـةٍ يَسْتَنْهِـضُوْنَ الهِمَمـا؟!

فِتْيَـةٌ خاضُـوا غِمـاراً لاهِبـاً   عُـزَّلاً يَـسْتَعْطِفُوْنَ الـشِّيَما

******   ******

يا صَلاحَ الـدِّيْنِ لَـوْ تَـسْمَعُنِي   رَوْضَةُ المِحْرابِ صـارَتْ حُمَمَـا

رَوْضَـةُ التَّهْلِيْـلِ والتَّكْبِيْـرِ في   قُدْسِكَ الأَقْصَى تُضاهِيْ العَنْـدَما

يَنْدُبُ المِحْرابُ أَسْـمَى مَجْـدِهِ   ضَاعَ فالمِحْرابُ يَـشْكُو الأَلَمـا

******   ******

يا غِراسَ التِّيْنِ أَضْـناها الـصَّدَى   غُصْنُها الذَّاوِيْ يُنـاجِي زَمْزَمـا

يا رِيَاضَ الزَّهْوِ أضْحَتْ مَحْزَنـاً   يا رُبُوْعَ الأُنْسِ أمْـسَتْ مَأْتَمـا

يا حُقُوْلَ القَمْحِ تُـسْقَى بـاللَّظَى   والكُرُوْمُ الخُضْرُ تُـرْوَى بالـدِّما

والجِبَالُ الـشُّمُّ تَـسْتَعْدِيْ وقَـدْ   صَـيَّرُوْها للمَخـازِيْ سُـلَّما

******   ******

سَلْ حَمَامَ السِّلْمِ مَـذْعُوراً أَتَـى   لائِذاً بالبَيْـتِ يَـدْعُوْ المُـسْلِما

نائحـــاً عنْـــدَ الحَطِـــيْمِ صـــائحاً يا حَطِيْمُ- الغَوْثَ- جُنْحِيْ حُطِّما
أَيْنَ غُصْنُ الـــسِّلْمِ مِـــنْ زَيْتُوْنَـــةٍ أَثْمَرَتْ غَمًّـــا وحُزْنـــاً مُؤْلِمـــا؟
****** ******

أُمَّـــتِي مـــا بَـــالُ أَوْغَـــادِ المَـــلا يَـــسْتَبِيْحُوْنَ الحِمَـــى والحَرَمـــا؟
كيفَ نُغْضِي الطَّرْفَ يا قَوْمِيْ وقَدْ زَمْجرَ التِّنِّـــيْنُ مَـــصَّاصُ الـــدِّما؟
حانَ أَنْ يُسْتأْصَلَ الجِـــسْمُ الـــذي ظَـــلَّ أَعْوامًـــا يُعـــانِيْ الوَرَمـــا
طالَ جُرْحُ المَسْجِدِ الأَقْصَى أَمـــا آنَ أَنْ يَلْتَـــئِمَ الجُـــرْحُ.. أَمَـــا؟
هَلْ يَعُوْدُ القُدْسُ حُـــرًّا شـــامِخاً طالَما كـــانَ انْتظـــاريْ طالَمـــا؟
ذاكَ يَـــوْمٌ يَـــسْعَدُ المَـــسْرَى بِـــهِ رافِعـــاً فَـــوْقَ الـــرَّوابيْ العَلَمـــا
****** *****

يا فَصِيْحاً يـــا خَطِيْبـــاً مِـــصْقَعاً فاغِراً في مَجْلِسِ الأَمْـــنِ فَمَـــا
جَمْـــرَةُ "الفِيْتُـــو" لَـــهُ مَـــشْبُوْبَةٌ تَجْعَلُ الآمـــالَ قَـــشًّا مُـــضْرَما
أَيُّهـــا المِنْطِيْـــقُ رُحْمَـــاكَ اتَّئِـــدْ ليس بالسَّجْعِ تُـــصَحِّيْ النُّوَّمـــا
إنْ رَكِنَّـــا للإدانَـــــاتِ فَقَــــدْ حَـــلَّ فيهـــا ذُلُّنـــا لا جَرَمـــا
لا احْتِجاجاتٌ ولا الـــشَّجْبُ ولا لَهْجَةُ التَّنْدِيْـــدِ تُـــؤْتِيْ الـــسَّلَما
كُفَّ عَنْ لَحْنِ الخِطابـــاتِ فَقَـــدْ أَوْشَكَتْ أَسْـــماعُنا أَنْ تَـــسْأَما

لا يُعيْــدُ الحَــقَّ تَنْميْــقٌ ولَــوْ ... كــانَ مَغْــزاهُ عَميْقــاً قَيِّمــا

صَــيْحَةُ الإيجــازِ والإطْنــابِ لا ... تُسْمِعُ الصُّمَّ ولا تَجْلُــوْ العَمَــى

إنمــا يُــسْمِعُهُم صَــوْتُ الأُلَــى ... عانَقُوا البَدْرَ ورامُــوا الأَنْجُمــا

يَوْمَ شُدَّتْ وِحْــدَةُ الإســلامِ في ... عُرْوَةِ التَّوْحيْدِ شَــدًّا مُحْكَمــا

يَوْمَ آتَــتْ بِــذْرَةُ التَّوْحيْــدِ في ... تُرْبَــةِ الإســلامِ حَقْــلاً مُفْعَمــا

إنْ نَشَأْ فَــرْضَ انْتِــصَارٍ فلنَعُــدْ ... للهُدَى نَــسْتافُ منْــهُ البَلْــسَما

لَوْ رَأَى العِرْبِيْــدُ أَدْنَــى وِحْــدَةٍ ... لانْتَهَى مِــنْ سُــكْرِهِ وانْفَطَمــا

****** ******

يا بَصيْرَ الذَّرِّ في عُمْــقِ الــدُّجَى ... يا مُغيْثَ البَذْرِ مِنْ فَتْــكِ الظَّمــا

أَنْتَ- رَبِّي- المُلْتَجَــا والمُرْتَجــى ... جِئْتُ- رَبِّيْ- طالِبــاً مُسْتَعْــصِما

أَيِّــدِ الإســلامَ وابْعَــثْ قائِــداً ... مُسْتَنِيْراً ولْيَكُنْ حــامِيْ الحِمَــى

مَنْ يُعيْدُ المَجْــدَ لــلأَرْضِ كمــا ... كانَ في الماضِــيْ قَوِيًّــا مُبْرَمــا

غَيْرُ ضِرْغــــامٍ مِنَ الأرضِ التي ... تَسْتَقِيْ المِنْهــاجَ مِنْ رَبِّ السَّما؟!

❁❁❁

ذكرى وألم

بَصِيْصٌ مِنَ الإشْعَاعِ واللَّيْــلُ مُظْلِــمُ ... يَشُقُّ الدَّيَاجِيْ والظَّلامُ مُخَيِّمُ

يُبَدِّدُ سُحْبَ الجَهْلِ مِنْ كُــلِّ بُقْعَــةٍ ... ويَهْتِكُ حُجْبَ الظُّلْمِ والكُفْرَ يَحْذِمُ

مِنَ الكَعْبَةِ الــشَّمَّاءِ يَنْــدَاحُ نُــوْرُهُ ... فَيَنْسَابُ فِي الآفاقِ يَسْمُوْ ويَعْظُمُ

غَزا مِنْ مَحارِيْــبِ المَثَــانِيْ فَنَــوَّرَتْ ... مَشَاعِلُهُ الأَرْجَاءَ والجَوُّ مُعْتِمُ

وأَرْوَى عِطاشاً طالَ فِي الأرضِ ظِمْؤُهُمْ ... هُدًى فاسْتَقَى مِنْهُ مُحِلٌّ ومُحْرِمُ

وأَحْيَا مَواتــاً فِي المَفَــازَاتِ فانْتَــشَى ... بِرَقْراقِهِ المِغْداقِ سَهْلٌ وأَحْزُمُ

يَمُدُّ حِبَالَ الهَدْيِ يُهْدِيْ لِذِي الحِجــا ... مُواصَفَةً فيها لِذِيْ الجَهْلِ بَلْسَمُ

يَشُقُّ عُبَابَ البَحْرِ والمَــوْجُ مُرْعِــبٌ ... فَيَحْتَضِنُ الشَّلاَّلَ عُرْبٌ وأَعْجُمُ

****** ******

فيا مَكَّةَ الغَــرَّاءَ يا مَنْبَــعَ الهُــــدَى ... أُحِــبُّ ثَراكِ الغَــضَّ واللهُ يَعْلَــمُ

ويا عَرَفاتِ اللهِ يـــا مُلتقَـــى الصَّــفا[1] ذُراكِ مَعَ الجَوزاءِ بَلْ أَنْتِ أَعْظَـــمُ
ويا غارَ ثَوْرٍ فِيْـــكَ ذِكْـــرَى عَزِيْـــزَةٌ تُهَدْهِدُها الأَحْلامُ والقَلْبُ مُفْعَمُ
أَمِيْنٌ وصِـــدِّيْقٌ وذُو العَـــرْشِ ثالِـــثٌ زَكَتْ صُحْبَةٌ فيها العَظِيْمُ المُعَظَّمُ
حنانَيْكَ إنَّ القَلْبَ بالحُـــبِّ عامِـــــرٌ لَهُ البَيْتُ مَهْوًى والحَطِيْمُ وزَمْزَمُ

******

ويا طَيْبَةَ الشَّمَّاءَ يـــا مَعْقِـــلَ الإبَـــا[2] سَلامٌ يُزَجِّيْهِ لَكِ اليَوْمَ مُسْلِمُ
ويـــا طَيِّبًـــا في طَيْبَـــةِ اللهِ طـــاهِرًا أُصَلِّيْ عَلَيْهِ كُلَّما ماجَ عَيْلَمُ
ويا صَفْوَةَ الأَخْيارِ يـــا سَـــادَةَ الـــدُّنا عَلَيْكُمْ بَكَى قَلْبِيْ وفي عَبْرَتِيْ دَمُ
تَذَكَّرْتُ والـــذِّكْرَى بقَلْبِـــي مَرِيْـــرَةٌ جَحافِلَ تَغْزُوْ والنَّبِيُّ المُقَدَّمُ
تَدُكُّ قِلاعَ الشِّرْكِ والغَـــدْرِ والخَنـــا فلَمْ يَنْجُ مَشْبُوْهٌ ولَمْ يَنْجُ مُجْرِمُ

******

فيا ســـادةَ الدُّنْيَـــا، سَـــلامٌ، وعَبْرَةٌ، وغُصَّـــةُ مَحْزُوْنٍ، وسَيْـــفٌ مُثَلَّمُ

******

---

[1] الصَّفا: الصفاء.

[2] الإبا: الإباء.

تَكالَبَتِ الأَعْداءُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ   تَداعَتْ على الإِسْلامِ تِلْكَ الشَّراذِمُ[١]

"سَرايِيْفُ"- يا رَبَّاهُ- أَضْحَتْ كما تَرَى   تُدَاسُ بِأَقْدَامِ النَّصَارَى وتُهْدَمُ

وتُنْتَهَكُ الأَعْراضُ فِيْها وحَسْبُنا   قَراراتُ شَجْبٍ واعْتِراضٌ مُنَغَّمُ

وقامَ "الصَّلِيْبُ" الوَغْدُ يَغْتالُ عِزَّنا   يُساعِدُهُ غَدْرٌ وجَيْشٌ عَرَمْرَمُ

رَأَوْا مِنْ أُسُوْدِ اللهِ نَوْماً فَعَرْبَدُوا   كذا يَفْعَلُ الخِنْزِيْرُ إِنْ نامَ ضَيْغَمُ

تُهانُ كَراماتُ العَفِيْفَاتِ جَهْرَةً   ويُهْتَكُ سِتْرُ المُسْلِماتِ وتُلْطَمُ

يُنادِيْنَ أَيْنَ المُسْلِمُوْنَ وهذهِ   شَوارِعُنا نارٌ وعارٌ وعَنْدَمُ؟!

فكَمْ مِنْ حَصانٍ ذاتِ خِدْرٍ مَصُوْنَةٍ   يُراقُ على أَقْدامِها الطُّهْرُ والدَّمُ

وكَمْ مِنْ رَضِيْعٍ جُرَّ مِنْ حِجْرِ أُمِّهِ   لِيَحْضُنَهُ صَدْرٌ غَرِيْبٌ مُحَرَّمُ

وكَـــمْ ســـاجِدٍ للهِ قَدْ صـــارَ شِـــلْوُهُ   وَقُوْدًا لنارِ "الصِّرْبِ" تُذْكَى وتُضْرَمُ

---

[١] في هذه القافية (تأسيس)، وهو الألف التي يفصل بينها وبين حرفِ الرويّ (الميم) حرفٌ، هو (الذال) هنا. على حين جاءت القوافي الأخرى دون تأسيس، وهو ما يُسمى في عيوب القوافي: (سناد التأسيس)؛ وذلك حينما تأتي بعض القوافي مؤسّسة وأخرى مجرّدة من التأسيس، وعلى الشاعر- بحسب قواعد التقفية- عدم المزج بين النَّمَطين في قصيدة واحدة.

وكَمْ ناعِقٍ مِنْ مَجْلسِ المَيْنِ مارِقٍ يُماريْ بِنَصْرٍ وَهْوَ لِصٌّ مُذَمَّمُ
وبُطْرُسُ في حِزْبِ الشَّياطينِ ضالِعٌ فكيفَ بِهِ في مَجْلِسِ المَيْنِ يَحْكُمُ؟!
خطاباتُهُ عَرْجَاءُ مِنْ نَفْثِ كاهِنٍ مَقاطِعُها حِقْدٌ وخُبْثٌ وبَلْغَمُ
وفِيْها قَضايا المُسْلِمِيْنَ تَبَخَّرتْ على كَفِّ عِفْرِيْتٍ غَذَتْهُ جَهَنَّمُ
ومَنْ يَنْتَظِرْ مِنْ حِزْبِ "بِلْفُورَ" مُنْجِدًا فَعَائِدُهُ المَنْظُوْرُ صَابٌ وعَلْقَمُ

****** ******

فيا رَبِّ نَصْرًا عاجلاً مِنْكَ يُرْتَجَى لَكَ الرُّوْحُ تَعْنُوْ والتَّسَابِيْحُ والفَمُ
تَفَضَّلْ بِنَصــْرٍ مِنْكَ لِلْعُصْــبَةِ التــي لَكَ اتَّجَــهَتْ تَدْعُوْكَ والخَلْقُ نُوَّمُ

۩۩۩

دمعة في صباح العيد !

يُجَدِّدُ العيْـدُ أَحْـزانيْ وآلامـيْ ... أَنُـوْءُ فيْـه بـأَوزاريْ وآثـامي
أَراهُ ذا صَـفْحَة شَـهْبَاءَ شـاحبَة ... تَعُجُّ بالرُّعْـب مـنْ بُلْـه وأَقْـزَامِ
والنَّاسُ في بَهْجَةً منْ عيْدهمْ وأنـاً ... في حَسْرَة الْمُبْتَلَـى أَجْتَـرُّ آلامـي
فِيْمَ التَّهانيْ، وليًّ في كُلِّ جارحَـة ... طَوْقٌ منَ الحُزْن مَسْبُوْك بـأَحلامي؟
وما التَّبَـاهيْ بـأَثْواب مُنَمَّقَـةً؟ ... وما التَّبَخْتُرُ في لُبْـسيً وهنْـدامي؟
هَلْ الـسَّعادَةُ أَنْ أَفْـتَنَّ في حُلَـلٍ ... شَفَّافَة منْ نَسيْجِ السُّنْدُسِ الـسَّامي؟
ودَمْعَةٌ في صَبَاحِ العيْد قَدْ وَشَـمَتْ ... على مُحَيَّـا فَتَـاة أُخْـت أَيْتَـامِ؟
وأَنَّـةُ الآه مـنْ ثَكْلَـى مُحَمَّلَـة ... بالبُؤْسِ تَحْتَ رُكامٍ تَحْتَ أَكْـوامِ؟
وكانَ في ثَغْرِ طفْلٍ بَسْمَةٌ نَـسيَتْ ... مكانَها العَذْبَ منْ ظُلْمٍ وإجْـرامِ؟
وعالَمٌ مُجْهَـدٌ يَغْتالُـهُ نَـزَقٌ ... مـنْ عَنْعَنَـاتٍ وأَنْـصَابٍ وأَزْلامِ؟

******

يا فَرْحَةَ العيْدِ يــا أَنْـــوارَ بَهْجَتِـــه عيْديْ أنا مُظْلِمٌ مِنْ فَرْط أَسْــقامِي
يا عيْدُ لا تَنْكَإِ الجُرْحَ الذي انْدَمَلَتْ أَغْوَارُهُ، لا تُعِدْ لِيْ رُعْبَ "أَفلامِي"
دَعْنِي وحُلْمي وأَشْيَائِيْ التي قَتَلَــتْ فِيَّ الرُّؤَى مِنْ خَيــالاتِيْ وأَوْهــامِي
أَحْدُوْ طُيُوْفاً مِنَ الأَحْــزَانِ لاهبَــةً وَقُوْدُهـــا في ثَنايَــا قَلْــبِيَ الــدَّامِي
خَوالِجٌ مُـــرَّةٌ تَهْتَــاجُ في كَبِــدِي تُذيْبُها جَمْرَةٌ مِـــنْ حَــرِّ أَنْــسَامِي
أَحِنُّ شَوْقاً إلى العِيْدِ الــسَّعِيْدِ وفي جَوَانِحِيْ مَنْهَلٌ، لكنْ أَنــا الظَّــامِي
أنا على هـــامشِ الأيَّـــامِ مُرْتَحِـــلٌ وَحْدِيْ وزادِيْ وُرَيْقَاتِيْ وأَقْلامِـــي
أَسيْرُ في التِّيْهِ فَـــرْدًا لا إلى هَـــدَفٍ مُحَمَّلاً بالأَسَى يــا بُـــؤْسَ أيَّـــامِي
إلاّ إلى الهَدَفِ الأَسْــمَى ويا فَزَعِي إنْ كُنْتُ لم أَسْتَطِعْ تَثْبِيْتَ أَقْدامِي
فلَوْ حَسَبْتُ وبالأَرْقامِ ما اقْتَرَفَــتْ نَفْسيْ لزادَتْ على الأَعْدادِ أَرْقـــامِي

****** ******

يا عِيْدُ جَدِّدْ لِيَ الذِّكْرَى بـــذاكرتِيْ عَلِّي أَرَى وَرْدَةً في غُصْنِها النَّـــامِي
فيُـــوْرِقُ اليَأْسُ في قَلْـــبٍ أَلَـــمَّ بِهِ جَدْبٌ ويَخْضَـــرُّ مِنْهُ يُبْسُ أَعْوامِي

حَلِّقْ مَعَ الغيْدِ أَنْــساماً مُعَطَّــرَةً   مِنْ كُلِّ صَيَّادَةٍ مِنْ طَرْفِها الرَّامِــي
أُنْثُرْ عَبِيْراً على الأَحْبابِ مُنْتَــشِراً   يَفُوْحُ بالطِّيْبِ مِنْ زَهْرٍ وأَكْمَــامِ
******   ******

شَبَّابَةَ العِيْدِ يا أَسْــجَاعَ ســاحِرَةٍ   يا فِتْنَــةً مِــنْ تَــرانِيْمٍ وأَنْغَــامِ
تُذيْعُ ما خَبَّأَ الوَلْهانُ مِنْ شَــجَنٍ   كأَنَّها هَمْــسَةٌ في سَــمْعِ نَمَّــامِ
يَصُدُّنِيْ عَنْ هَواها إنْ صَبَوْتُ إلى   إِغْرائِها مَوْقِفٌ مِنْ نَهْيِ إِسْــلامِي
******   ******

يا عِيْدُ عادتْ بِكَ الأَفْراحُ غامِــرَةً   لَمَنْ لَهُمْ لُؤْلُؤٌ في بَحْــرِكَ الطَّامِــي



سُلْطانُ والجيش

أهْلاً حَلَلْتُمْ ضُيُوْفَ المَجْــدِ والــشِّيَمِ ... سَهْلاً وَطِئْتُمْ ضُيُوْفَ العِزِّ والشَّمَمِ

قُلُوبُنا مِـــنْ رَحِيْـــقِ الــوُدِّ مُفْعَمَـــةٌ ... تَفِيْضُ حُبًّا لَكُمْ يا مَحْتِدَ الكَـــرَمِ

مَرْحَى رِجالاً تَبَارَوا للعُـــلا شُـــهُبًا ... وَهَّاجَةً فِي السَّنَى أَسْمَى مِنَ النُّجُمِ

مِنْ كُلِّ لَيْثٍ هَصُوْرٍ صَـــانَ غَيْـــضَتَهُ ... أو كُلِّ قَرْمٍ سَدِيْدِ الرَّأْيِ مُعْتَـــصِمِ

مِنْ أَرْضِ خَيْرِ الوَرَى مِنْ سِرِّ قُوَّتِهـــا ... مِنْ مَهْبِطِ الوَحْيِ مَهْدِالعِلْمِ والقَلَمِ

قُدْتُمْ سَـــفِيْنَتَها الـــشَّمَّاءَ شـــامخَةً ... تَشُقُّ أَعْتَى عُبَابِ المَـــوْجِ بـــالهِمَمِ

حتى اسْتَقَرَّتْ علـــى المِيْنَـــاءِ مُثْقَلَـــةً ... بنَهْضَةٍ دُوْنَها الأرْقَى مِـــنَ الأُمَـــمِ

رُبَّانُها الفَـــذُّ رَمْـــزُ الخَيْـــرِ رائِـــدُنا ... فَهْدُ الُمفَدَّى عَمِيْقُ الفِكْرِ والحِكَمِ

مَنْ فِعْلُهُ زَلْزَلَ الأعْـــداءَ فـــارْتَجَفُوا ... واهتَزَّتْ ارْكانُهُمْ[١] مِنْ وَطْأَةِ الأَلَمِ

فَأَدْبَرُوا والسِّياطُ الشُّـــهْبُ تَلْسَـــعُهُمْ ... وجُلِّـــلُوا بِجِـــلالِ الذُّلِّ والنَّـــدَمِ

---

١ تُسَهَّل همزة القطع من "أركانهم" لضرورة الوزن، وكان يمكن أن يجعله: "واهتزّ بنيانهمْ".

أرْضُ القَدَاسَاتِ لا تَعْنُوْ لِمُنْحَـــرِفٍ تَأْبى ويَأْبى بَنُوْها، لَـــنْ و لم تُـــضَمِ
وقالَها الفَهْـــدُ: شِـــبْرًا لا نُمَلِّكُـــهُ مِنْ طامعٍ مَـــارِقٍ يَنْقَـــادُ للْحُلُـــمِ
يَـــشُكُّهُ لَيْـــثُ غَـــابٍ في مَخَالِبِـــهِ وقَدْ تَعَفَّرَ أَنْـــفُ الوَغْـــدِ بِـــالرَّغَمِ
هذيْ الشَّجَاعَةُ في أَسْـــمَى مَراتِبِهـــا هذا الدَّهَاءُ- لَعَمْرِيْ- قِمَّةُ القِمَـــمِ
في شَخْصِهِ يَحْسُنُ الإنْشَادُ إنْ سَنَحَتْ قَـــصَائِدٌ حُـــرَّةُ الأَفْكَـــارِ والـــنَّغَمِ
فَوْقَ المَدِيْحِ وكَمْ أَضْحَتْ بِمِدْحَتِـــهِ عَصْمَاءُ شِعْرٍ تُضَاهِيْ عِقْدَ مُنْـــتَظِمِ
مَلْكٌ يُمازِجُ نُـــوْرُ الـــدِّيْنِ مُهْجَتَـــهُ في حُبِّ مَثْوَى رَسُوْلِ اللهِ والْحَـــرَمِ
يَقْفُوْ خُطَى عَبْقَـــرِيٍّ عابِـــدٍ بَطَـــلٍ خَاضَ المُلِمَّاتِ في مُحْلَوْلِكِ الظُّلَـــمِ
صَقْرِ الجَزِيـــرَةِ بالتَّوْحِيْـــدِ وَحَّدَهَـــا "والحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ على قَـــدَمِ"

* * *

مَرْحَى أبا خالد بُوْرِكْـــتَ مُبْتَـــسِمًا في كُلِّ مُعْضِلَةٍ تَغْتَـــالُ كُـــلَّ فَـــمِ
كَمْ دَمْعَةٍ كَفْكَفَتْها كَفُّكُمْ فَغَـــدَتْ تبْرًا على الخَدِّ بَعْدَ الحُـــزْنِ والأَلَـــمِ
سُلْطانٌ والجَيْشُ والإِقْدامُ إنْ ضَرِمَتْ نارُ الوَغَى واسْتَشَاطَتْ جَذْوَةُ الضَّرَمِ

لُيُوْثُنــــا في تُخُـــوْمِ الأرْضِ عاصِـــفَةٌ هَوْجَاءُ تَسْفِيْ على الأَعْدَاءِ بـــالنِّقَمِ
صُقُوْرُنا في عَنَـــانِ الجَـــوِّ صَــاعِقَةٌ تَنْقَضُّ في الحَرْبِ تُرْوِيْ أَرْضَنا بِـــدَمِ

* * * * * *

يا مَنْ ظَنَنْــتَ بـــأَنَّ الأَرْضَ دانِيَــةٌ قُطُوْفُهـــا دُوْنَهـــا نَفَّاثَــةُ الحُمَـــمِ
قَدْ خَابَ ظَنُّكَ لا واللهِ ما خَــضَعَتْ ودِرْعُها كُلُّ صَلْتٍ صـــارِمٍ حُطَـــمِ
رِمالُها الحُمْــرُ كالإبْرِيْـــزِ تَسْــكُبُهُ أَيْدِيْ الصَّيَارِفِ مِنْ أَبْنَائِهـــا الـــبُهَمِ

* * * * * *

يا مَنْ رَأَى الباسِلَ المِغْــوارَ مُغْتَبِطًـــا وقَدْ تَسَنَّمَ في زَهْوٍ مَطَـــى الـــشُّدُمِ
يَحْمِيْ ثَرَى مَعْقِلِ الإِسْـــلامِ في ثِقَـــةٍ عنْ كُلِّ أَرْعَنَ لِـــصٍّ حـــانِقٍ قَـــزَمِ
هذي البِلادُ ومِنْهـــا كُـــلُّ مَلْحَمَـــةٍ تَغُوْصُ في لُجَّة التَّارِيْخِ مِـــنْ قِـــدَمِ
مَحْفُوْظَـــةٌ بِجُنُـــوْدِ اللهِ تَحْرُسُـــها أَعْيُنُهُمْ- بَعْدَ عَيْنِ اللهِ- لَـــمْ تَـــنَمِ
كَمْ رامَها حاقِدٌ خَسْرانُ ذُو صَـــلَفٍ ما كانَ يَفْرُقُ بَيْنَ الصَّقْرِ والرَّخَـــمِ

غَرْقــانُ في نَشْـوَةٍ بَلْهـاءَ تَغْمُـرُهُ	وعادَ بالخِزْيِ مَصْفُوْعًا على الصَّمَمِ

* * *	* * *

إنْ قــادَ مُنْحَرِفًــا شَــيْطانُهُ غَــرَرًا	وعاضَدَتْهُ ذُيُوْلُ الذُّلِّ مِــنْ خَــدَمِ

عُذْنا مِنِ ابْلِيْسَ بالرحمنِ وانْطَلَقَــتْ	أَفْواجُنا تَدْحَرُ الــشَّيْطانَ بــالرَّجِمِ

لا تُحْجَبُ الشَّمْسُ بالغِرْبالِ فانْزَجِرُوا	يا مَنْ تُرِيْدُوْنَ دَسَّ السُّمِّ في الدَّسَــمِ

* * *	* * *

يا سَــيِّدًا يُــذْهِلُ الــدُّنْيا تَواضُــعُهُ	يا بَسْمَةَ الزَّهْرِ مِنْ نُــوَّارَةِ الــدِّيَمِ

يا طالِعَ السَّعْدِ والأَجْفَانُ تَحْــضُنُكُمْ	إنَّ الشَّمالَ لَتَزْهُــوْ زَهْــوَ مُبْتَــسِمِ

جَذْلَى وقائِــدُها الــضِّرْغامِ مُبْــتَهِجٌ	يَسْمُوْ بِها يا سُمُوَّ الــسَّيِّدِ الــشَّهِمِ

فَرْعَــانِ مِنْ دَوْحَةِ الأَمْجَادِ، راسِخَةً،	رواؤُها مِنْ مَعِــيْنِ النُّبْــلِ والقِيَــمِ

فيفاءُ متَّكأ النجوم .. !

فَيْفاءُ مـــا أَحْلَـــى ذُراكِ الغُـــرَّ مُتَّكَـــأَ النُّجُـــوْمِ
يا عُنْفُوانًا شـــامِخًا يـــا وَكْـــرَ خَـــوْلانَ الأَرُوْمِ
ياعُمْدَةَ الأَطْوادِ في الآفـــاقِ يـــا طِـــبَّ الهُمُـــوْمِ
في حِجْرِكِ الحانيْ تَربَّى الفَخْرُ في الصَّدْرِ الـــرَّؤُوْمِ
تَغْفُوْ على تَسْبِيْحِ قَطْرٍ فاضَ مِـــنْ مُهَـــجِ الغُيُـــومِ
تَصْحُوْ على أَنْغامِ طَيْرٍ عَبَّ مِنْ سَـــكَرِ الكُـــرُومِ
سَجَّلْت رَسْـــمَكِ في جَبِيْنِ الدَّهْرِ مُنْبَلِجِ الرُّسُـــومِ

******

مِنْ صَخْرِكِ الصَّوَّانِ قَوْمِيْ إذا اسْتَغَثْتُ بيا لَقَوْمي[١]
يَأْتُوْنَ كالطُّوفـــانِ كالإِعْصَـــارِ في يَوْمِ السَّـــمُومِ

---

[١] البيت مكسور. يستقيم لو قال: "من صخركِ الصَّوّانِ قَوْمِيْ ما استغثتُ بيا لَقَوْمي".

كالجِنِّ زَمْجَرَ شَيْخُهُمْ مَرْحَـــى لأَحْفَـــادِ القُرُومِ

******

يا لائِمِيْ فِي حُـــبِّهِمْ أَقْصِرْ.. كَفَـــاكَ اليَوْمَ لَوْمِـــي

******

فَيْفاءُ وانْطَلَقَتْ بِيَ الأَشْـــواقُ لِـــلأَرْضِ الجَمِيْلَـــةْ
للطَّلِّ قَبْلَ الشَّمْسِ مَنْظُوْمًـــا بِأَهْـــدابِ الخَمِيْلَـــةْ
للَّيْلِ يَسْرِيْ ضَـــوْءُهُ الزَّاكِـــيْ بِأَنْـــسَامٍ عَلِيْلَـــةْ
للحَقْلِ، للنَّوَّارِ، للأَمْطَـــارِ تَـــسْرِيْ كُـــلَّ لَيْلَـــةْ
للعِيْـــدِ للأَفْـــراحِ للـــشَّادِيْ لِتَغْرِيْـــدِ القَبِيْلَـــةْ
للبَسْـــمَةِ البَيْضَـــاءِ لا تُوْحِيْ بِإِضْـــمَارِ الرَّذِيْلَـــةْ

******

يا دِيْرَةً فِي حَبَّـــةِ القَلْـــبِ وفي الـــرُّوْحِ العَلِيْلَـــةْ
ذِكْراكِ تَجْرِيْ فِي دَمِيْ، ماليْ على السُّلْوانِ حِيْلَـــةْ
يا حُبِّيَ العُذْرِيَّ يا فَيْفاءَ يـــا أَرْضِـــيْ الأَصِـــيْلَةْ
يا قِمَّـــةَ التَّارِيْـــخِ مِنْ خَـــوْلانَ والقِيَـــمِ النَّبِيْلَـــةْ

لله يا فَيْفَـــاءَ يا مَغْـــنَى الشَّـــهامَـــةِ والفَضِيْلَـــةْ

******

يا مَهْدِيَ المَسْكُوْنَ بالرُّوْحِ ويـــا أَرْضَ الـــضَّبَابِ
يا ضَوْءَ فاغِيْ جُوْنَةِ العَطَّارِ مِنْ عَـــرْفِ المَـــلابِ
يا عُدَّتِيْ يا نَسْلَ أَشْبَالٍ رَبَـــتْ في خِـــدْرِ غَـــابِ
مَنْ سَمَّرُوا في السَّفْحِ أَقْدَامَ الأَعـــاديْ بـــالحِرابِ
غَرائِبُ الأَقْدَامِ لا تَمْشِـــيْ على خُضْـــرِ الرَّوابي[1]

******

ما ضَرَّ لَوْ عَادَتْ بِيَ الذِّكْرَى إلى عَهْدِ التَّـــصَابِي
تَسْتَقْطِرُ الأَهْوَاءَ والأَنْداءَ مِـــنْ شَـــثْنِ الإهَـــابِ
تَسْـــتَعْطِفُ الأَيَّـــامَ لا تَجْتَاحُ رَيعَانَ الشَّـــبَابِ

******

[1] حَدَث في التفعيلة الأولى الوَقْص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وهو زحاف ثقيل في البحـــر الكامـــل، حُكْمُه عند العَروضيّين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه. وكان يمكن أن يقول: "فغرائبُ الأقدام ...".

يا مُلْهِمِيْ يا سَامِقاً تَخْتَالُ مِنْ فَــوْقِ الــسَّحابِ
أَوْرَيْتَ نَارَ الشِّعْرِ فِي عُوْدٍ ضَعِيْفِ الجَمْرِ خَــابِ
حَرَّكْتَ قلْباً هامِـــداً مِنْ وَخْـــزِ أَصْنافِ العَذابِ

******

يا مَعْدِنِيْ يا جَدِّيَ الفَلاَّحَ كَــمْ كُنْــتَ أَبِيَّــا[١]
عاهَدْتَ حَقًّا أَحْرُفَ المِحْــرَاثِ أَنْ تَبْقَــى وَفِيَّــا
أَوْدَعْتَ فِي التُّرْبِ الإِبــاءَ فجــاءَ مِعْطــاءً سَخِيَّا

******

يا جِذْرَنا المَزْرُوْعَ فِي الأَعْماقِ هَلْ ما زالَ حَيَّــا؟
لا غَرْوَ إنْ أَرْوَيْتُــهُ دَمْعِــيْ، لَــهُ حَــقٌّ عَلَيَّــا
رَمْزٌ مِنَ الماضِــيْ مِنَ التَّارِيْــخِ أَضْحَى عَبْقَرِيَّــا

******

[١] لحق التفعيلةَ الأخيرة من البيت زحافُ الخزل، اعتمادًا على إشباع حركة التاء في كلمة "كنتَ"، وكان يمكن تــلافي ذلك بتعريف الكلمة الأخيرة: "... كنتَ الأبيّا".

كَمْ في الرِّعَانِ الشُّمِّ يَنْــدَاحُ الــشُّمُوْخُ يَعْرُبِيَّــا
كَمْ في وَجُوْهِ النَّاسِ يَبْدُوْ الحُسْنُ حُسْناً مَذْحِجِــيَّا
أو في حُقُوْلِ البُنِّ بَعْدَ الطَّــلِّ صُــبْحاً أو عَــشِيَّا
أو في السُّفُوْحِ الخُضْرِ في الأَزْهَارِ وضَّــاحاً بَهِيَّــا
يَزْدَادُ فِيْكِ الحُسْــنُ حُسْناً يا بِلادِيْ سَــرْمَدِيــَّا



بلادٌ تحضن الشمس

يا بلادَ الكَعْبَةِ الشَّمَّاءِ، يا طُهْرَ المَدِيْنَـــةْ
مَأْرِزُ الإيمانِ أَنْتِ- نِعْمَ واللهِ- الأَمِيْنَـــةْ
وعلى ظَهْرِكِ يَخْتَالُ شِـــراعٌ وسَـــفِيْنَـــةْ
وشَمارِيْخُ ولِيْنَةْ
وعلى طُهْرِكِ ســـارَ المُصْطَفَى والخُلَفاءْ
والتُّقَاةُ الحُنَفاءْ
وأَقامُوا العَدْلَ في الدُّنْيَـــا، وأَلْوَانَ الوَفَاءْ

وبَنَوا للدَّوْلَةِ العُظْمَى أَساساتٍ مَكِيْنـَـةْ

ودِعاماتٍ وأَرْكانًا مَتِيْنَةْ

واقْتَفَيْنا سِيْرَةَ التَّارِيْخِ مِنْ أَرْضِ الـصَّفاءِ

وعَقَدْنا العَزْمَ أَنْ نَسْعَى لإِبْرامِ الوَفَـــاءِ

وشَـدَدْنا العَقْدَ بالعُرْوَةِ في صِدْقِ الوَلاءِ

والمَسَارَاتُ اسْتَقامَتْ في بِلادي

والمَناراتُ مَعَ الأَفْلاكِ في السَّبْعِ الشِّدَادِ

خَمْسُ مَرَّاتٍ تُنادي

نَسَمَاتُ الصَّوْتِ فاحَتْ بِشَذَا اللَّحْنِ المُعَطَّرْ

بِشَذا : اللهُ أَكْبَرْ

وخُيُوْطُ النُّوْرِ في الأُفْقِ تُدَلِّيْها الـسَّمَاءْ

وبلاديْ تَحْضُنُ الشَّمْسَ على مَدِّ الفَضَاءْ

كُلُّ شَيْءٍ فِيْكِ يا أَرْضِيْ مِنَ اللهِ مُسَخَّـرْ

وبِعَوْنِ اللهِ والعَزْمِ مُيَسَّرْ

وعلى اسمِ اللهِ يَرْسُوْ الفُلْكُ مَزْهُوَّ الصَّوَارِيْ

سارَ باسمِ اللهِ والرُّبَّانُ ماهِرْ

والرِّمَـــالُ الحُمْرُ غَـــصَّـــتْ بالـــسَّـــنَابِلْ

وغَـــدَا الفَـــلاَّحُ يَسْتَعْدِيْ مُهِمَّاتِ المَناجِلْ

وعَراجِيْنُ النَّخِيْلِ الباسِقَاتْ

عانَقَتْها نَجْمَةُ الصُّبْحِ بـــأَحْلَى القُـــبُلاتْ

هذهِ الصَّحْراءُ تَخْضَرُّ على وَبْلِ الرَّواعِـــدْ

وعلى ما أَخْرَجَتْ مِنْ كَنْزِها سُمْرُ السَّواعِدْ

هكذا أَنْتِ شـــمُوْخٌ يا بِلادِيْ فِي مَسَارِكْ

هكذا والبَحْرُ جَبَّـــارٌ ويَسْتَخْذِيْ أَمامَـــكْ

كانَ صَـــعْبًا شـــامِسًا لكنَّهُ أَضْحَى ذَلُوْلا

صارَ في قَبْضَةِ مالِكْ

* * *

مَشْرِقُ التَّوْحِيْدِ والإِيْمَانِ والنُّـــوْرِ المُبِـــيْنْ

قِبْلَـــةُ الدُّنْيا وفيها مَهْبِـــطُ الرُّوْحِ الأَمِيْـــنْ

ورَشادُ الحائِرِيْنْ

وجَلالُ البَيْتِ والفُرْقانِ نُوْرٌ فَوْقَ نُــوْرْ

فَوْقَ هاماتِ البُدُوْرْ

* * *

يا بِلاديْ لَكِ حُبِّي كُلَّما هَبَّ النَّسِيْمْ

كُلَّما زَارَتْ وُفُوْدُ اللهِ زَمْزَمْ[١] والحَطِيْمْ

لَكِ حُبِّي .. لَكِ حُبِّي

حُبُّكِ العُذْرِيُّ مَوْشُــوْمٌ على شِرْيانِ قَلْبِــي

عاشَ مَنْ يَحْمِيْكِ عَنْ كُلِّ الأَذَى يَرْعَاهُ رَبّي

لَكِ حُبِّي

❄❄

[١] هكذا قُيِّدت الكلمة هنا ليستقيم الوزن. وفي نسخة أخرى مطبوعة: "جمعًا" مكان "زمزم"، لكنه لا يستقيم بها المعنى.

نشيد " مُسْلِمٌ أنا "

مُسْلِمٌ أنا

مُسْلِمٌ أنا

مُسْلِمٌ أنا

ذاهبًا أو آيِبا

حاضرًا أو غائبا

راكِعًا أو ساجِدا

قائِمًا أو قاعِدا

مُسْلِمٌ أنا

* * *

مُسْلِمٌ جِسْمِيْ وأَفْكاريْ ولُبِّـــي

يَنْبِضُ الإسْلامُ مِنْ شِرْيانِ قَلْــبي

مِنْ عُرُوْقِيْ مِنْ دَمِيْ مِنْ فَضْلِ رَبِّي

مُسْلِمٌ أنا

* * *

نُوْرُ دَرْبِيْ مِنْ هُدَى خَيْرِ الأَنــامْ

فِي سَبِيْلِ الحَقِّ لا أَخْــشَى المَــلامْ

يَنْبَرِيْ مِنْ مَنْطِقِيْ أَحْلَى الكَــلامْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

فِي لسانِيْ دائمًــا ذِكْــرُ الجِهــادْ

مِلْءُ قَلْبِيْ الخَوْفُ مِنْ يَوْمِ التَّنَــادْ

أَسْــتَمِدُّ العَوْنَ مِنْ رَبِّ العِبــادْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

صَرْخَتِي حَيَّــا صَــدَاها العــالَمُ

مُدْرِكًا أَقْــصَى مَــدَاها المُــسْلِمُ

جِــئْتُ مِنْ دارٍ بَنــاها الأَرْقَــمُ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

يا بِلادَ الطُّهْرِ يــا خَيْــرَ الثَّــرَى
يا شُعاعَ النُّوْرِ مِــنْ أُمِّ القُــرَى
دَفْقُ حُبِّي فَاضَ مِنْ غــارِ حِــرَا

مُسْلِمٌ أنا

* * *

في رِحابِ البَيْــتِ يَمْتَــدُّ الأَمَــانْ
مِنْ مَحارِيْبِ الهُدَى يَعْلُــوْ الأَذانْ
مِنْ حَنايا مُؤْمِنٍ رَطْــبِ اللِّســانْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

أُمَّةَ الإِســلامِ قُــوْمِيْ وانْــشدِيْ
مَجْدَكِ المَمْزُوْجَ بالذِّكْرِ النَّــدِيْ

رَدِّدي فـــــي عُنـــْفُـــوانٍ رَدِّديْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

* *

*

جدبٌ وسرابٌ[١]

ما لهذا العَصْرِ، أَجَدْبٌ ضَـــنِيْنُ؟ أَمْ مُصَابٌ بالعُقْمِ؟ أَمْ عنِّـــيْنُ؟[٢]
أَمْ لُيُوْثُ الآجامِ أَضْحَتْ نَعامًـــا؟ أَمْ تَساوَى زَئِيْرُهـــا والطَّنِـــيْنُ؟[٣]

---

[١] هذه القصيدة من قصائد الشاعر القديمة. سمعتها منه وأنا في المرحلة الثانوية، سنة ١٣٩٧هـ تقريبًا، وهو يُلقيها في حفل بمدرسة عرعر الثانويّة، لعله حفل ختام السنة الدراسيّة. لكني أجد الآن أمامي من القصيدة ثلاث نسخ، فمن الواضح أن الشاعر قد رأى في القصيدة (معلّقته)، إنْ جاز التعبير؛ فأعمل فيها قلمه تنقيحًا وتعديلاً، وحذفًا وإضافة، وتقديمًا وتأخيرًا، عبر سنوات العمر. ولعلّ من الأسباب وراء ذلك أن الشاعر ألقَى القصيدة في مناسبات متفاوتة زمانًا ومكانًا، فكان يكيّف النصّ حسب المقام. ومن ثم فالقصيدة سِجِلٌّ بتحوّلات الشاعر الفنيّة والفكرية عبر تجربته، قمينة أن تكون نموذجًا تكوينيًّا لدارس شعره من هذه الناحية. فهناك النسخة القديمة، التي أذكر أبياتها مساءَ إلقائها ١٣٩٧هـ، ومنها نسختان: مخطوطة ومطبوعة. والنسخة القديمة- في مخطوطها ومطبوعها- أطول من نسخة ثالثة مصطفاة من القصيدة القديمة، ومعدّلة أبياتها، حتى لتكاد تصبح قصيدة أخرى. وسأحترم هنا الاختيار الأخير للشاعر- وإن كان لي في بعضه رأي نقديّ آخر، يجد القديم أحلى وأوفى وأصدق- معتمدًا نسخته الأخيرة، مشيرًا في الحواشي إلى الاختلافات مع النسختين الأخريين. وسأرمز إلى الأصل المخطوط بـ: (أ)، وإلى مطبوعه بـ: (ب)، وإلى النسخة الأخيرة بـ: (ج).

[٢] لا بُدّ من إشباع حركة الراء في كلمة "العصر".
وفي (أ) و (ب): "**هل زمانُ الصَّاروخِ جَدْبٌ ضَنِيْنُ؟ أمُصابٌ بالعُقْمِ أَمْ عِنِّينُ؟**".
وأحفظ شطره الأخير في نسخة القصيدة تلك: "أم مصابٌ".

[٣] في (أ) و (ب): "أليوثُ الآجامِ أضْحَتْ نعامًا؟". وفي (ب): "أتساوَى زئيرُها والطَّنِيْنُ؟".

أَخِداعًا أَرَى وعَــصْرَ سَــرابٍ؟ هَلْ تَوَهَّمْتُ؟ بَلْ كذاكَ اليَقِــيْنُ[١]

في خِضَمِّ الأَحْداثِ والمَوْجُ عَاتٍ والصِّراعاتُ والفَنَا والطَّحِــيْنُ[٢]

والخِطاباتُ والهُتَــافُ المُــدَوِّيْ والمَزاميْــرُ والغِنــا والــرَّنِيْنُ

عادَ بِيْ الفِكْرُ للقُــرُوْنِ الخَــوالِيْ مَنْهَلَ الصَّفْوِ أَيْــنَ ذاكَ المَعِــيْنُ

فاسْتَلَلْتُ اليَراعَ أَقْتــاتُ شِــعْرًا مِنْ يَــراعٍ مُلَــوَّعٍ يَــسْتَكِيْنُ[٣]

أَمْضَغُ اللَّفْظَ والمَشَــاعِرُ جَرْحَــى يا لَشِعْرِيْ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الرَّصِيْنُ؟[٤]

كُلَّما حَلَّقَــتْ مَعِــيْ خَطَــراتٌ في سَمَــاءِ الماضِيْ تَقَرُّ العُيُوْنُ[٥]

---

١ في (ب) تعديلٌ للشطر الثاني- لكن الشاعر عَدَل عنه إلى صيغته الأولى- وهو: "أم هو الريبُ قد جلاهُ اليَقينُ". وبعد هذا البيت بيتٌ في (أ) و (ب)، هو: "**أرؤى نائمٍ وأضغاث حلمٍ أمْ خيال تنساب منه الشجونُ**".

٢ في (أ) و (ب): "والموج طاغٍ".

٣ في (أ) و (ب): "**فاستللتُ اليَراعَ أكتُبُ شعْرًا ويراعي في سِجْنِ ثوبي رهينُ**".

٤ في (أ) و (ب): "أطلبُ اللفظَ من مشاعرَ جَرْحَى".

٥ في (أ) و (ب): "حلّقتْ بنا".

تَتجَلَّــــى للنَّـــــاظِرِيْنَ سِــــمَاتٌ   ضَمَّخَتْها بالطِّيْبِ تِلْكَ القُــرُوْنُ[١]

* * *   * * *

مِنْ هُنا أَلْهَبَتْ سِــياطُ الــسَّرَايا   صَهْوَةَ البَغْيِ وهْوَ صَعْبٌ حَرُوْنُ

مِنْ حَنايا وِدْيانِ فــارانَ شَــعَّتْ   شُعْلَةُ النُّوْرِ فاستَــضَاءَ الكَــوْنُ[٢]

مِنْ ثَنايا قُبــا الجَحافِــلُ هَبَّــتْ   تَنْشُرُ العَدْلَ فاستجابَ الــصِّيْنُ[٣]

تَتَخَطَّى مجاهِــلَ الــشَّرْقِ حــتى   عَزَّ بالعَدْلِ والهُــدَى جَيْحُــوْنُ[٤]

تَتَحَدَّى مَخَــاوِفَ الغَــرْبِ حتى   ذابَ فيها البَلْقَــانُ والأَفْشِــيْنُ[٥]

---

[١] في (أ) و (ب): "تلك السنينُ". وبعد هذا البيت في (أ) بيت، هو:
"**قهر الأسلافُ المفاوزَ قهرًا   إنَّ بالأسلافِ يُشدّ الوَضِينُ**". عُدّل شطره الثاني في (ب) إلى: "وبأفعــالهم يُــشَدُّ الوَضِينُ"، ثم عُدّل إلى: "أيّ ذكرى يُشدّ منها الوَضِينُ".

[٢] في (أ) و (ب): "مِنْ حَنايا وِدْيانِ مَكَّةَ ... فاستضاءَ الصِّيْنُ".

[٣] في (أ) و (ب): "فاستجاب الكَوْنُ".

[٤] في (أ) و (ب): "**تتخطّى مخاوفَ الغربِ حتى   استنارَ البلقانُ ثم السِّيْنُ**".

[٥] في (أ) و (ب): "**تَتَحَدَّى مجاهلَ الشرقِ حتى   عَزَّ بالعَدْلِ والهُدَى جَيْحُوْنُ**".

رُبَّ طَاوٍ يَطْوِيْ الصَّحَارَى جِهَادًا   حِلْسِ ظَهْرٍ كَأَنَّــهُ العُرْجُــوْنُ[١]
في شَـــرايِيْنِه انْـــدِفاعٌ وعَـــزْمٌ   لا يُبالِيْ إنْ جَرَّحَتْــهُ الــوَجِيْنُ[٢]
كانَ مُــسْتَهْدَفًا لِــشَتَّى المَنَايَــا   في سَــبِيْلِ اللهِ تَهُــوْنُ المَنُــوْنُ[٣]

* * *   * * *

وَطَّنَتْ أُمَّتِيْ الــصَّحارَى بِعَــدْلٍ   فتَسَاوَى الثُّعْبَــانُ والحِــرْذَوْنُ[٤]
أَخْضَعَتْ أُمَّــتِيْ البِحــارَ بِحَــزْمٍ   فَتَــسَاوَى ســِـرْدِيْنُها والنُّــوْنُ[٥]
ذَلَّلَتْ أُمَّــتِيْ الصِّــعَابَ فلانــَتْ   بَعْدَ أنْ كانَ عُودُها لا يَلِــيْنُ[٦]
يَوْمَ أنْ مــاتَ كُــلُّ بَغْيٍ وظُلْمٍ   واسْــتَقامَ القِسْــطَاسُ والمَوْزُونُ

---

[١] في (أ) و (ب): "رُبّ طاوٍ طَوَى". والبيت مع البيتين بعده أُضيفتْ إلى النصّ الأصل (أ)، وكان موضــعها في (ب) بعد البيت المستهلّ بــ: "واستوى الأكرمان".

[٢] في (أ) و (ب): "**فالشهاداتُ في الشرايينِ تجري   لا يُبالي مَنْ جرّحتهُ الوَجينُ**". والبيت سابق هناك على البيت الذي قبله هنا.

[٣] البيت غير موجود في (أ). وفي (ب): "كان مستهدفًا لكلّ... في سبيل الحق".

[٤] في (أ) و (ب): "حَكَمَتْ أُمّتي... بحزمٍ". الحرذون: ذكر الضَّبّ، أو دويبة أخرى. (تعليق للشاعر على النصّ).

[٥] في (أ) و (ب): "حَكَمَتْ أُمّتي... بعدلٍ".

[٦] في (أ) و (ب): "قَسَرَتْ أُمّتي... فذلَّتْ".

واسْتَوَى الأَكْرَمانِ زَيْدٌ وعَمْـــرٌو   ليسَ في الدِّيْنِ عُنْــصُرٌ أو لَــوْنُ[١]
هَلْ يَعُوْدُ التَّارِيْخُ غَــضًّا نَقِيًّــا؟   بَلْ طَرِيْقُ التاريخِ وَحْـــلٌ وطِـــيْنُ[٢]

* * *   * * *

---

[١] في (أ) و (ب): "واستوى في الدِّيْنِ بلالٌ وعَمْرٌو".

[٢] في (أ): "غَضًّا طريًّا أم طريقُ". وبعد هذا البيت أبيات في (أ) و(ب) حذفها الشاعر من النسخة الأخير (ج)، هي– بحسب ورودها وصياغتها في النسختين– فيما يلي، ويلحظ انفراد إحدى النسختين أحيانًا بما ليس في الأخرى، وقد أشير إلى ذلك بعلامة (+)، مع اختلاف تقديمٍ وتأخير كذلك:

(أ) و(ب): كم أنادي قد بُحّ صوتيَ حتّى   أصبحَ الــصوتُ لا يكـــاد يُـــبينُ
.... هل شبابٌ يقول لي في ثبـــاتٍ   في يميني سيفٌ وفي القلـــبِ ديْـــنُ؟
(+ب): ليميطَ اللثام عن وجهِ قـــومي   وتَزُوْل بالــصِّدْقِ تلـــكَ الظنـــونُ
(أ) و(ب): ليُعيدَ الذِّكْرَى العظيمـــة إنّـــا   أُمَّـــةٌ ماضـــينا شَـــديدٌ مَتِـــيْنُ
(+أ): فلنا بالإسلام أسمَـــى فخـــارٍ   محتـــدٌ ثابـــتٌ وعِـــزٌّ مَكـــينُ
(+ب): أمـــةٌ مجـــدُها منـــاطُ الثريّـــا   محتـــدٌ ناصـــعٌ وعِـــزٌّ مَكـــينُ
(+ب): أُمّتي يا حماهــا يـــا ذراهـــا   لا تُساقُ كمـــا يُـــساقُ الـــضَّئِيْنُ
(أ) و(ب): يا محاريبَ طيبـــة يـــا ثَراهـــا   يا روابي بدرِ الـــسَّنا يـــا حُنَـــيْنُ
.... يا تراب الأمجـــادِ يا منبعَ العِزّ   ســـــــلامٌ ودمـــعةٌ وحَنيـــــنُ

يا مَلاذَ المِسْكِيْنِ يَدْعُوْكَ- رَبِّي-   مَسْجدُ القُدْسِ البائسُ المِسْكِيْنُ[١]

لَوَّثَتْهُ اليَهُــوْدُ بالفِــسْقِ حــتى   أَثْقَلَ المِنْبَــرَ الأَســيْرَ الأَنــيْنُ[٢]

بَلْ أَباحُوا للمُوْمِسَاتِ حمَــاهُ   وارْتَمَى فَوْقَ طُهْرِهِ كُوْهِيْــنُ[٣]

يا طُغاةَ الشُّذَّاذِ مِــنْ كُــلِّ أَرْضٍ   طَالَ هذا التَّهْجِيْــرُ والتَّــوْطِيْنُ[٤]

* * *   * * *

إِيْهِ يا ابْنَ الوَلِيْدِ أُنْشُــوْدَةَ الأَجْـ   ــيالِ طُرًّا تَبْكِيْكَ حُوْرٌ وعِيْــنُ[٥]

---

[١] في (أ) و (ب): "يا أبا حفصٍ الخُطوبُ جِسامٌ   مسجُد القُدْسِ بائسٌ مسكينُ".
وبعده فيهمـــا: "أوّل القبلتين مَسْــرَى أمينٍ   يَتَهادَى في ســـاحه صِهيونُ".
وعُدِّلَتْ الكلمة الأخيرة في (أ) إلى: "شارون"، ثم عُدِّلَتْ في (ب) إلى: "كُوهَين".

[٢] في (أ) و (ب): "لوّثوه برجسهم وبغاهم وصدى المنبر".

[٣] في (أ) و (ب): "وأباحوا... وتمشّى في أرْضِهِ رابينُ".

[٤] لم أعثر عليه في (أ)، إلا أنه ملحق بالقلم في (ب).

[٥] في (أ) و(ب) قبل هذا البيت ثلاثة أبيات، هي:

نــائمٌ في الثُّغُــوْرِ بَعْــدَ جهَــادٍ   جَعَلَ الرُّوْمَ للــشَّبَا تَــسْتَكِيْنُ[١]

لَــوْ تَــرَى والمَهــازِلُ والرَّزَايَــا   مِنْ حَوَالَيْكَ والخَنَــا والمُجُــوْنُ[٢]

كَمْ جَبِيْنٍ في الطُّوْرِ بالحُزْنِ يَنْدَى   عَمْرُو يا عَمْرُو رَمْلُ سَيْنَا حَزِيْنُ[٣]

يا شِعَارَ السَّلامِ مِنْ طُــوْرِ سَــيْنا   أَيْنَ راحَ الحَمَــامُ والزَّيْتُــوْنُ؟!

كَمْ شَكَوْنا وكَمْ رفَعْنا احْتِجَاجًا   كَمْ شَجَبْنا والفكْرُ فِكْــرٌ أَفــيْنُ

وانْتَظَرْنا القَــرَارَ بالشَّــوْقِ حتى   أُعْلِنَ اللّتُّ والقَــرَارُ العَجِــيْنُ[٤]

أحدثَتْ مائِرُ مــواخيرَ عُهْــرٍ   للبَغايا لكلِّ بنــتٍ خَــدينُ

زرعوا البغْيَ والفــسادَ بــأرضٍ   زرعُها قبل ذاكَ توتٌ وتِــيْنُ

فالثكالى من ظُلْمِهِم بائســاتٌ   وبإخواننا تغصّ الســجُونُ

وبعده في (أ) و(ب) بيتان، هما:

كنتَ نعْمَ المطْعانُ إنْ جَدَّ جــدٌّ   أنتَ سُمّ الأعداءِ والطاعونُ

عبقريٌّ تَفْري الفرائــصَ فَرْيًــا   شامِخٌ كالطَّودِ قويٌّ أمــينُ

[١] في (أ) و(ب): "جعل الروم عنده".

[٢] كذا في جميع النسخ، ولا يستقيم الشطر الأول إلا بإشباع ضمة اللام من كلمة "المهازل".

[٣] في (أ) و(ب): "وجبين الفسطاط بالحزن ينذَى".

[٤] لم أعثر على البيت في (أ).

مَجْلِسُ الأَمْنِ كَيْفَ سَمَّوْهُ أَمْنًا؟! وهْوَ بالغَـدْرِ والنِّفَاقِ يَدِيْـنُ[١]
مَجْلِسُ الأَمْنِ والسَّلامُ المُسَـجَّى والقَـراراتُ كُلُّهـا تَأبِيْـنُ[٢]

---

[١] في (أ) و(ب): "وهو بالهزل". وبعده فيهما:

مَن يريد الركوعَ ذُلاًّ وجُبْنًـا ثَمّ شلّتْ يسارُهُ والـيمينُ
لم نرَ في تاريخِنا الثَّرِّ شخْـصًا مُسْلِمًا وهْوَ لليهودِ القَـرينُ
غيرَ من كان مستبدًّا بـرأيٍ ذلكَ الرأيُ خائـبٌ وأفـينُ
أيّها العائثون في الأرضِ مهْـلاً مركبُ البغْيِ منتهاهُ يَحِـيْنُ
سيكونُ الحسابُ صَعْبًا وحَتْمًا يأخُذُ الثأرَ قُدْسُنا المطعـونُ
غَضْـبَةُ الشَّعْبِ مَوقِـدٌ يَتَلَظَّى وهْوَ فَأْلٌ مُبـاركٌ مَيْمُـوْنُ

وفي (ب) عُدّل البيت الثاني إلى: "كيفَ نرجو من نسل (بلفور) حُكْمًا منصِفًا...". على حين حذف البيت الذي بعده.

[٢] في (أ) و(ب): "كامب ديفيدُ والسَّلامُ مُسَجًّى".

وغُمُوْضُ الأَلْفاظِ في كُـــلِّ بَنْـــدٍ ضَاعَ فِيْــهِ البَيَــانِ والتَّبْيِــيْنُ[١]

* * * * * *

يا شَبابَ الأَمْجَادِ يا أَمَلَ الإِسْـــ ـــلامِ هُبُّوا وكُلُّ صَعْبٍ يَهُوْنُ[٢]

حَدِّثُوا النَّفْسَ بالجِهــادِ دَوامًــا ليس للمَرْءِ قَوْلُ "كُنْ" فَيَكُـــونُ[٣]

---

[١] بعد البيت في (أ) و(ب):

لا انسحابٌ مِنَ الأراضيْ ولكنْ مِنْ أراضٍ يَحْتَلُّها صــهيونُ

آمَنَتْ بالسِّــلْمِ الشُّعُوبُ، ولكنْ بَيْنَ عِزّ الإسلامِ والغَدْرِ بَوْنُ

[٢] موضع هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه متأخر في (أ) و(ب) عن موضعها هاهنا، وبينها هناك أبيات غير موجودة هنا. فبعد البيت الأول:

لا تــذِلُّوا فالـــذُّلُّ للحُـــرِّ مُـــرٌّ لا تَلِيْنُوا ولـــو يُحَـــزُّ الـــوَتِيْنُ

واقرؤوا في التاريخِ ما فَعَل الأجْـــ ـــدادُ إنْ كَشَّرَتْ وحانَ الحَـــيْنُ

فسِـــجِلّ الأجدادِ بالمَجْـــدِ فَعْـــمٌ في معانيـــهِ الجَوْهَـــرُ المَكْنُـــوْنُ

[٣] في (أ) و(ب): "لِيَعزَّ الدينُ ويَخْزَى الخَؤونُ". وبعده فيهما: "وصْمةُ العارِ تنتهي بجهادٍ ليس للمرءِ قولُ كُنْ فيكونُ".

لا قَراراتُ مَجْلسِ الأَمْنِ تُجْــدِيْ فَقَراراتُـــهُ خِــداعٌ وَمَــيْنُ
كُلُّ بَنْدٍ بَلْ كُلُّ حَــرْفٍ ولَفْــظٍ مَحْضَرٌ صِيْغَ مِنْ : "أَدانَ، يُدِيْنُ"[١]

* * *

يا شُواظَ المَراجِمِ مِــنْ حَمــاسٍ زَمْجِريْ واسْــتَعِدَّ يــا رابِــيْنُ[٢]
لا سَــلامٌ يُرْجَــى بِغَيْرِ جِهــادٍ كَــلاّ، فالحَلُّ مَبْدَأٌ مَأفُـــوْنُ[٣]

---

[١] وبعده في (أ) و(ب):

وسلاح "الفيتْو" يُــسَلُّ تباعًــا ضدَّكُم قد أحَــدَّهُ صــهيونُ
أعْلِنُوها شَعْواءَ لا صُــلْحَ فيهــا فلِقُدْسٍ في ذِمَّة الــدِّيْنِ دَيْــنُ
وَعَــدَ اللــهُ نَصْــرَهُ لأُنــاسٍ نَصَرُوْهُ وذاكَ وَعْــدٌ مُبِيْنُ

[٢] لم أعثر عليه في (أ) و(ب). ولا يستقيم الشطر الأول وزنيًّا إلا بإشباع كسرة الميم في "المراجم".

[٣] في (أ) و(ب): "بغير سلاحٍ".

لا يُقِرُّ الإسـلامُ سِـلْمًا هَـزِيْلاً   فيـهِ ذُلٌّ وفِيْـهِ عَـارٌ مُـشِيْنُ[١]
كَيْفَ يَحْلُوْ السَّلامُ بَعْدَ خُنُوْعٍ؟!   إنما السِّلْمُ غِبَّ ذلـكَ هُـوْنُ[٢]

* * *   * * *

---

[١] بعده في (أ) و(ب):

ليس بالحَرْبِ يَفْرَحُ المرْءُ لكـن   كيف أَحْيَا وليْ فؤادٌ طَعِـينُ؟!
هل نسينا مذابِحَ الأمسِ غَـدْرًا   ولماذا تُغَـضُّ عنـها الجُفُـونُ؟
...
دَيْرُ ياسينَ في القلـوب لَهيـبٌ   صِرْتَ رَمْزَ السلامِ يا (بِيْقِيْنُ)؟!
غادرٌ مُرْجِـفٌ عَـدُوٌّ لَـدُوْدٌ   ساغَ في فيكَ الغَدْرُ والغلْيُـونُ
أنتَ مَنْ نظَّمَ الحوامِـلَ صَـفًّا   لِيُماطَ السِّتْرُ وتُفْـرَى البُطُـونُ
كان مرأًى يا هَوْلَ ذلكَ مرأًى   حِيْنَ من بَطْنِها يُجَـرُّ الجَنِـيْنُ
...
يا لصَبْرا ويا لـشاتيلا صَـبْرًا   ما نسينا وكيف يَنْسَى المَـدِيْنُ
فالدِّمـاءُ التي هُرِيقتْ سِـفاهًا   في قُلُـوْبِ الأجيـالِ دَيْنٌ ثَمِيْنُ

[٢] في (أ) و(ب): " السلام من بعد هذا إنما السلم بعد ذلك". و فيهما بعد هذا البيت الأبيات التالية، ويلحظ انفـراد إحدى النسختين أحيانًا بما ليس في الأخرى، وقد أشير إلى ذلك بعلامة (+)، مع بعض الاختلاف بينهما أحيانًا تقديمًا وتأخيرًا، أو في بعض المفردات:

(+ب): قالها الأرزُ في الجِبالِ العوالي — بل حكاها الرُّمّانُ والليمونُ

.... يا ديارَ الخليلِ يا أرض عيسَى — يا عُرُوْشَ الأعنابِ بل يا عُيُوْنُ

(أ) و(ب): صَرْخَةُ الثأْرِ في الفضاء تُدَوّيْ — ردَّدَتْ صوتَها قُبا والحُجُونُ

.... صخرةُ القُدْسِ تقدحُ الثأر نارًا — مثلما يَقْدَحُ الشرارَ القُيُونُ

.... وفلسطينُ ثورةٌ وفِداءٌ — وتَحَدٍّ وهَجْمَةٌ وكَمِيْنُ

(+ب): وشعار التضامن والتآخي — ضاعَ والجَوُّ ثائرٌ مَشْحُوْنُ

.... خَرَجَ الشعبُ زائرًا كالضَّواري — حَرِدَ السَّهْلُ والرُّبَى والحُزُوْنُ

.... والأراضي تَمُوْجُ مِنْ كُلّ صَوْبٍ — أينَ منها الأمانُ أينَ السُّكُونُ

(أ) و(ب): أين ملهَى صِبيانِها والصَّبايا — بينَ تلكَ الحُقُولِ أين القَطِيْنُ؟

.... يستغيثُ شيخٌ وتَنْدُبُ ثَكْلَى — ويئنُّ طِفْلٌ ويَنْدَى الجَبينُ

.... حَلَّ بعدَ السلامِ والأمنِ خَوْفٌ — ودمارٌ ورهْبَةٌ وجُنُونُ

.... يا صلاحَ الأبطالِ ما لصلاحٍ — لا يُجيبُ النِّداءَ يا حِطِّيْنُ؟!

.... هزمَ الكُفْرَ، والسلاحُ هوَ الإيـ — ـمانُ حَقًّا، والسيفُ والسِّكِّيْنُ

.... وبنَى للدِّيْنِ الحنيْفِ قِلاعًا — شامخات. والدِّيْنُ حِصْنٌ حَصِيْنُ

(+ب): لا تنالُ الشَّراذمُ مِنْ ذُراهُ — هُوَ أعلَى وهُمْ مَدَى الدَّهْرِ دُوْنُ

.... كمْ جوادٍ يَعْدُو مِرارًا ويَكْبُو — ثُمّ يَمْضِيْ وتَسْتَقِيْمُ الشُّؤُونُ

.... إنْ ضلَلْنا يَوْمًا عنِ الدَّرْبِ إنّا — مِنْ دواوينِ مجْدنا نَسْتَبِيْنُ

(أ) وب): أينَ عَصْرُ الزَّهْوِ المُذَهَّبِ للإسْـ — ـلامِ جيشٌ يَقُوْدُهُ هارونُ

.... يومَ كانتْ جحافلُ الفتْحِ تترَى — تَمْخَرُ البَحْرَ بالرِّجالِ السَّفِيْنُ

.... يومَ كانتْ عصائبُ الفتْحِ تَغْزو — ومِنْ الفَتْحِ باردٌ وسَخِيْنُ

.... يومَ أنْ كان مَهْيَعُ الحقِّ حَقًّا — لشبابٍ يَسْمُوْ به ويَصُوْنُ

.... حينَ قال الرَّشِيْدُ للسُّحْبِ قَوْلاً — هُوَ تِبْرٌ ولُؤْلُؤٌ ولُجَيْنُ:

....	"أمْطِريْ يا سحابةُ حيثُ شِئْتِ	فسيأتِيْ الخَراجُ أنَّى يكونُ"
....	فامتدادُ الإسلام شرقًا وغربًا	كان فضْلاً ممّنْ بهِ نستعينُ
....	ذلك العَصْرُ عَصْرُ نورٍ مُشِعٍّ	شَهِدَتْهُ بغدادُ والمأمونُ
....	نتغَنَّى بهِ كأَسْمَى وِسامٍ	يا تُرَى هل تَعُوْدُ تلكَ القُرُوْنُ؟
....	حَزَني بَعْدَ ذاكَ يأتِي زَمانٌ	يَتَفَشَّى فيهِ الشِّقاقُ المُهِينُ
....	نَتْبَعُ الغَرْبَ مُحْتَذِيْنَ خُطاهُ	يَنْفُثُ السّمَّ بيننا التِّنِّيْنُ
....	ونُباهي بالشَّرْقِ والشَّرْقُ شَرٌّ	مَسْرَحٌ حاميهِ خَبِيْثٌ لَعِيْنُ
....	نُشرَتْ فِكْرَةُ التَّقَدُّمِ فينا	والشِّعاراتُ والكلامُ الهَجِيْنُ
....	فانصَهَرْنا في مَنْجَمِ الغَرْبِ طَوْعًا	وانغَمَسْنا وسَمَّمَتْنا الأُتُونُ
....	وعَكَفْنا على السَّفاسفِ منهُمْ	واستُسيغَ الغَثُّ ومُجَّ السَّمِيْنُ
....	وأخَذْنا من زيْفِهِمْ كُلَّ شَرٍّ	مستطِيْرٍ، وللجنُونِ فُنُوْنُ
....	شَكَّكُونا في الدِّيْنِ حِقْدًا وخُبْثًا	وادَّعَوا أَنَّهُ هُوَ الأَفْيُوْنُ
....	عَلَّمُوْنا فَنَّ الأُنُوثَةِ حتّى	جَرفَتْنا البَهارِجُ والفُتُوْنُ
(+ب):	أَخْمَدُوا الجَذْوَةَ الشريْفَةَ فِيْنا	وأماعوا الطِّفْلَ وطُمَّ العَرِيْنُ
....	فَرَّقُونا وصارَ بعدَ التآخيْ	والتَّصافِيْ والوُدِّ هَجْرٌ وبَيْنُ
....	وأتانا التيارُ مِنْ كلِ صَوْبٍ	يَمْتَطِيْهِ "اللِّيْكُودُ" و"الماسُونُ"
(أ) و(ب):	عَرَضُونا كسِلْعَةٍ في مَزادٍ	والمُنادي يصيْحُ أينَ الزَّبُوْنُ؟!
(+ب):	سُوْقُنا لم يَكُنْ بهِ مِنْ رَواجٍ	بل كَسَادٌ وبائِعٌ مَغْبُوْنُ

يا إلاهيْ ومِرْجَلُ العَــصْرِ يَغْلِــيْ   لَكَ يا رَبُّ تَــشْرَئِبُّ العُيُــوْنُ[١]

في دُرُوْبِ الجِهادِ ثَبِّتْ خُطَى مَنْ   هُوَ- يا رَبِّ- بالجِهــادِ قَمِــيْنُ

لَكَ تَعْــنُوْ الجِبَــاهُ عِــــزًّا وذُلاًّ   في شُموْخِ الذُّرَى وأَنْتَ المُعِــيْنُ

(أ) و(ب):   فاشترانا بالبَخْسِ شَرْقٌ وغَــرْبٌ   واحتوانــا يــسارُهُم والــيَمينُ

....   فارتَوَيْنا مِنْ مَنْهَلِ السُّــمِّ حتّــى   خَدَّرُونا والدّاءُ داءٌ دَفِيْــــنُ

[١] في (أ) و(ب) مكان هذا البيت والبيتين بعده:

يا مليكيْ ومِرْجَلُ العصر يغلي   لك يا فَهْدُ تشرئبُّ العُيُــونُ

ولِخَوضِ الجهادِ تهفُو وتــدعُو   لكَ إذْ أنتَ بالجِهــادِ قَمِــيْنُ

أنتَ للدِّيْنِ رائــدٌ ونَــصيرٌ   ورجاءٌ وأنتَ فيــه الأمــينُ

سِرْ على الدَّرْبِ فالصراطُ قَويمٌ   منهجٌ واضِــحٌ ورأيٌ رَزيــنُ

بشِــعارِ مِنْ مَوْرِدِ الطُّهْرِ صافٍ   لا شــعار يختارهُ "لينــــينُ"

وفي (ب) تعديل بالقلم للشطر الأول من البيت ما قبل الأخير، هكذا: "يا أبا فيصل، وما أنتَ إلاّ"، وتعديل للشطر الأخير من البيت الأخير، هكذا: "سلسبيلٌ تعبّ منه السنينُ".

لقاء في الوقت الضائع

بَيْنَ الرِّياضِ رِياضِ البُنِّ والبَانِ ... وفي جِنانٍ جنانٍ ذات أَفْنَانِ[١]

وفي رِحابٍ تَناهَى حُسْنُها وغَدَتْ ... كَحُلَّةٍ نَمْنَمَتْها كَفُّ فَنَّانِ

وتحتَ قَطْرِ النَّدَى مِنْ كُلِّ حَانِيَةٍ ... وفَوْقَ زَهْرِ الرُّبَى مِنْ كُلِّ بُسْتانِ

والماءُ يَنْسابُ في السَّاحاتِ مُنْسَكِباً ... أَنْغَامَ قِيْثارةٍ في هَمْسِ أَلحانِ

والدَّوْحُ يَخْطُرُ في الأَرجاءِ مُنْتَشِياً ... تَشَابَكَ الأَيْكُ أَغْصاناً بأَغْصانِ

والطَّيْرُ يَصْدَحُ بالتَّغْرِيْدِ مُبْتَهِجاً ... كأنَّ أَنْغامَهُ تَطْرِيْبُ عِيْدانِ

ذاكَ البِساطُ المُوَشَّى رِيْحُهُ عَبِقٌ ... بناجِمِ الزَّهْرِ مِنْ شِيْحٍ ورَيحانِ

تلكَ الرُّبُوْعُ سَقَتْها كُلُّ سارِيَةٍ ... بِوابِلٍ مِنْ صَبِيْبِ المُزْنِ هَتَّانِ

شُغِفْتُ بالمَنْظَرِ الخَلاّبِ في وَطَنِي ... ولستُ أَرْضَى بِلاداً غَيْرَ أَوْطانِي

* * * * *

---

[١] كذا في الأصل المنسوخ بالآلة الكاتبة، وربما كان: "وفي الجنانِ جنان ذات أفنانِ"؛ لمصاقبة "بين الرياض رياض...".

في غدوةٍ مِنْ رَبيْعِ العُمْرِ مُفْعَمَـــةٍ ... بالحُبِّ للحبِّ مِنْ أَهْـــلٍ وجيْـــرانِ
بينا أنا في حُقولِ الزَّرْعِ يَلْحَظُـــني ... مَنْ في زَمانِ الصِّبا قَدْ كانَ فَتَّـــاني
هَيْفاءُ طَلْعَتُها كالـــشمسِ بازِغَـــةٌ ... ووَجْهُها وضِـــياءُ الـــصُّبْحِ سِـــيَّانِ
غَيْداءُ فـــاتِرَةُ الجَفْنَـــيْنِ ناعِمَـــةٌ ... نَقيَّـــةُ البُـــرْدِ أَهواهـــا وتهـــواني
عَنَّتْ على القُرْبِ تُهديْني تحيَّتَهـــا ... في غَفْلَةٍ عَنْ عُيُونِ الظَّـــالِمِ الجـــاني
بَدْرُ الـــدُّجَى يَتَثَنَّـــى في تَأَنُّقِـــهِ ... يمشي الهُوَيْنَى محـــاذاتي.. وحَيَّـــاني
حَيَّتْ وفي خَجَلٍ بَثَّتْ لواعِجَهـــا ... قالتْ: أَتَعْرِفُ عَنْ بُؤْسِي وحِرماني؟
تَرَكْتَني تُهْتُ في بَيْـــداءَ مُوْحِـــشَةٍ ... أَخْلُو بفِكْري وآلامـــي وأحـــزاني
وطارَحَتْني أحاديثَ الهَوَى وحَكَتْ ... أَيَّامَنـــا الغُـــرَّ إذْ نحـــنُ صَـــبِيَّانِ
أيامَ كانتْ لنا الأحـــلامُ مُنْطَلَقـــاً ... كُلٌّ يُفَكِّـــرُ فيمـــا يُـــسْعِدُ الثَّـــاني
أيامَ كانتْ ليالِيْ العِيْـــدِ مُجْتَمَعـــاً ... في مَحَفَلٍ بَيْنَ أَحْبَـــابٍ وأَخْـــدانِ
أيامَ كانتْ مراعيْ الحَقْـــوِ مُنْتَجَعاً ... نَقْضِيْ لَيالِيْ الصِّبا في دِفْئِهِ الحـــاني

أيامَ كُنَّا نُـــضِلُّ الـــسَّرْحَ ســـائِمةً إذْ نحنُ طِفلانِ في المَلْهَى أَلِيْفانِ[١]

* * * * *

قالتْ ومِنْ عَيْنِها تَنْـــسابُ لُؤْلُـــؤَةٌ أينَ الصَفِيُّ الذي بالوُدِّ أصفاني؟!

قد كُنْتَ شَبَّابةً، أَنْفِيْ بها سَـــأَمِي أَسْلُوْ بأنغامِها إنْ عَـــزَّ سُـــلْواني

وكُنْتَ أُنْشُوْدَةً أَشْكُو بهـــا أَلَمِـــي في وَحْدَتِيْ عندَما تَزْدادُ نِيْـــراني

وكُنْتَ قيثارةً أَشْدُو بهـــا طَرَبـــاً دَقَّاتُ أوتارِها قَلْـــبي ووِجْـــداني

كُنْتَ التواضعَ في أَرْقَى مَدارجِـــهِ وقد تَكَبَّرْتَ إذْ أَصْبَحْتَ ذا شَانِ

* * * * *

ظلَّتْ تُسائلني هَلْ أنتَ تَـــذْكُرُني؟ يومَ الوداعِ وهَلْ ما زِلْتَ تَهواني؟

يومَ الوداعِ وقد حاولتُ في عَبَـــث أنْ أَمْسَحَ الدَّمْعَ مِنْ خَدَّيْ بأَرداني

مَدَدْتُ كَفِّيَ للتَّوْدِيْـــعِ مُرْتَعِـــشاً كادتْ تشَلُّ مِنْ الإعياءِ أَرْكـــاني

وعُدْتُ كالطَّيْرِ قَدْ قُصَّتْ جوانحُهُ أو والغٍ في شَرابِ الإثمِ نَشْـــوَانِ

---

[١] ضُبطت الكلمة في الأصل: "نضَلُّ"، ولعل الصواب: "نُضِلُّ".

عَضَّتْ أناملَها في لَهَفَـــةٍ وبَكَـــتْ فحرَّكَتْ مِنْ نِيَاطِ القَلْبِ أَشْجاني
تقولُ : حَسْبي على مَنْ كانَ فَرَّقَنا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ سِوَى أَنَّـــا حَبِيْبَـــانِ
قُلْ لِيْ بِرَبِّـــكَ حَقًّـــا لا مُجامَلَـــةً رَأْيَ الصَّراحَةِ يَهْدِيْ كُلَّ حَيْـــرانِ
ما ذَنْبُ مِسْكِيْنَةٍ تَشْكُوْ الغَرامَ وقَدْ أَضْحَتْ مُقَيَّدَةً في بَيْتِ سَـــجَّانِ؟
يا وَيْلَها إنْ أَطلَّتْ مِـــنْ نَوافِـــذِهِ السَّوْطُ يُلْهِبُهَا مِنْ كَفِّ سُـــلْطانِ
تَبْكِي مِنَ الحُزْنِ حتى جَفَّ مَدْمَعُها إنْ غاضَتِ العَيْنُ فاضَتْ بالدَّمِ القَاني
يا سُوْءَ حَظِّي أَبِيْتُ اللَّيْلَ ســـاهِرَةً أنا ودَمْعِـــيْ وجِلْـــفٌ يَتَحَـــدَّاني
هذا جَزاءُ الذي يَنْـــسَى عواطِفَـــهُ تُعْمِيْهِ جَوْهَرَةٌ في بَطْـــنِ ثُعْبَـــانِ!

* * * * *

قالتْ: مَزِيْـــجٌ مِنَ الأَفْكارِ تَعْصِرُني وعاصِفُ الحِقْدِ طُوْفَانٌ بِطُوْفَـــانِ!
هَلْ أَتْرُكُ المَخْدَعَ المَشْؤُوْمَ ناشِزَةً؟ وأُخْبِرُ الناسَ عَنْ كُرْهِيْ وعِصْياني
أَمْ شَرْبَةٌ مِنْ زُعافِ السُّمِّ تُنْقِذُني؟ ويُعْلَنُ النَّعْـــيُ للقاصِـــيْ وللدَّاني

أَمْ أُحْرِقُ المَنْـــزِلَ المَلْعُـــوْنَ ناقِمَـــةً؟ أَمْ أَرْتَمِيْ لِحَبِيْبِي بَـــيْنَ أَحْـــضَانِ؟

مَوْجٌ مِنَ الفِكْرِ يُغْرِيْنِي ويَهْتِـــفُ بِـــيْ والنَّفْسُ تَأْمُرُنِيْ طَـــوْراً وتَنْهَـــانِي

لكنَّهـــا عِفَّـــتِي تَـــأْبَى وتَمْنَعُنِـــيْ عَمَّا يَشِيْنُ وما يَـــدْعُوْ لِنُقْـــصَانِي

ومَحْتِـــدِي وانْتِمَـــائِي لا أُدَنِّـــسُهُ هذا ودِيْـــنِيْ وأَخلاقِـــيْ وإِيمَـــانِي

لَوْ كُنْتَ قُرْبِيَ تَهْـــدِيْنِيْ وتُرْشِـــدُنِيْ تُمِيْطُ عَنِّي دُخاناً كَـــانَ أَعْمَـــانِي

لَمَّا تَرَدَّيْـــتُ مِـــنْ عَلْيَـــاءَ شَـــاهِقَةٍ في غَابَةٍ بَـــيْنَ أَشْـــبَاحٍ وغِـــيْلانِ

لكنَّ بُعْدَكَ عَنِّي – جِدُّ – أَضْـــعَفَنِي وبَهْرَجٌ مِنْ رَنِـــيْنِ المَـــالِ أَغْـــرانِي

يا طَعْنَةَ العُمْرِ لا أَنْـــسَى مَواجِعَهـــا قَدْ كانَ ما كانَ والشَّيْطانُ أَغْوانِي

* * * * * * * * * *

سَلَّتْ لِـــسَاناً فَـــصِيْحاً فِي مُعـــاتَبَتِي ما كنتُ أَحْسَبُهُ في بِنْتِ عَـــدْنانِ

كَلاَّ ولا كُنْتُ أَدْرِيْ أَنَّـــنِي سَـــأَرَى لسانَها المُنْتَضَى في بِنْتِ قَحْطَـــانِ

أَلْفاظُها مِنْ شُـــواظٍ كُلُّهـــا لَهَـــبٌ تَكْوِيْ فُؤادِيْ وأَحْشَائِيْ وشِـــرْيَانِي

وأَخْرَسَتْنِيْ بِـــسِحْرٍ مِـــنْ بلاغَتِهـــا وأَلْجَمَتْ ناطِقِيْ عَـــنْ رَدِّ تِبْيَـــانِي

وكُنْتُ أَزْعُـــمُ أَنِّيْ حَـــاذِقٌ فَطِـــنٌ وأَنَّنِيْ سَـــوْفَ أَعْلُوْهـــا بِبُرْهَـــانِي

وكُلَّما كَرَّرَتْ ذِكْرَى لنــا غبَــرَتْ   يكونُ رَدِّيْ عليها غَمْضُ أَجْفــاني

قَدْ ضَاقَتِ الأرضُ بِيْ ذَرْعاً بما رَحُبَتْ   وأجَّجَتْ نارُها أحــشاءَ سَــلْمَانِ

وأَظْلَمَ الــصُّبْحُ في عَــيْنِيْ وأَقْلَقَنِــيْ   صَوْتٌ قَدِيْمٌ مِنَ الأَعْماقِ نــاداني

تَجَمَّدَتْ في فَمِيْ كُــلُّ البَلاغَــةِ إنْ   عالَجَتُ لَفْظاً لِسَانُ النُّطْقِ أَعْيَــاني

وفي غِمارٍ مِــنَ التَّفْكِيْــرِ أَسْــعَفَنِيْ   حَزْمِيْ وعَزْمِيْ وأَفكاريْ وإنــساني

فقُلْتُ يَكْفِيْ بنَفسِــيْ أنَّها هَجَــرَتْ   كُلَّ الأَحِبَّــةِ مِنْ أَهْــلٍ وخِــلاَّنِ

وحينمــا قَــدَّرَ الــرحمنُ فُرْقَتَنــا   تَرَكْتُ في عَهْدِكُمْ قلبيْ وعُنْــوَاني

لكنْ رأيتُمْ سَحابَ الصَّيْفِ فانْبَهَرَتْ   عُيُوْنُكُمْ بِبَرِيْــقِ الخُلَّــبِ الفَــاني

* * * * *   * * * * *

للهِ صَبْرِيْ وأحلاميْ وقَــدْ بَعُــدَتْ   عَنْ أَرْضِ رَبْعِي وأَصْحَابِيْ وإِخْوَاني

لم أَرْتَكِبْ في قَرَارِ الهَجْرِ مِنْ خَطَــإٍ   لكنْ جَفافُ هَواكُمْ كانَ أَظْمَــاني

أَقُوْلُ إنْ كانَ ذَنْبِــي أَنَّنِــيْ رَجُــلٌ   أَنِفْتُ بَيْعَ الهَوَى مِنْ غَيْــرِ مِيْــزَانِ

فَسَامِحِيْنِي! وأَرْجُوْكِ، كَفَــى عَتَبًــا!   فما نَسِيْتُ وليسَ الغَدْرُ مِنْ شَــاني

طُرْقُ الوَفَا قِيَمِيْ، حُبُّ الصَّفَا شِيَمِيْ،   والوُدُّ يَنْــشُرُهُ في الأَرْضِ دِيْــوَاني

وكَيْفَ أَنْسَى وفي قَلْبيْ مَــوَدَّتُكُمْ؟! وفي كِيانيْ، وفي سِــرِّيْ، وإعْــلاني
لكنْ مِنَ الحَزْمِ أَنْ نَرْضَــى بواقِعِنَــا إنَّــا قَرِيْبَـــانِ لكِنَّـــا غَرِيْبَـــانِ!

* * * * *

وحِيْنَما صَدَّقَتْ قَــوْليْ ومَعْــذِرَتِيْ وأَنَّ رِيْحَ الهَــوَى تَجْــرِيْ بــأَلْوانِ
تَبَسَّمَتْ بَــسْمَةً خَجْلَــى مُؤَدَّبَــةً تَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُــؤٍ في عِقْــدِ مَرْجَــانِ
وجَــاذَبَتْنِي وقالَــتْ لِيْ مُعَبِّــرَةً عَنْ حَرِّ لَوْعَتِها : الهَجْــرُ أَضْــنَاني
والوَجْدُ أَنْحَلَني، والشَّوْقُ أَسْهَرَني، والبُعْدُ أَهْزَلَنِــيْ، والبَــيْنُ أَفْنَــاني
يا مُنْيَةَ الرُّوْحِ، يا حُبِّي، ويا أَمَلِــيْ، يا بَلْسَماً لجِراحِيْ، هَلْ سَتَنْــسَاني؟
عَسَى لِقاءٌ بُعَيْــدَ النَّــأْيِ يُــسْعِدُنا نَجْنِيْ ثِمَارَ الهَوَى مِنْ غُصْنِه الدَّاني!
ونَــشْرَبُ المَــاءَ رَقْرَاقــاً فَيُنْعِــشُنا تَبَادُلُ الكَأْسِ يَشْفِيْ عِلَّــةَ العَــاني!

* * * * *

هذي الحِكايَةُ أَرْوِيْها كَمَا حَــدَثَتْ لَيْسَتْ خَيَالاً، ولا وَسْوَاسَ شَــيْطَانِ
أَلْفاظُها بِعَبِــيْرِ الصِّــدْقِ نافِــحَةٌ فَلَمْ أُطَــرِّزْ حَواشِــيْها بِبُهْــتَــانِ

ولم أُنَمِّـــقْ عِبـــاراتٍ مُلَفَّقَـــةً ... أَخْتَارُ أَحْداثَها مِنْ كُـلِّ مَيْـدَانِ

* * * * * ... * * * * *

يا جامعَ الشَّمْلِ يا رحمنُ يا سَـنَديْ ... أَشْكُوْ السَّقَامَ بجسْمٍ ناحِـلٍ فَـانِ

كَرِيْشَةٍ في مَهَبِّ الرِّيْحِ تَعْـصِفُ بيْ ... هَوَاجِسُ الشَّوْقِ تَفْرِيْ قَلْبَ وَلْهَانِ

أَهْوَى الصِّبا والصَّبَايَا والهَوَى عَجَبٌ ... إنْ حَطَّ تَرْحالَهُ في قَلْـبِ هَيْمَـانِ

والعِشْقُ في مَعدنِ الأَحْيَـاءِ مُنْـزَرِعٌ ... غَرِيْزَةٌ بَـذْرُها في كُـلِّ إنْـسَانِ

ولَسْتُ أَشْكُوْ لغَيْرِ اللهِ مِـنْ أَحَـدٍ ... سَكِيْنةُ اللهِ في الـلآواءِ تَغْـشَاني

والنَّفْسُ عِنْدَ التَّمـاديْ في غِوايَتِهـا ... أَجْلُـوْ عَمَاهَـا بتَعْوِيْـذٍ وقُـرْآنِ

أَشُدُّها بزِمَـامِ النُّبْـلِ إنْ قَـصَدَتْ ... سُوْءًا وفَيْضٍ مِنَ التَّهْـذِيْبِ رَبَّـاني

يَخْبُـوْ لَظَـاها، وذِكْرُ اللهِ يُخْمِـدُهُ ... حتى ولو كانَ مِنْ نِيْـرَانِ بُرْكَـانِ

حماك الله يا عيني شقيقي !

حماكِ اللهُ يا عَيْنَـــيْ شَــقِيْقِيْ   وزَهْرَةَ عَمِّكِ وسَوَادَ عَــيْنِي[١]
وأبقـــاكِ وإخوتَـــكِ مَنَـــاراً   لهذا البَيْـــتِ في أَدَبٍ ودِيْـــنِ
إذا ضاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ ذَرْعاً   أَزَلْتُمْ ضِــيْقَةَ العَــمِّ الحَــزِيْنِ
وإنْ كُنْتِ وإخوتُكِ بقُرْبِــيْ   غَسَلْتِ الهَمَّ مِنْ أَصْفَى مَعِــيْنِ
أَرَى نُوْرَ الصَّبَاحِ يَلُوْحُ لَمَّـــا   أَراكُمْ عَنْ يَسارِيْ أو يَمِــيْنِي
وأَنْوَارُ الــسَّعَادَةِ في فُــؤادي   تُضِيْءُ بقُرْبِكُمْ في كُلِّ حِــيْنِ
أنا يا بِنْتَ صِنْوِيْ لستُ ضَيْفاً   أنـــا مِنْكُـــمْ بمَنْزِلَـــةِ الوَتِيْـــنِ

---

[١] هذه القصيدة لم أقف على نسخة أخرى لها. وهي مكتوبة بخط الشاعر، غير مضبوطة بالشكل. لكـــنّي أقـــدّر أن كاف المخاطب في القصيدة هو للمؤنث- وعلى ذلك ضبطتُ القصيدة- بدليل ما يرد في البيت السابع. وبـــذلك ينتفي ما قد يُلحظ في كلمة "عمّك" في الشطر الثاني من البيت الأول- وكذا في كلمة "كنت" من البيت الرابع- من ضرورة إشباع ثقيلة، لو كان المخاطب مذكّرًا. كما ينتفي ما قد يبدو في البيت الأول من عدم اتساق المعـــنى بـــين الإشارة إلى "الشقيق" ثم الإشارة إلى "العمّ".

فأَرْجُــوْ أَنْ تَعُدُّوْنِيْ كَفَــرْدٍ من اهْلِ البَيْتِ فِي غَضَبِيْ ولِيْنِي[١]
وإلاَّ فإنَّني حَتْمــاً سَأَشْــقَى كما يَشْقَى أَخُوْ فَقْرٍ ودَيْــنِ[٢]
فيا رَبَّ البَرِيَّــةِ زِدْ وبــارِكْ وشُـــدَّ الأَزْرَ بَيْــنَكُمُ وبَــيْنِي
وأَفْيَاءُ السّــلامِ تُظِلُّ دَوْمــاً عُمُوْمَ الأَهْلِ والسَّكَنِ الحَصِيْنِ!

◎◎

---

[١] تُسهّل همزة "أهل"، كي يستقيم الوزن.
[٢] كذا في الأصل، وصواب وزنه: "وإلاّ إنَّني حَتْماً سَأَشْقَى". إلاّ إنْ لم تُنطق الألف الأخيرة من "إلاّ".

أنا الكشاف

أنا الكَشَّافُ دِيْنُ الحَقِّ دِيْنِـــي | لغَيْرِ اللهِ لا أَحْنِيْ جَبِيْنِـــــي
ففي شَأْنِي كِتابُ اللهِ هَـــــادٍ | يُنِيْرُ الـــدَّرْبَ لِيْ في كُلِّ حِيْنِ
ولِـــيْ في المُصْطَفَى خَيْرُ اقْتِدَاءٍ | خُطَى دَرْبِيْ على نَهْجِ الأَمِيْنِ
ولِيْ قَلْـــبٌ أَغَـــــذِّيْهِ بِنُـــوْرٍ | مِنَ القُرآنِ وَهَّاجٍ مُبِيْـــــــنِ
سِلاحِيْ صَارِمٌ مِنْ آيِ رَبِّـــي | على البَاغِيْ وَسيْفِيْ فِي يَمِيْنِي
أنا الكَشَّافُ دِيْنُ الحَقِّ دِيْنِـــي | لغَيْـــرِ اللهِ لا أَحْنِيْ جَبِيْنِـــي

* * * * *   * * * * *

مَعِيْنٌ في الشـــَّدائدِ كُلُّ فَـــرْدٍ | وبـــانٍ للعُلا مَجْـــداً بمَجْدي
شِعارِيْ الحُبُّ والإخلاصُ دَأْبِي | وأَخلاقِيْ الوَفَا مِنْ غَيْرِ حَـــدِّ
بِلادِيْ حُبُّها يَنْمُوْ بقَلْبِـــــــي | سَأَحْمِيْها بإِيمانِيْ وجُهْـــــدِي
أنا رُوْحُ الجِهـــَادِ بكُـــلِّ فَـــجٍّ | على شَرْعِ الفِدا أَعْطَيْتُ عَهْدي

أنا الصَّمْصَامُ في قَلْبِ الأَعادي ... أنا الإِعْصَارُ في يَوْمِ التَّحَــدِّي
أنا الكَشَّافُ دِيْنُ الحَقِّ دِيْنِــي ... لغَيْرِ اللهِ لا أَحْــنِيْ جَبِيْنِــــي

* * * * * ... * * * * *

ســأُفْنِيْ العُمْرَ في طَلَبِ المَعَالي ... مُبِيْداً مُهْجَتِيْ ودَمِيْ ومَــالِي
لأَجْلِ اللهِ والأَمَلِ المُــرَجَّــى ... وفي الإسلامِ حِلِّيْ وارْتِحــالي
مُجِيْباً إنْ دَعَــا الدَّاعِيْ سَرِيْعاً ... فلا أَخْشَى النِّزالَ ولا أُبالِــي
ففي الإسلامِ نَصْرِيْ واعْتِزازي ... وفي الإسلامِ صَبْرِيْ واحْتمالي
سَأَحْظَى بالشَّهادَةِ في ثَــبَاتٍ ... وإقْــدَامٍ، كذا شَأْنُ الرِّجَــالِ
أنا الكَشَّافُ دِينُ الحَقِّ دِيْنِــي ... لغَيْرِ اللهِ لا أَحْنِــيْ جَبِيْنِــي

تحية وتقدير

يَسْمُوْ الفَتَى بالعِلْمِ والإيمانِ ... وكذا الفَتَاةُ هِيَ الجَنَاحُ الثَّاني

صِنْوَانِ في الدُّنْيا تَفَجَّرَ مِنْهُمَا ... نَهْرُ الحَضارةِ لِبَنِيْ الإِنْسَانِ[١]

أَيَجُوْزُ في الشَّرْعِ الشَّرِيْفِ لِعَاقِلٍ ... أَنْ يَحْصُرَ التَّعْلِيْمَ في الفِتْيَانِ؟!

قَدْ شَرَّفَ اللهُ النِّسَاءَ بِسُوْرَةٍ ... وأَعَزَّهُنَّ بِمُحْكَمِ القُرآنِ

حَوَّاءُ يَحْدُوها الطُّمُوحُ لَعَلَّها ... تَبْنِيْ كِياناً ثابِتَ الأَرْكَانِ

أَوَمَنْ[٢] يُرَبِّي النَّشْءَ أَيَّامَ الصِّبا ... ويُمِدُّهُ بالحُبِّ والإيمانِ؟!

غَيْرُ التي بَذَلَتْ عُصَارةَ رُوْحِها ... للهِ في عَمَلٍ وفي إِحْسَانِ

أُمِّ النَّبِيِّيْنَ الذينَ تَحَصَّنُوا ... بالطُّهْرِ مِنْ رَفَثٍ ومِنْ أَدْرانِ

أُمِّ البَنِيْنَ والبَنَاتِ[٣] ومَوْئِلٍ ... عِنْدَ الشَّدائدِ للكَسِيْرِ العَاني

---

[١] كذا، واستقامة وزنه: **نهرُ الحضارةِ في بني الإنسانِ**.

[٢] كذا في الأصل، ولعل الأصوب هنا: " أَمْ مَنْ ".

[٣] حدث في تفعيلة البحر الكامل هاهنا الوَقْص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وهو زحاف ثقيل، حُكْمه عند العَروضيين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه، وكان يمكن أن يكون هذا الشطر: "أُمّ البنينَ معَ البناتِ وموئل". كما أن العبارة لو جُعلت بصيغة: "أُمّ البناتِ والبنين"، لكان أخفّ، ولكانت الضرورة في إشباع كسرة التاء من

أُمِّ المُلُـــوْكِ، وأُمِّ كُـــلِّ مُجاهِـــدٍ، أُمِّ الحُمَـــاةِ القَـــادَةِ الـــشُّجْعَانِ

أُمِّ العبادِ الـــسَّاجِدِيْنَ وُجُـــوْهُهُمْ تَعْنُـــوْ لِمُبْـــدِعِ هـــذِهِ الأَكْـــوانِ

أُمِّ الشَّهِيْدِ يَفُوْحُ مِـــنْ شِـــرْيَانِه مِـــسْكٌ وَمَنظَـــرُهُ نَجِيْـــعٌ قـــانِي

وإذا اســـتَنَارَتْ بـــالعُلُوْمِ فإِنَّهـــا تَسْمُوْ بِمُجْتَمَـــعٍ عَظِـــيْمِ الـــشَّانِ

بالدِّيْنِ والأَخْلاقِ تَقْتَحِمُ الـــرَّدَى لِتُقِيْمَ صَـــرْحاً شـــامِخَ البُنْيَـــانِ

والعِلْمُ يَنْبُوْعُ الجَمِيْـــعِ ومَنْهَـــلٌ يَرْوِيْ لَهِيْبَ الظَّـــامِئِ العَطْـــشَانِ

والعِلْمُ تَهْذِيْبٌ، ونَـــشْرُ فَـــضِيْلَةٍ، وحَصَانَةٌ مِـــنْ نَزْغَـــةِ الـــشَّيْطانِ

فَتَحِيَّـــةً للعـــامِلاتِ بِهِمَّـــةٍ مَقْرُوْنَـــةً بالحُـــبِّ والعِرْفَـــانِ

ونَقُـــوْلُ لِلاَّتِي أَنَـــرْنَ طَرِيْقَنَـــا شُكْراً وتَقْدِيْراً مَـــدَى الأَزْمَـــانِ

"البنات" أسوغ من إشباع فتحة النون من "البنين"، غير أن الشاعر- مع موقفه المناصر لحقّ المرأة في التعليم والعمل- لم ير، وفق نسقه الثقافي، إمكانيّة تقديم "البنات" على "البنين"!

شُكْراً جَزِيْلاً مِنْ قُلُـــوْبٍ مَليئـــةٍ[1] حُبًّـــا شَـــذاهُ فـــاحَ بالرَّيْحـــانِ
والأَجْرُ عِنْدَ اللهِ يُجْزِلُـــهُ لِمـــنْ يَرْجُـــوْ ثـــوابَ الْمُنْـــعِمِ الدَّيَّـــانِ

📖 📖

---

[1] كذا، والبيت مكسور الوزن. استقامته:

شكرًا جزيلاً من قلوبٍ مِلؤُها حُبٌّ شذاهُ فاحَ بالرَّيْحانِ

رُؤَى في عينِ أُمِّها

يا رُؤَى يا حَبَّةَ القَلْبِ، ويا إِنْسَانَ عَيْنِـــي
يا نَميْرًا سَلْسَبِيْلاً سَلِسًا عَـــذْبَ المَعِـــيْنِ
دُرَّةٌ إنْ غِبْتُ عَنْها ضَجَّ قَلْبِـــيْ بـــالحَنِيْنِ
وَشْمَةٌ في خافِقِيْ كالخالِ في صافِيْ الجَبِيْنِ
يا شَذا الكاذيْ ويا أَنْسَامَ زَهْرِ اليَاسَـــمِيْنِ
يا ضِيَائِيْ إنْ سَجَى لَيْلُ الحَيَارَى يا يَقِيْنِي

* * *

يا نَعِيْمًا نامَ في قَلْبِيْ على أَوْتَـــارِ زَنْـــدِي
فَرْحَتِيْ يا مُهْجَتِي تَنْثَالُ في تَرْحِيْ وسَعْدِي
لَثْغَةٌ مِنْ مَبْسَمٍ أَسْمَى سَنًى مِـــنْ لازَوَرْدِ
حُلْوَتِيْ أَحْلَى مِنَ العُنَّابِ مَمْزُوْجًا بِشَهْدِ
يا حَيَاتِيْ يا رُؤًى تَخْتَالُ في نَوْمِيْ وسُهْدِي

قُرَّةَ العَيْنَيْنِ يا أَغْلَى مِنْ الشِّــرْيَانِ عِنْدِي

* * *

حِيْنَما تَمْشِيْ رُؤَى أَخْتَالُ زَهْوًا فِي رُؤاها

تُشْرِقُ البَهْجَةُ فِي عَيْنَيَّ إِنْ زادَتْ خُطاها

يَتَوارَى الهَمُّ عَنِّــيْ دائمًــا لَمَّــا أَراهــا

مُنْيَتِيْ يا رَبِّ أَنْ تَحْيَا حَيَــاةً لا تُــضَاهَى

تَحْتَ ظِلٍّ وَارِفٍ مِنِّي وتَسْتَرْعِيْ أَباهــا

كُلُّ أَبْنَائِيْ[١] بِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَتَبَاهَــى!

۞۞

[١] الأبناء: تنصرف إلى الذكور، على حين "الأولاد" تشمل الذكور والإناث. لذا كان المقصود هنا: "كُلّ أولادي".

دَوْرَة

يا دَوْرَةً مــا كــانَ أَتْعَــسَنِي   إذْ جئتُها طَوْعــاً وأَشْــقاني

ظَنَنْتُهــا عَــذْراءَ فاتنَــةً   فَحَرَّكَتْ شَوْقِيْ ووِجْــداني

وخِلْتُهــا حَــسْنَاءَ تَــرْقُبُني   فجئْتُهــا تَهْتَــزُّ أَرْكَــاني

وجَــدْتُها شَــمْطَاءَ مُــدْبِرَةً   حَمْقَاءَ كَسْلَى جسْمُها فَــانِ

قَدْ كَشَّرَتْ عَنْ نابِها وبَــدَتْ   كأنَّها مِنْ نَــسْلِ شَــيْطانِ

قَدْ شَاءَتِ الأَقْــدَارُ لِيْ أَنْ أَرَى   أَمْثَالَ (هَيَّانِ بْــنِ بَيَّــانِ)[١]

أَصْبَحْتُ بَعْدَ العــزِّ في عَمَلِــيْ   أَرْتَاعُ مِــنْ زَيْــدٍ وعَــلاَّنِ

مِنْ خَوْفِ "دُكْتُوْرٍ" يُهَــدِّدُني   أَوْ مِنْ مُعِيْــدٍ يَتَــحَدَّاني

---

[١] هَيّان بن بَيّان: عبارة يضربها العرب مثلاً لما لا يُعرف أصله ولا فصْله. قال شاعر، في وصف حرب: "وأعطت النَّهْبَ هَيَّانَ بنَ بَيَّانِ". وقيل: ابن هَيَّان وابن بَيَّان، كله بمعنى الخسيس من الناس، أو الذليل المجهول. وزعموا أن هَيَّ بنَ بَيٍّ من ولدِ آدم، ذهبَ في الأرضِ، لَمّا تَفرّقَ سائر ولد آدم، ففُقد، ولم يحسّ منه عينٌ ولا أثر. (يُنظر مثلاً: ابن منظــور، لسان العرب، (بيي)؛ العسكري، أبا هلال، جمهرة الأمثال، تح. محمّد أبي الفضل إبراهيم؛ عبــد المجيــد قطــامش (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٦٤)، ١: ٤٢).

كَــــأَنَّنِي بَيْنَهُمـــــا كُــــرَةٌ يَقْـــــذِفُنِيْ الأَوَّلُ للثَّــــــانِي

ورُبَّ "دُكْتُــورٍ" بُلِيْـــتُ بِــهِ أَخْلاقُـــهُ أَخْـــلاقُ سَـــجَّانِ

أُرِيْدُ حَـــرْفَ الـــدَّالِ أَسْـــأَلُهُ هَلْ رَابَهُ شَخْـــصِيْ وإِنْـــسَانِي

وهَـــلْ يَرَانِـــيْ عِنْـــدَهُ قَزَمـــاً الحَـــقُّ أنَّ الأَمْـــرَ يَخْفَـــانِي

يا وَاضِعَ المِنْهَاجِ كَيْـــفَ أَتَـــى هَلْ كَـــانَ مَوْزُوْنـــاً بِمِيْـــزَانِ

أَمِ ارْتِجــــالٌ فِي مُحاوَلَــــةٍ تَكْثِيْفَـــهُ فِي وَضْـــعِهِ الـــدَّانِي

هَلْ مَنْهَجُ الإِحْصَـــاءِ يَنْفَعُـــنِي أَمْ مَنْهَجُ التَّخْطِيْـــطِ مِنْ شَانِي

الرياض، ١٤٠٣هـــ.[١]

[١] أصل القصيدة مخطوط يتيم بخط الشاعر، من الواضح أنه لم يراجعه؛ لأنه– على طرافته– إنما يسجّل به تجربة شخصية، جاءَ نَظْمُه فيها أقرب إلى المعابثة. وتأريخ القصيدة ومكان كتابتها من عندي لا من قِبَل الشاعر؛ لأنـــني شـــهدتُ بنفسي ميلاد التجربة والنصّ، إبّان دورة في المناهج، لمديري المعاهد العلمية بالمملكة، عقدتها جامعة الإمام محمد بـــن سعود بالرياض، لمدة سنة دراسية.

رنين وأنين !

هاتِفِيْ ضَجَّ في الـــدُّجَى بـــالرَّنِيْنِ　　　وأنا مِنْـــهُ في خِـــصَامٍ مُبِـــيْنِ

كُلَّمَا "دَقَّ" طَيَّـــرَ النَّـــوْمَ عَنِّـــيْ　　　وإذا ما اسْتَراحَ نامَتْ عُيُـــوْني

آهِ يـــا صَـــاحِبِيْ تَـــأَدَّبْ قَلِـــيْلاً　　　لا تَكُنْ مُوْلَعاً بنَفْـــثِ الطَّنِـــيْنِ

ما لهذا أَدْخَلْتُـــكَ البَيْـــتَ أَهْفُـــوْ　　　"لِزَعِيْقٍ" في كُلِّ وَقْتٍ وحِـــيْنِ

كُنْتُ أَرْجُوْ وِصالَ كُـــلِّ حَبِيْـــبٍ　　　مَـــرَّةً في الأَسْـــبُوْعِ أو مَـــرَّتَيْنِ

فـــإذا أَنْـــتَ لا تُطِيْـــقُ سُـــكُوْتاً　　　أو سُكُوْناً في عُمْقِ لَيْلِ السُّكُوْنِ

* * * * *　　　* * * * *

قُلْتُ لا بَأْسَ سَوْفَ أَسْـــمَعُ مـــاذا　　　تَبْتَغِيْ بالتَّنْكِيْدِ يـــا "تِلِفُـــوْني"؟

ورَفَعْـــتُ الـــسَّمَّاعَةَ[١] فتَنَاغَـــتْ نَغَمَـــاتٌ تَـــزْدانُ بـــالتَّلْحِيْنِ
وعَـــلا صَـــوْتُ غُنَّـــة يَتَغَنَّـــى بأَهَازِيْجَ مِـــنْ نَـــشِيْدٍ رَصِـــيْنِ
فاسْتَحَالَتْ حَرارَةُ "الخَـــطِّ" نـــاراً وسَرَتْ في جَوَانِحَيْ تَكْـــوِيْنِي
* * * * * * * * * *
قُلْتُ والغَـــيْظُ قَـــدْ تَبَـــدَّدَ عَنِّـــي رُغْمَ أَنْفِيْ: أَهْلاً،"نَعَمْ"، حَدِّثِيْنِي
مَنْ مَعِيْ؟ ما المُرَادُ؟ قالَـــتْ: فَتَـــاةٌ تَتَسَلَّى وأَنْـــتَ مَـــنْ يُـــسْلِيْنِي
قُلْتُ مَهْلاً– خَـــلاك ذَمٌّ– فـــإِنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ صَوْتَ صَبٍّ حَزِيْنِ
أَنْتِ أَخْطَـــأْتِ نُمْـــرَةً فأَعِيْـــدِيْ [م] الرَّقْمَ أُخْرَى تَأَكَّدِيْ واسْـــتَبِيْنِي
فـــإِذا رَدَّ مَـــنْ تُرِيْـــدِيْنَ مِنْـــهُ [م] اللَّهْوَ لَيْلاً، "خَلاصِ" لا تَطْلُبِيْنِي
أَطْعِمِيْهِ مِنْ لَفْظِك العَذْبِ شَـــهْداً وتَـــسَلِّيْ بِـــهِ ولا تُـــسْهِرِيْنِي
لَسْتُ مِنْ صَـــيْدِكِ المُـــسَلِّي ولا لِيْ في خداعِ السَّرابِ ما يُرْوِيْنِـــي
مِنْ سِهامِ الشُّجُوْنِ قَلْبِيْ جَرِيْـــحٌ يا "ابْنَةَ النَّاسِ" لا تُثِيْرِي شُجُوْنِي

[١] لإقامة الوزن تُشبع حركة التاء من "السَّمَّاعة".

قالَتْ : "اللهُ"! صِرْتَ شَخْصاً وَقُوْراً ... مِنْ مَتَى أَنْتَ زاهِدٌ في الفُتُوْن؟!

قَدْ قَرَأْناكَ شَاعِراً عاطِفيًّا ... غَزِلاً مُغْرَماً بِنُجْلِ العُيُوْنِ

فاعْتَرِفْ! رُبَّ شاعِرٍ يَتَمَنَّى ... لَوْ يُغَنِّي ولَوْ بِشِعْرِ المُجُوْنِ

قُلْتُ: لا تَهْزَئِيْ فهذا شِعاريْ ... ودِثاريْ مِنْ فَضْلِ عَقْلِيْ ودِيْنِي

فأَنا لا أُحَبِّرُ الشِّعْرَ هُجْراً ... بَلْ شُعُوْراً مُعَطَّراً باليَقِيْنِ

* * * * *

أَرْدَفَتْ يا "فُلانُ" شَتَّتَ فِكْرِيْ ... هاجِسٌ حَالَ بَيْنَ حَظِّيْ وبَيْنِي

وخَيَالٌ يُصَوِّرُ الحُسْنَ قُبْحًا ... وجِنَانٌ يَقُوْدُنِي للجُنُوْنِ

أَشْرَبُ المَاءَ سَلْسَبِيْلاً زُلالاً ... وكَأَنِّي أَعُبُّ مِنْ غِسْلِيْنِي[1]

مُنْيَتِيْ أَنْ أَلْقَى دَوَاءً لِدَائِيْ ... وعلى الفَوْرِ مِنْ طَبِيْبٍ أَمِيْنِ

* * * * *

أَنا عُمْرِيْ "بالضَّبْطِ" عِشْرُوْنَ عاماً ... في رَبِيْعِيْ النَّضِيْرِ أَحْلَى سِنِيْنِي

ثَمَراتِيْ قَدْ أَيْنَعَتْ يا لَخَوْفِيْ ... مِنْ كَسَادِيْ إِنْ عَزَّ مَنْ يَجْنِيْنِي

شَأْنَ بَعْضِ الثِّمَارِ تَبْقَى زَماناً ... ثُمَّ تَذْوِيْ مِنْ بَعْدِ نُضْجٍ ولِيْنِ

* * * * *

[1] كذا، ولعل الصواب: "من غسلينِ".

قُمْتُ أَدْعُوْ وأَرْفَعُ الصَّوْتَ جَهْــراً ... شاعِرَ الحُــزْنِ والهَــوَى والحَنــيْنِ

ولَصَوْتُ الجَــرِيْحِ أَنْــدَى نــداءً ... كُلَّمـــا عَـــجَّ بالنَّحيْـــبِ الــدَّفِيْنِ

مِنْ كِتَابِ الأَسَى تَعَلَّمْــتُ دَرْســاً ... مَنْطقيَّـــا مُـــــسَطَّراً بـــــالأَنِيْنِ

* * * * *

إيْه يا شَاعِرَ الهَوَى قِــفْ رُوَيْــداً ... نَوِّعِ الــشِّعْرَ في جَمِيْــعِ الفُنُــوْنِ

اكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ مَلايِــيْنَ مِثْلِــيْ ... يَنْتَظِرْنَ الإِفْــراجَ مِثْــلَ الــسَّجِيْنِ

واكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ فَتَــاةٍ أُمِيْتَــتْ ... وفَتَـــاةٍ تُبَـــاعُ بَيْـــعَ الــضَّئِيْنِ

وفَتَـــاةٍ تُـــسَاقُ كَرْهـــاً لِبَعْـــلٍ ... هُوَ "بَغْلٌ" يَقُوْلُ هَيَّــا "اعْلِفيْنــي!"

وفَتَـــاةٍ قَـــدْ أُعْلِنَـــتْ في مَـــزَادٍ ... ثُمَّ نَادَوا : يــا صَــاحِبَ المِلْيُــون

بَعْـــدَ أنْ كــانَ سُــوْقُها في رَواجٍ ... وُئِـــدَتْ في لُعَـــاعِ دُنْيًـــا مَهِــيْنِ

و اكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ شَبَابٍ تَــرَدَّى ... في مَهَـــاوِيْ الــضَّيَاعِ والأَفْيُـــوْنِ

خَبْطَ عَشْواءَ في المَتاهَاتِ يَمْــشِيْ ... هائِمــاً يَرْتَــوِيْ بِكَــأْسِ المَنُــوْنِ

* * * * *

قُلْتُ: عَفْواً، يا مَنْ تُرِيْدِيْنَ شِــعْراً ... آخِرَ اللَّيْلِ، "ارْقُــدِيْ" واتْرُكِيْنِــي

واقْفِلِيْ "الخَطَّ" لَوْ سَمَحْتِ، "وفَضْلاً" ... بعدَ هذا، "أَرْجُوْكِ" لا تُزْعِجِيْنِــي!

أَنا عِنْدِيْ مِنَ الهُمُــوْمِ جِبَـــالٌ ... ومِنَ العَيْــشِ المُــرِّ مــا يَكْــفِيْنِي

☎

ظهران الجنوب

نَشَرَ أحدُ المدرّسين المصريّين قصيدة في صحيفة "الجزيرة"، وقد عُيّن في ظَهْران الجنوب، فبعثْتُ بهذه القصيدةِ لأخي مدير متوسّطة ظهران الجنوب، على وزن وقافية قصيدة المدرس المصري.

أَيُّها الطَّـائرُ المُهَـاجرُ أَهْـلاً ... بكَ ضَيْفًا حَلَلْتَ في ظَهْـران
أَيُّ وَكْرٍ وُفِّقْـتَ للْحِـلِّ فيْـه ... فُزْتَ بَيْنَ الأَحْبَابِ والخِـلاَّن
حُطَّ باسْمِ اللهِ رِحَالَكَ وأْمَـنْ ... مُسْتَزِيْدًا مِنْ صُحْبَةِ الإِخْـوَان
واحْمَـدِ اللهَ راضِـيًا مُطْمَئِنًّـا ... مُسْتَعِيْذًا مِنْ نَزْغَـةِ الـشَّيْطَان
أَنْتَ بَيْنَ الإِخْوان لَسْتَ غَرِيْبًـا ... الكِنَـانِيْ يَعْتَـزُّ بالْقَحْطَـاني
فَلَـكَ الجَـارُ والْمُقَـامُ المُهَنَّـا ... جِيْرَةُ اليُمْنِ مِنْ عُلَى هَمْـدَان
دَوْحَةُ المَجْد مُسْتَطَابٌ جَنَاهـا ... رَوْعَةٌ في تَـشَابُكِ الأَغْـصَان
قُلِّدَتْ في التَّارِيْخِ أَسْمَى وِسَـامٍ ... مِنْ "عَلِيٍّ" يَوْمَ التَقَى الجَمْعَـان
حِيْنَ أنْ كانَ للبَـسَالَةِ مَعْنًـى ... يَتَجَلَّـى في قُـوَّةِ الـشُّجْعَان

* * *

إيْهِ ظَهْرانُ، يا أَسِـيْرَةَ حُبِّـي لَـكِ مِنِّـي تَحِيَّـةُ الوَلْهَـانِ
لِيْ بأَرْضِ الرَّحِيْبِ حِصْنٌ مَنِيْـعٌ قُلْ لأَرْضِ الرَّحِيْبِ لا تَنْسَاني[1]
اسْمُها المُنْتَقَى يَفِـيْضُ جَمَـالاً ومِنَ الاسْمِ تُـسْتَمَدُّ المَعَـاني
رُبَّما اشْتُقَّ مِنْ رَحَابَـةِ صَـدْرٍ وأَرَاهُ التَّرْحِيْـبَ بالـضِّيْفَانِ

* * *

وَطَنٌ حَلَّ في فُؤَادِيْ (صَـغِيْرًا) وهُـوَ الآنَ ثابِـتُ البُنْيَـانِ
بَرَّحَتْ بِيْ لَوَاعِجُ الشَّوْقِ حَتَّـى جَرَّحَتْنِيْ وزَلْزَلَـتْ أَرْكَـاني
هُوَ في مُهْجَـتِيْ مَنَـاطُ الثُّرَيَّـا ومَدِيْـنٌ لَـهُ بِكُـلِّ كِيَـاني
عِشْتُ في رَوْضِهِ زَمانًا يَسِـيْرًا لا يَزَالُ صَـدَاهُ في وِجْـدَاني[2]

---

[1] الصواب نحويًّا: "لا تنسني". ولئن أُجيز هذا على سبيل الضرورة، ولاسيما في القافية، فقد كان يمكن أن يجعل الشطر مثلاً: "ليتَ أرضَ الرحيب لا تنساني".

[2] حركة اللام في كلمة "يزالُ" مشبعة.

وعلى أَرْضِهِ الطَّهُـورِ تَهَـادَتْ خطُـوَاتٌ تَـزْدَانُ بالإِيْمَـانِ

* * * * * *

يا بَـسَاتِيْنَهُ النُّـضَارَ، وأَحْلَـى مِنْ بَسَاتِيْنِه رَنِـيْنُ الـسَّوَاني

لَوْ تَأَمَّلْتَ آيَـةَ الحُـبِّ لَمَّـا عَانَقَ الطَّلْحُ أَغْـصُنَ الرُّمَّـانِ

أَوْ تَنَسَّمْتَ فَغْوَةَ الطِّيْـبِ لَمَّـا مازَجَ السِّدْرُ نَفْحَةَ الرَّيْحَـانِ

* * * * * *

جَلَّ مَنْ أَسْعَدَ العِبَـادَ وأَشْـقَى وقَضَى لِيْ البِعَادَ عَنْ أَوْطَـاني

هـذِهِ سُـنَّةُ الحَيَـاةِ ومَـا لِيْ غَيْرُ فَيْضٍ مِنْ رَحْمَةِ الـرَّحمنِ

وعَزَائِيْ الذِّكْرَى الجَمِيْلَةُ إِنِّـي أَسْـتَقِيْها كالوَالِـهِ الهَيْمَـانِ

* * * * * *

فسَلامٌ على العَـرِيْنِ ومَرْحَـى لِـشثاثٍ يـا قُـوَّةَ الـدَّيَّانِ!

لاحَ في الأُفْقِ شَـامِخًا عَبْقَرِيًّـا يَتَحَدَّى حَـوادِثَ الأَزْمَـانِ

وسَـلامٌ آلَ جـبيرٍ مُزَجًّـى بِعَبِيْرٍ مِـنْ نَفْحَـةِ البُـسْتانِ[١]

---

[١] القصيدة من البحر الخفيف، وقد وقع هنا في التفعيلة الثانية من الشطر الأول زحافُ الطيّ– على أساس أن التفعيلة الأصلية في الخفيف (مستفعلن)، لا (مستفع لن)، كما ذهب بعض العروضيين– والطيّ: حذف الحرف الرابع الساكن، لتصبح التفعيلة (مستفعلن): (مستعلن). وكان للشاعر عن الطيّ مندوحة لو قال: "وسَـلامٌ آلَ الجـبيرِ مُزَجًّى".

قَرْيَةٌ أَثْقَلَـــتْ يَـــدِيْ بِقِراهـــا طَـــوَّقَتْنِيْ بالحُـــبِّ والتّحْنَـــانِ
ما أُحَيْلَى نَسِيْمَها الغَـــضَّ لَمَّـــا لامَسَ الزَّرْعَ، رَقْصَةَ النَّـــشْوانِ
لَسْتُ أَنْسَى مَرابِعَ الأُنْسِ فيهـــا لَسْتُ أَنْسَى مَلاعِبَ الـــصِّبْيَانِ
كَيْفَ أَنْسَى مَراتِعَ الرَّعْيِ، لا بَلْ كَيْفَ أَنْسَى مَـــوَارِدَ الغُـــزْلانِ

* * *

فاسْأَلُوا البِئْـــرَ والـــسَّوانيَ لَمَّـــا رَفْرَفَ القَلْبُ مِنْ شَجَى الأَلْحَانِ
نَغْمَةُ الصَّوْتِ فِي السُّوَيْدَاءِ مِنِّـــي لا تَزَالُ مَحْفُـــوْرَةً فِي جَنَـــانِي
واسْأَلُوا التِّيْنَ عَنْ صَبِيٍّ نَحِيْـــلٍ كانَ يَغْزُوْ فَواكِـــهَ الجِيْـــرانِ
واسْأَلُوا الخُوْخَ أَيْنَ ذاكَ التِّهامِي؟ يَمْتَطِيْ الغُصْنَ، خِفَّةَ السِّعْدَانِ!
أَيُّها الطَّائِرُ السَّـــعِيْدُ هَنِيْـــئًا لَكَ طِيْبُ المُقَـــامِ فِي ظَـــهْرانِ!

بيروت

بَيْرُوْتُ والنَّارُ وحُكْمُ الطُّغَاةْ   ونَوْمَةُ العُرْبِ وبَغْيُ الجُنَاةْ

تَخُوْضُ في مُسْتَنْقَعٍ آسِنٍ   مِنَ الدَّمِ المَهْدُوْرِ يا أُمَّتَـــاهْ

أَلَيْسَ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْ صَحْوَةٍ   مِنْ حُلُمٍ قَدْ أَرْعَبَتْهَا رُؤَاهْ

كَابُوْسُهُ يَجْثُمُ في عُمْقِـــنا   يُدْمِيْ القُلُوْبَ ويُكِمُّ الشِّفَاهْ[١]

يا أُمَّـــةَ الأَمْجَـــادِ لا تَرْكَـــعِيْ   لا يَنْبَغِيْ للحُـــرِّ حَـــنْيُ الجِبَـــاهْ

---

[١] استخدم الشاعر (الخَبْن) في عدّة مواضع من هذه القصيدة، وهو ما يحسن في الرَّجَز، ولا يحسن في البحر الـــسريع– الذي جاءت على وزنه القصيدة– إلاّ أنه في الشطر الأخير من هذا البيت قد جمع (الخَبْن) و(الطَيَّ) في التفعيلة الثانية، ما زاد في ثِقَله.

عُوْدِيْ لأَمْرِ اللهِ واسْتَبْشِرِيْ ... بِنَصْرِهِ فِي نَفْحَةٍ مِنْ هُدَاهْ
أو فامْسَحِيْ التَّارِيْخَ واسْتَبْدِلِيْ ... مَلاحِمَ الهَزْلِ وحَكْيَ الرُّوَاةْ

****** ******

أَسْأَلُ عَنْ ماهِيَّتِيْ مِنْ أَنا؟ ... عَنْ صَرْحِ أَمْجَادِيْ أَنا مَنْ بَنَاهْ؟
أَسْـــأَلُ والآلامُ مَغْـــرُوْسَـــةٌ ... فِي القَلْبِ عَنْ مَاضٍ لَعَلِّيْ أَرَاهْ
هَلْ ماتَتِ الأَمْجَادُ فِي أُمَّةٍ ... خَاضَتْ غِمَارًا فِي مُحِيْطِ الحَيَاةْ
ما بالُها اليَوْمَ تَراخَتْ؟ وقَدْ ... كانَتْ تَصُوْنُ العَهْدَ تَحْمِيْ حِماهْ
المَوْتُ مُـــــرٌّ الُمـــــرِّ لكنـــَّهُ ... فِي عِزَّةِ الإِسْلامِ يَحْلُوْ لِقَاهْ

****** ******

لُبْنَانُ يا سَرْحًا بلا حَارِسٍ ... تَغْتَالُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عُدَاهْ
شَعْبٌ شَرِيْدٌ تَائِهٌ هَائِمٌ ... مُشَرَّدٌ لا يَعْرِفُ الإِتِّجَاهْ
مَبَادِئُ الأَحْزَابِ حَلَّـــتْ بِـــهِ ... وخَدَّرَتْـــهُ ثُـــمَّ حَلَّـــتْ عُرَاهْ

لَوْ عَادَ للإِسْلامِ لم يَنْهَزِمْ — مِنْ زُمْرَةِ الذُّلِّ، "وحَقِّ الإلهْ!"
لكنَّهُ التَّفْرِيْطُ أَوْدَى به — فاجْتَاحَهُ الرُّعْبُ وشُلَّتْ يَدَاهْ
هَلْ كان ذُلُّ الشَّعْبِ مِنْ قِلَّةٍ — كَلاَّ ، ولكنْ زادَ فِيْهِ العُصَـــاةْ
أَقُوْلُهــــَا، والحَقُّ حَقٌّ ولَــــوْ — خالَفَنِيْ مَنْ كانَ يَهْوَى هَوَاهْ

****** ******

يــا قـَادَةَ الإِسْلامِ قُوْلُوا لَنَــا — حتى متى الصَّبْرُ وطُوْلُ الأَنـَـاةْ؟
تَسْـــأَلُنِيْ نَفْســِـيْ التي تَنْزَوِيْ — في أَزْمَةِ التَّفْكِيْرِ ماذا تَرَاهْ؟
ماذا أَقُــوْلُ؟ هَلْ أَقُــوْلُ أَنَــا — مِنْ أُمَّةٍ تَلْتَذُّ مُرَّ المِيَاهْ؟
أَوْ أَنَّنِيْ أُضْفِيْ على نِسْبَتِيْ — هَالاتِ فَخْرٍ مِنْ أُسُوْدِ الفَلاةْ؟
أَقُوْلُ جَدِّيْ كانَ ذا نَخْوَةٍ — يُغِيْثُ مَلْهُوْفًا ويُؤْتِيْ قِرَاهْ
ويُكْرِمُ الضَّيْفَ ويَهْوَى العُلا — ويُوْجِرُ الأَعْدَاءَ حَدَّ الشَّبَاةْ
ويَحْمِلُ الرَّايـَـاتِ خَفَّاقَـــــــةً — ما عَابَهُ الحَرْثُ ورَعْيُ الشِّيَاهْ

****** ******

لكنَّـــنِي اليَــوْمَ أَنـــا مَنْ أَنَـــا؟! — مَـــاضٍ إلى مَـــاضٍ بَعِيْدٍ مَـــدَاهْ

أَسِيْرُ فِي الشَّوْكِ وأَرْضَى بِهِ　　كَأَنَّ دَرْبِيْ لم يَكُنْ لِيْ سِوَاهْ
أَهِيْمُ فِي بَيْدَاءَ دَيْمُوْمَةٍ　　كخَامِلٍ سَاهٍ عَنِ الدَّرْبِ تَاهْ
تَعَـوَّدَ الصَّفْعَـاتِ فِي خَـدِّهِ　　ويَدَّعِيْ الفَخْرَ بِأَصْلٍ وَجَـاهْ
يَرَى رَزَايَـاهُ بعَيْنِ العَمَـى　　ما هَمَّهُ لَوْ كَانَ فِيْهَا وَجَـاهْ[١]

******　　******

يَـا أَبَتَـاهُ كُنْتَ لَيْثَ الشَّرَى　　هَلْ ضَاعَتِ الأَمْجَـادُ يَـا أَبَتَاهْ
آبَـاءَنا، عَفْواً، فقَدْ سَـادَنا　　فِكْرٌ هَجِيْنٌ لم يُحَقِّقْ مُنَاهْ
فِكْرٌ يَرَى الإِسْلامَ رَجْعِيَّةً　　وكَـانَ فِي تَفْكِـيْرِهِ مُنْتَهَـاهْ
فرايَـةُ الإِسْلامِ خَـفَّـاقَـةٌ　　والنَّصْرُ فِي الإِسْلامِ يَـا مَنْ قَلاهْ

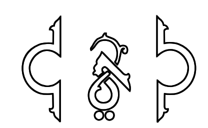
******　　******

يا مَنْ رَأَى الأَشْـلاءَ مَشْـوِيَّةً　　بَيْنَ رَمَادٍ مِنْ وَقُوْدِ الغُزَاةْ
ما هَـالَنِيْ مَـرْأًى سِوَى طِفْلَةٍ　　مَحْرُوْقَةِ الخَدَّيْنِ ، "يا رَحْمَتَاهْ!"

---

[١] من الوَجَى، وهو الحَفَى.

مَقْطُوْعَة الكَفَّــيْنِ، يــا مَنْظَــرًا يَا لَيْتَني مــا كُنْــتُ يَوْمًــا أَرَاهْ
وهــَالَنِيْ طِفْــلٌ بَــدَا مُنْهَكًــا على سَرِيْرِ المَوْتِ يَــدْعُوْ أَبَــاهْ
مُــضَمَّدٌ يَرْنُــوْ بِعَــيْنِ الأَسَــى مَنْ حَوْلَهُ؟ هَلْ أُمُّــهُ لا تَــرَاهْ؟
والأُمُّ يــــا طِفْــــلاهُ مَحْمُوْلَــــةٌ على سَرِيْرِ النَّعْشِ واحَــسْرَتَاهْ!
بَكَيْــتُ- واللهِ- بُكَــاءَ امْرِئٍ مُلَوَّعٍ لَوْ كَانَ يُجْدِيْ بُكَــاهْ



نشيدٌ في شفاه الكون

يا بِلادِيْ يـــا تَــرَانِيْمَ الحُـــدَاة اليَعْرُبِيَّـــةْ
يا نَشِيْداً في شِفَاهِ الكَوْنِ أَنْغَامــاً شَـــجِيَّةْ
يا شُمُوْخَ الشُّمِّ مِنْ جِذْرِ العَمَالِيْقِ الأَبِيَّـــةْ[١]
مِنْ مَحَارِيْبِ الهُدَى والنُّوْرِ والنَّفْسِ الزَّكِيَّةْ[٢]
مِنْ مَعَانِيْ مَسْرَحِ التَّوْحِيْدِ والأَرْضِ النَّقِيَّـــةْ[٣]

---

[١] من هذه القصيدة نسختان، إحداهما مضبوطة بالشكل التام، أجرى عليها الشاعر بعض التعديلات، وهي المثبتة هنـــا، وسنرمز لها بـــ(ب). وكان هذا البيت في النسخة الأخرى، التي سنرمز لها بـــ(أ)، هكذا: "يا شُموخاً من جُـــذُوْرِ الشُّمِّ في الأرضِ الأَبِيَّةْ".

[٢] في النسخة أ: "عربيٌّ مسلمٌ من هذه الأرض الزَّكِيَّةْ".

[٣] في النسخة أ: "مِنْ معانيْ مسرحِ التوحيدِ وضَّاحِ الهُوِيَّةْ".

مِنْ رَوابيْ مَشْــرِقِ التَّارِيْخِ والرُّوْحِ القَوِيَّــةْ

* * * * *

مِنْ سَرَايَا الفَتْحِ فِي الآفاقِ مِنْ أَرْضِ الجَزِيْــرَةْ
مِنْ حُفَاةٍ زَلْزَلَتْ كِسْرَى وقَدْ دَاسَتْ حَرِيْــرَهْ
مِنْ رُعَاةٍ تَقْهَرُ الرَّمْــضَاءَ فِي حَــمِّ الظَّهِيْــرَةْ
مِنْ هُدَاةٍ فِي الــدَّيَاجِيْ كالمَــصَابِيْحِ المُنِيْــرَةْ
مِنْ مَنَارَاتٍ بِهَا انْثَالَ السَّنَا مِنْ كُــلِّ دِيْــرَةْ
مِنْ أَبِيْ الهَيْجَــاءِ عَمْرٍو والمُثَــنَّى والمُغِيــْرَةْ

* * * * *

وانْثَنَى التَّارِيْخُ يَرْوِيْ لِيْ حِكَايَــاتٍ جَدِيْــدَةْ
قِصَصًا فَوْقَ الرِّمَالِ الحُمْــرِ أَخْبَــاراً فَرِيْــدَةْ
مَسْرَحِيَّاتٍ على الصَّحْرَاءِ فِي أَسْمَى قَصِيْــدَةْ[1]

---

[1] في النسخة أ: "مسرحيَّاتٍ تُغَنِّى في تواشيح قصيدةْ".

سَكَبَتْ في شَمْعَدانِ الشِّعْرِ ما أَحْلَـــى نَـــشِيْدَهْ
فارسٌ مِنْ قَلْبِ نَجْدٍ غَاصَ في عُمْـــقِ العَقِيْـــدَةْ
حَوْلَهُ الأَبْطَـــالُ كُلٌّ مَثَّلَ الأَرْضَ السَّـــــعِيْدَةْ

* * * * *

مَوْطِنِيْ يا سَاكِناً في القَلْبِ مَـــشْبُوْبَ الـــوَلاءِ
في دَمِيْ يا دُرَّةَ الغَوَّاصِ يـــا أَصْـــفَى الـــصَّفَاءِ
يا سَنَى في مَبْسِمِ التَّـــارِيْخِ وَهَّـــاجَ الـــضِّيَاءِ
شَـــامخاً مُتَّكِئـــاً مَـــتْنَ الثُّرَيَّـــا في الفَـــضَاءِ
بَاذِخاً يَقْتَعِـــدُ الجَـــوْزَاءَ في قَلْـــبِ الـــسَّمَاءِ
ثابِتَ الأَرْكَانِ بالتَّوْحِيْدِ مَشْـــــدُوْدَ البِـــــنَاءِ

* * * * *

يا بِلاداً شَعَّ مِنْهَـــا النُّـــوْرُ والحُـــبُّ العَمِيْـــقْ
عُبِّدَتْ فِيْها دُرُوْبُ الخَيْـــرِ فانْـــدَاحَ الطَّرِيْـــقْ
وارْتَوَتْ صَحْرَاؤُهَا الرَّقْرَاقَ فاخْضَـــرَّ الوَرِيْـــقْ

وانْبَرَى مِنْ ثَغْرِهَا المَــوَّالُ والــشِّعْرُ الرَّقِيْــقْ
واعْتَلَى أَعْلَى رُبَاهَا الطُّهْرُ، والمَجْــدُ العَرِيْــقْ
والهُدَى، والعَدْلُ، والتَّوْحِيْدُ، والبَيْــتُ العَتِيْــقْ

* * * * *

يا جبَالَ العزِّ يــا صَــحْراءَ رَيْعَــانِيْ وحُبِّــي
يا مثَالَ الرَّوْضَةِ الخَــضْرَاءِ في أَيَّــامِ جَــدْبِ
يا مُثِيْرَ الشِّعْرِ مِنْ فِكْرِيْ ومِنْ شِــرْيَانِ قَلْــبِي
حَرَّكَتْهُ سَاجعَاتُ الحُبِّ مِنْ أَعْمَــاقِ صَــبِّ
يا شِعَاراً رَافِعاً رَمْــزَ الــصَّفَا في كُــلِّ دَرْبِ
عَاشَ مَنْ يَحْمِيْكَ عَنْ كُلِّ الأَذَى، يَرْعَــاهُ رَبِّي!

القصائد

كُتُبٌ أُخرى للدكتور عبدالله الفَيْفي

١- (٢٠٠٦). نَقْدُ القِيَم: مقاربات تخطيطيّة لمنهاج علميّ جديد. (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي).

٢- (٢٠٠٥). فَيْفاء: (مجموعة شعريّة). (دمشق: اتحاد الكُتّاب العرب).

٣- (٢٠٠٥). حداثة النصّ الشعريّ في المملكة العربية السعودية: (قراءة نقديّة في تحوّلات المشهد الإبداعيّ). (نادي الرياض الأدبي).

٤- (٢٠٠١). مفاتيح القصيدة الجاهلية: نحو رؤية نقدية جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا. (جدّة: النادي الأدبي الثقافي).

٥- (١٩٩٩). شعر ابن مقبل، قلق الخضرمة بين الجاهليّ والإسلاميّ: دراسة تحليلية نقدية- جزءان. (نادي جازان الأدبي).

٦- (١٩٩٨). شعر النقاد: استقراء وصفيّ للنموذج. (الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مركز البحوث).

٧- (١٩٩٦). الصورة البَصَريّة في شعر العميان: دراسة نقدية في الخيال والإبداع. (نادي الرياض الأدبي).

٨- (١٩٩٠). إذا ما الليل أَغْرَقَني: (مجموعة شعريّة). (الرياض: دار الشريف).

مرافئ الحُب

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَـيْفي

تصويبات النسخة الورقيَّة

صفحة	سطر (ح = حاشية)	الخطأ	الصواب
٤٦	١	الجَوْزَاْاءِ	الجَوْزَاءِ
٥٠	٧	والخَـرَبُ بها	والخَـرَبُ
٥٠	٨	وصارتْ عليها النارُ تَلْتَهِبُ	بها وصارتْ عليها النارُ تَلْتَهِبُ
٥١	٣	عَـنْ مَنْ	عَـمَّنْ
٥٤	١٣	فَتَنْداحُ أصداغُ الرِّمالُ	فَتَنْداحُ أصداغُ الرِّمالِ
٧٨	٤	لِـمْ	لَـمْ
٧٩	ح١	راجع النموذج ١٩	راجع النموذج ١١
٩٤	١٠	التى	التي
١٢٧	١١	ونُضُجُ	ونُضْجُ



الشاعر

- سلمان بن محمّد بن قاسم الحكَمي الفـيْفي· مواليد فـيْفاء، بُقعة الخَشْعَة، جبل آل أبي الحكَم: ١٣٦٣هـ= ١٩٤٣م·
- تلقّى تعليمه الأوّليّ في مدرسة الخَشْعَة، في فـيْفاء، إذ التحق بها سنة ١٣٧٣هـ· انتقل للدراسة بمعهد ضَمَد العلمي· ثم عاد إلى فـيْفاء، فعُيّن مدرّساً في مدرسة الخَشْعة، وكانت تُسمى (معهد الخَشْعَة)· انتقل للدراسة بمعهد سامطة العلمي· فدَرَسَ في قسمه التمهيدي، فالمتوسط، فالثانوي، وحصل على شهادة المعهد، (القسم العامّ)، سنة ١٣٨٦هـ·
- التحق بكلية اللغة العربية في الرياض، وحصل على شهادة الليسانس، سنة ١٣٩٠/٨٩هـ·
- عمل مدرّسًا في معهد الرياض العلمي سنة ١٣٩١هـ· وبعد سنةٍ دراسية، انتقل للعمل بالمعهد العلمي في عرعر· واستمر في التعليم بمعهد عرعر العلمي، ليشغل بعد سنوات وظيفة وكيلٍ للمعهد، ثم مدير للمعهد، قبل أن يَطلب التقاعد المبكر، نظراً لظروفه الصحية·
- تُوفي – رحمه الله – بمدينة الرياض، في شهر رمضان، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م·

منشورات نادي جازان الأدبي

ردمك: ٩٩٦٠-٦٢٢-٨١-٩

مطابع الحميضي